

الوقت من ذهب

مكتبة القراءة والثقافة الادبية

التعقيب على المقدمة

تأليف

د. احمد فريد رفاعى

الناشر

شركة نوابغ الفكر



شركة نوابغ الفكر ، القاهرة

البريد الإلكتروني :

Nawabgh_elfakr@hotmail.com

هاتف: 25936402

فاكس: 27865553

فهرست الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية :

التعقيب على المقدمة

تأليف : د/ احمد فريد رفاعى

ط-1 القاهرة : شركة نوابغ الفكر 2014

عدد الصفحات :

1-الادب العربى

1-العنوان

رقم الايداع : 2014/26933

الترقيم الدولي: 4-32-6415-977-978

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُوبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا
فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ فِي غَدِهِ: لَوْ غَيْرَ هَذَا
لَكَانَ أَحْسَنَ، وَلَوْ زَيْدٌ كَذَا لَكَانَ سَيِّئًا
وَلَوْ قُدِّمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ، وَلَوْ تَرَكَ
هَذَا لَكَانَ أَجْمَلَ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ،
وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيْلَاءِ النَّفْسِ عَلَى

جُمَّلَةِ الْبَشَرِ .
الْعَمَادُ الْأَضْفَعَانِي

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّعْقِيبُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
الْأَنْبِيَاءِ أَجْمَعِينَ ، وَالرُّسُلِ وَالتَّابِعِينَ ، وَالْحَمْدُ لَهُ عَلَى
الِاقْتِفَاءِ بِآثَارِ الْأَوَّلِينَ مِنَ السَّالِفِينَ ، وَالِإِحْتِذَاءِ
بِالصَّابِرِينَ وَالْعَاكِفِينَ ، الَّذِينَ صَدَقُوا اللَّهَ بِمَا لَهُمْ
مِنْ دِينٍ مَتِينٍ ، وَعَلَى الْإِسْتِهْدَاءِ بِمَنْ آمَنُوا بِمَا عَلَيْهِمْ
مِنْ عِبٍّ رَكِينٍ ، فَأَوْغَلُوا فِي أَدَائِهِ مُتَرَفِّقِينَ ،
وَمَضَوْا فِي تَحْقِيقِهِ دَائِبِينَ غَيْرَ وَاِنِينَ ، وَسَعَوْا قُدُمًا
فِي نَجَازِهِ جَاهِدِينَ غَيْرَ وَاِقِينِينَ .

(وَبَعْدُ) فَجَنَّبَكَ اللهُ الشُّبُهَةَ وَالخَطْلَ ، وَوَقَّكَ
التَّحِيْفَ وَالزَّلَلَ ، وَأَمَدَكَ فِي دَرْسِكَ بِالصَّبْرِ وَالْمُجَالَدَةِ ،
وَأَعَانَكَ فِي عِلْمِكَ بِالْأَنَانَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ ، وَنَأَى بِكَ
عَنْ مَسَالِكِ الْأَغْرَارِ ، وَحَمَّاكَ مِنْ مَزَالِقِ الْأَشْرَارِ ،
أَبْدَلَكَ مِنْ حُلُكَةِ لَيْلِكَ بِوَهْجِ النَّهَارِ ، وَأَمْتَعَ قَلْبَكَ
بِالْيَقِينِ وَالْيَقِظَةِ ، وَحَلَّى خَاطِرَكَ بِالْمَوْعِظَةِ الْحُسْنَى ،
وَعَمَّرَ حَصَاتِكَ بِمُسَدِّدِ الْحِكْمَةِ ، لَتُمَيِّزَ الْمُلتَبَسَ ،
وَتُصِيبَ الْمُفْصَلَ ، وَتَقُلَّ الْحَزَّ وَتُخَلِّصَ الْمُشْكَلَ .

وَإِنِّي مُبْتَهِلٌ إِلَى اللهِ لِي وَوَلِّكَ ، أَنْ يَجْعَلَ لَنَا عَامِلِينَ
بِقَوْلِ الْأَقْدَمِينَ : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمِرَاءِ
وَقِلَّةِ خَيْرِهِ ، وَسُوءِ أَثَرِهِ عَلَى أَهْلِهِ ، فَإِنَّهُ يَهْلِكُ
الْمُرُوءَةَ ، وَيَذْهَبُ الْمَحَبَّةَ ، وَيُفْسِدُ الصَّدَاقَةَ ،

وَيُورِثُ الْقَسْوَةَ ، وَيُضْرِي عَلَى الْقِحَّةِ ، حَتَّى يَصِيرَ
 الْمَوْجَزُ خَطَلًا ، وَالصَّدُوقُ كَذُوبًا ، فَإِنَّا - جُعِلَتْ
 فِدَاكَ - لَوْ أَخَذْنَا بِحِكْمَةِ الْأَوَّلِ ، وَمَضَيْنَا فِيمَا نَحْنُ
 بِسَبِيلِهِ ، مِنْ خِدْمَةِ لَعُنَتِنَا ، وَتَثْقِيفِ قَوْمِنَا ، فِي غَيْرِ
 جَلْجَلَةٍ وَلَا اضْطِرَابٍ ، وَفِي غَيْرِ هُجْنَةٍ أَوْ عَابٍ ، وَفِي
 غَيْرِ مُهَاتَرَةٍ أَوْ مُقَاوَلَةٍ ، فَإِنَّا نُصِيبُ وَشَلًّا مِنْ فَضْلِ
 لَأَنْلَبْتُ حَتَّى تُمَطِّرَنَا سَحْبُهُ ، وَتَعْمُرَنَا دِيمُهُ ، بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ .

موضوع
الكتاب

وَالآنَ نَطَالِعُكَ بِمَا أَرْتَهَنَّا بِهِ لِرَغْبَتِكَ الرَّاعِبَةِ ،
 وَشَوْقِكَ الشَّيْقِ ، وَغَرَامِكَ الْغَرِيمِ ، لِلْأَدَبِ وَفِي
 الْأَدَبِ بِقَبْسٍ مِمَّا قَرَأْنَاهُ بِهِدْيٍ مِنَ الشَّيْخِ أَوْ فِي
 حَضْرَتِهِ ، وَبِحَثِّ مِنْهُ أَوْ عَلَى شِرْعَتِهِ ، فَنَبْدَأُ لَكَ
 بِرِسَالَاتِ الْمَعْرِيِّ ، فَالْمَاوَرِدِيِّ ، فَالْحَلَبِيِّ ، فَابْنِ مِمَاتِي ،

فَعَلِيَ ابْنِ خَلْفٍ . ثُمَّ نَتَقَلُّ بِكَ إِلَى كِتَابِ التَّذْيِيلِ
 فَشَرَفَ بِكَ فِيهِ عَلَى الرَّسَالَةِ الْعُذْرَاءِ ثُمَّ نَعْرِجُ بِكَ
 عَلَى مَا رَوَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي أَبْوَابِ الْبَيَانِ وَكُتُبِ
 الْأَمَانِ ، فَشَتَاتٍ عَنِ الْأَدَبِ وَفِي الْأَدَبِ . وَتَفْضِيلِ
 الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الْأَعْجَمِيِّ . ثُمَّ نَتَقَلُّ بِكَ إِلَى
 رِسَالَاتٍ فِي الْإِنْتِقَادِ وَعُيُونِ الْخُطْبِ . وَبِذَلِكَ يَنْتَهِي
 كِتَابُ التَّذْيِيلِ . وَنَرْجُو أَنْ تُتِمَّ قِصَّتَنَا مَعَكَ .
 مِنْ مَوَاقِفِنَا مَعَ الشَّيْخِ . وَكِبَارِ تَلَامِيذِهِ . وَمَا نَرَاهُ
 فِي الْأَدَبَيْنِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ فِي كِتَابِ التَّعْلِيقِ عَلَى
 الْمُقَدِّمَةِ . لِيَكُونَ سِفْرُنَا هَذَا وَسَابِقُهُ وَوَلَا حِقُّهُ
 وَوَلِيدُهُ ، كَتَقَدِّمَةِ مَا نَنْتَوِيهِ لَكَ مِنْ مَيْلٍ إِلَى ثِقَافِكَ
 كَبِيرٍ . وَحَدَبٍ عَلَى تَهْذِيبِكَ وَفِي رِعَاكَ اللَّهُ وَيَاكَ .



كَتَبَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ
ابْنِ عَلِيٍّ الْمَغْرِبِيِّ ، قَالَ : —

رسالة
المعري

إِنْ كَانَ لِلْأَدَابِ — أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ سَيِّدِنَا —
نَسِيمٌ يَتَضَوّعُ^(١) . وَلِلذِّكَاءِ نَارٌ تُشْرِقُ وَتَمَعُ . فَقَدْ
فَعَمْنَا^(٢) عَلَى بَعْدِ الدَّارِ أَرْجُ^(٣) أَدْبِهِ . وَمَحَا اللَّيْلَ عَنَّا
ذِكَاؤُهُ بِتَلْهِيهِ . وَخَوَّلَ الْأَسْمَاعَ سُئُوفًا^(٤) غَيْرَ ذَاهِبَةٍ .
وَأَطَّلَعَ فِي سُوَيْدَاوَاتِ^(٥) الْقُلُوبِ كَوَاكِبَ لَيْسَتْ
بِغَارِبَةٍ . وَذَلِكَ أَنَا مَعَشَرَ أَهْلِ هَذِهِ الْبَلَدَةِ وَهَبَ لَنَا
شَرَفٌ عَظِيمٌ . وَأَلْقَى إِلَيْنَا كِتَابٌ كَرِيمٌ . صَدَرَ عَن

(١) يتضوع : يتحرك (٢) فعم : ملاء وعم (٣) أرج أدبه :
طيب كلامه (٤) أى جعلها تطرب من بلاغة حديثه والشفن بمعنى القرب
(٥) السويداء مفرد سويداوات : وهى حبة القلب .

حَضْرَةَ السَّيِّدِ الْحَبْرِ . وَمَالِكِ أَعْنَةَ^(١) النَّظْمِ وَالنَّثْرِ .
 قِرَاءَتُهُ نُسْكَ^(٢) . وَخِتَامُهُ بَلْ سَائِرُهُ مِسْكَ . وَفِي
 ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ . أَجِلٌ^(٣) عَنِ التَّقْيِيلِ ،
 فَظَلَالَةُ الْمُتَقَبِّلَةِ . وَنَزْرُهُ^(٤) أَنْ يُبْتَدَلَ ، فَسُخِّهُ الْمُبْتَدَلَةُ .
 وَإِنَّهُ عِنْدَنَا لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . وَلَوْلَا الْإِلَاحَةُ^(٥) .
 عَلَى مَا ضَمَّنَ مِنَ الْمَلَاخَةِ ، وَالْحَشِيَّةُ عَلَى دُجَى مِدَادِهِ
 مِنَ التَّوَزُّعِ . وَنَهَارِ مَعَانِيهِ مِنَ التَّشْتِتِ وَالتَّقَطُّعِ .
 لَعَكَفَتْ عَلَيْهِ الْأَفْوَاهُ بِاللَّثْمِ^(٦) . وَالْمَوَارِنُ^(٧)
 بِالْإِنْتِشَاءِ وَالشَّمِّ . حَتَّى تَصِيرَ سَطُورُهُ لَمَى^(٨) فِي

(١) الأعنة جمع عنان : والعنان الحبل للداية تقاد به (٢) نسك :
 أى عبادة (٣) أى منع من التقييل (٤) ارتفع عن تناول الأيدي
 (٥) الأشفاق (٦) اللثم : التقييل (٧) الموارن : جمع مارن .
 وهو ما لان من الأنف (٨) واللمى : سمره في الشفتين

الشِّفَاهِ . وَخِيْلَانًا^(١) عَلَى مَوَاضِعِ السُّجُودِ مِنْ الْجِبَاهِ .
 وَلَوْ لَا مَا حَظَرَهُ^(٢) الدِّينُ مِنَ الْقِمَارِ^(٣) . وَعَابَهُ مِنْ
 رَأَى الْجَهْلَةَ الْأَعْمَارَ^(٤) . وَأَنَّ شَرِيْعَةَ الْإِسْلَامِ .
 اعْتَرَضَتْ دُونَ إِجَالَةٍ^(٥) الْأَزْلَامِ^(٦) لَضَرْبِنَا عَلَيْهِ
 بِالسَّبْعَةِ الْفَائِزَةِ^(٧) ، وَالثَّلَاثَةِ الَّتِي لَيْسَتْ لِحَظِّ
 بِالْحَائِزَةِ^(٨) . وَمَعَاذَ الْأَحْلَامِ أَنْ يَطْمَئِنَّ خَلْدُ^(٩)
 الْمُنَافِسِ الشَّجِيحِ . إِلَى أَحْكَامِ النَّافِسِ^(١٠) وَالْمُنِيحِ^(١١) .
 وَإِنَّمَا كَانَتْ أَوْلِيَاءُ سَيِّدِنَا — جَعَلَ اللَّهُ لِشَانِيهِ^(١٢) —

- (١) الخيلان : العلامة التي في وجه المصلي من أثر السجود « زبيبة الصلاة » (٢) حظره : منعه (٣) القمار كان في الجاهليات بالتفاح . وفي زماننا بكل شيء (٤) الأعمار : الأغنياء (٥) الاجالة : الادارة (٦) الازلام : سهام الميسر (٧) الفائزة : أى التي لها نصيب (٨) الحائزة : التي لا نصيب لها (٩) الخلد : القلب (١٠) المنافس : القدر الخامس من أقداحهم (١١) القدر الثامن (١٢) الشانء : المغض

كَوْكَبٍ (١) الرَّجْمِ . وَحَادِي (٢) النَّجْمِ - تَيْسِرٌ (٣)
 عَلَى إِقَامَةِ الصَّحِيفَةِ فِي الْمَنَازِلِ لِلْأَنْسِ الْمَطْلُوبِ .
 لَا عَلَى مَقَادِيرِ السَّحَا (٤) مِنْ ذَلِكَ الطَّرْسِ الْمَكْتُوبِ .
 وَأَحْسِبُهُمْ يُوقِعُونَ عَلَيْهَا السُّهْمَةَ (٥) الْوَاقِعَةَ عَلَى كِفَالَةِ
 الْبُتُولِ . وَالْحَاكِمَةَ فِي السَّفَرِ بَيْنَ صَوَاحِبِ الرَّسُولِ .
 فَيَا شَرَفَهُ مِنْ صِكِّ (٦) بِالْفَخْرِ . يُبْجَحُ (٧) بِهِ عَلَى
 النَّظَرَاءِ حَيْرِي (٨) الدَّهْرِ . مُوشَّحًا بِكُلِّ شَذْرَةٍ
 أَغْذَبَ مِنْ سُلَافِ الْعُنُقُودِ . وَأَحْسَنَ مِنَ الدِّيْنَارِ
 الْمُنْقُودِ . فَجَاءَ كَلَوَائِحِ الْبُرُوقِ . أَوْ يُوحِ (٩) عِنْدَ

(١) نجم وشهاب يهلكهم (٢) أى الدبران لتشاؤمهم به

(٣) تيسر : من يسر الرجل اذا لعب الميسر بالقداح المعروفة لديهم

(٤) السحا : مفردة سحاة . وهى القطعة التى تقطع من القرطاس

(٥) السهمة : القرعة الواقعة على كفالة البتول سيدتنا مريم عليها السلام

(٦) الصك : الكتاب (٧) يبجح : يفخر (٨) حيرى الدهر :

أى مدة الدهر . ويوم الشمس (٩) يوح اسم من أسماء الشمس

الشُّرُوقِ . وَلَمْ يَزَلْ لَوْلِيَّهِ إِلَى جَنَابِهِ جَنَبٌ^(١)
 الْفَانِيَةِ . إِلَى عَيْشِ^(٢) الْغَانِيَةِ . وَأَنْضَاءِ^(٣) الْأَعْلَالِ .
 إِلَى إِفْضَاءِ^(٤) الْأَبْلَالِ . وَلَوْ أَنَّ شَوْقَهُ إِلَى حَضْرَتِهِ
 الْجَلِيلَةِ تَمَثَّلَ . فَثَلَّ . وَتَجَسَّمَ حَتَّى يُتَوَسَّمَ . لَمَلَأَ
 ذَاتَ الطُّولِ وَالْعَرْضِ^(٥) . وَشَغَلَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ . وَلَمْ يَكْتَفِ حَتَّى يُكَلِّفَ الْخَطْوَةَ . أَنْ
 تَسَعَ صَهْوَةً^(٦) . وَالرَّاحَةَ . أَنْ تَكُونَ مِثْلَ السَّاحَةِ .
 وَبَلَغَ وَلِيَّهُ السَّلَامُ الَّذِي لَوْ مَرَّ بِسَلْمَةٍ^(٧) وَارِيَةٍ
 لِأَغْدَقَتْ . أَوْ سَلْمَةٍ^(٨) عَارِيَةٍ لِأَوْرَقَتْ . فَحَمَلَ

(١) جنب الفانية : شوقها (٢) عيش الغانية : أى إلى الصبا
 (٣) أنضاء الاعلال : شوق المرضى (٤) إفضاء الابلال : الشفاء
 والبراء (٥) أى الارض (٦) الصهوة : المطنن من الارض تأوى
 إليه ضوال الابل (٧) صخرة (٨) شجرة السلم المعروف

فُوَادِي مِنْ الطَّرَبِ عَلَى رَوْقِ^(١) اليَعْفُورِ . بَلْ
فَوْقَ جَنَاحِ العُصْفُورِ . فَكَاَنَّمَا رَفَعَنِي الفَلَكُ .
أَوْ نَاجَانِي المَلَكُ . جَذَلًا^(٢) بِمَا لَوْ جَازَ تَبَدُّلُ
العَرِيْزَةِ . وَتَحَوُّلِ النَّحِيْزَةِ^(٣) . لَنَقَلَنِي مِنْ آلِي^(٤)
العَامَّةِ . إِلَى عَالِي السَّامَةِ^(٥) . نَقَلَ الكِيْمِيَاءُ .
مَا خَالَطَ مِنَ المُرَابِقِ^(٦) الجَائِزِ . إِلَى جُمْلَةِ النُّضَارِ
المُمَايزِ . وَكَدَتْ لَوْ لَا اشْتِمَالُ المَخَافِ عَلَى هَذِهِ
المَحَلَّةِ . وَاشْتِعَالُ الضَّمَائِرِ بِقَبْسِ^(٧) الغُلَّةِ . أَحْسَبُ
سَلَامَةَ السَّلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ البَارِيُّ جَلَّ اسْمُهُ فِي
قَوْلِهِ . « ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ » . أَفَبَلَدْتَنَا

(١) قرن الغزال (٢) الجذل الفرح (٣) النحيزة : الطبيعة .

ومنها يقال هو كريم النجاس أي الأصل (٤) آلي : أي مقصرى

(٥) الخاصة من الناس (٦) الدرهم المطلي بالزئبق (٧) القبس : الشعلة

جِنَانٌ . أَمْ وَضَحَ لِأَهْلِهَا الْغُفْرَانَ . أَمْ نُشِرُوا^(١)
بَعْدَ مَا قُبِرُوا . أَمْ جُرُوا^(٢) الْعُرْفَةَ^(٣) بِمَا صَبَرُوا .
فَهُمْ يُلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا . وَإِنْ نَالُوا بِمَنِّهِ
أَوْصَافَ الْأَتْقِيَاءِ الْأَبْرَارِ . فَقَدْ نَزَلَتْ بِهِمْ خَلَّةٌ^(٤)
مِنْ خِلَالِ الْأَشْقِيَاءِ الْكُفَّارِ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بِأَسَدِ
الْبَلَاغَةِ افْتَرَسُوا . وَبِأَسْبَابِهَا عُقِدَتْ أَلْسِنَتُهُمْ عَنِ
الْجَوَابِ فَخَرَسُوا . فَكَأَنَّمَا قِيلَ لَهُمْ « هَذَا يَوْمٌ
لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ » . وَإِنَّمَا
غَرِقُوا فِي لُجِّ التَّبَانَةِ^(٥) فَصَمَّتُوا . وَسَمِعُوا صَوَاعِقَ
الْإِبَانَةِ فَخَفَّتُوا . فَقَلَمُ كَاتِبِهِمْ عُوْدُ النَّاِكِتِ^(٦) .

(١) النشور: الاحياء بعد الموت (٢) أى أعطوا (٣) المراد الجنة

(٤) خلة: أى صفة (٥) التبانة: الفطانة (٦) الناكت:

الذى يبحث الارض بعود أو بقلم لمخجل أو تفكير

وَجَوَابٌ يَلِيغُهُمْ حَيْرَةٌ السَّاكِتِ . عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ
 رَأَوْا تَصْرِيْفَ الْخُطَابِ فَصُرِفُوا . وَعَرَفُوا مَكَانَ
 فَضْلِهِ فَأَعْتَرَفُوا . وَتَرَاءَوْهُ مِنْ مَبَارِكِ الْعُرُوجِ (١) .
 فَامْحَوْهُ (٢) فِي مَارِكِ (٣) الْبُرُوجِ . وَاسْتَهَضَّتْهُمْ الْهِمَمُ
 إِلَى مُدَانَاتِهِ فَعَجَزُوا . وَوَعَدُوا هُوَ اجْسَمُ (٤) التَّبَلُّدِ
 فَأَنْجَزُوا . وَلَنْ تُوجَدَ آثَارُ النُّوقِ (٥) . فِي أَوْكَارِ
 الْأَنْوُقِ . فَهُمْ يَتَأَمَّلُونَ وَمِيضَةُ الْأَلِقِ (٦) . وَيَحْمَدُونَ
 إِلَهَ الْخَالِقِ . عَلَى مَا مَنَحَهُ . سَيِّدَهُمْ مِنْ الْإِقْتِدَارِ .
 بَدِيقِ الْأَفْكَارِ . عَلَى إِعَادَةِ الْيَمِّ كَالْغَدِيرِ (٨) الْمُسَمَّى

(١) العروج : جمع عرج . وهو الحملة من الابل (٢) التمسوه ونظروه
 (٣) المَارِك جمع مَارِك : وهو البعد (٤) الهواجس : جمع هاجس .
 وهو ما يجول بخاطرك (٥) الفوق : الابل (٦) الانوق : الطير
 (٧) الآلق : اللامع (٨) الغدير : ما يغادره السيل

بِالْعَدْرِ وَالْحَاقِ السُّهَى (١) بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ (٢) .
 وَلَمْ يَزَلِ الْمَاشِي الْعَازِمُ (٣) . أَسْرَعَ مِنْ رَاكِبِ
 الرَّازِمِ (٤) . فَكَيْفَ بِنَنْ أَمْتَطَى عَزْمُهُ كَتِدَ (٥)
 الرِّيحِ . وَحَكَمَ لَهُ سَعْدُهُ بِالسَّعْيِ النَّجِيحِ وَخَصَمَهُ
 بَارئُهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ بِطَبِيعِ رَاضٍ (٦) . صِعَابَ
 الْأَغْرَاضِ . حَتَّى ذَلَّلَهَا . وَأَبَسَ (٧) بِيُوحُوشِ اللُّغَاتِ
 فَأَهْلَهَا . فَصَارَ حَزْنُ (٨) كَلَامِ الْعَرَبِ إِذَا نَطَقَ بِهِ
 سَهْلًا . وَرَكِيكُهُ إِنْ أَيْدُهُ بِصُنْعَتِهِ قَوِيًّا جَزْلًا (٩) .
 فَثَلَهُ مَثَلُ جَارِسَةِ الْكَحْلَاءِ (١٠) . تَسْمَحُ بِالْمَسَائِبِ

(١) نجم خفي في بنات نسي (٢) ليلة التمام : (أى الرابع عشر)
 (٣) العازم: المجد (٤) الرازم: الابل (٥) الكتد: ما بين
 الكاهل أم الظهر (٦) راض: ذعل (٧) أبس: دعا الناقة للحلب
 فهو يشبه اللغة بالناقة (٨) الحزن: الصعب (٩) الجزل: البليغ
 (١٠) الكحلاء: بنت مرعى النحل

الْمِلَاءُ^(١) . تَطْعَمُ الْغَرْبَ^(٢) . وَتَجُودُ بِالضَّرْبِ^(٣) .
 وَتَجْنِي مَرَّ الْأَنْوَارِ . فَيَعُودُ شَهْدًا عِنْدَ الْأَشْتِيَارِ^(٤) .
 وَكَالْهَوَاءِ فِي مَذْهَبٍ لَا أَعْتَقِدُهُ . وَقَوْلٍ سِوَايَ مَنْ
 يُسَدِّدُهُ . يَجْتَذِبُ أَجْزَاءَ الْبُخَارِ . فَيَسْقِي مَنْ تَحْتَهُ
 عَذْبَ الْأَمْطَارِ . وَمَنْ لَنَا بِإِنَّ اللَّفْظَ الْمَشُوفَ^(٥) .
 يُمَثِّلُ عَلَيْهِ التَّمْثِيلَ عَلَى الْحُرُوفِ فَتُكَلِّفُ الْبَابِنَا
 اقْتِضَابَ^(٦) الْعَسِيرِ^(٧) . وَرُكُوبَ مَا لَيْسَ بِسِيرٍ .
 فَعَسَاهَا تِبْلٌ^(٨) بِفَقْرَةٍ زَاهِرَةٍ . أَوْ تَظْفَرُ بِاسْتِخْرَاجِ
 لَوْ لَوْةٍ فَاخِرَةٍ . عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْعَنَاءِ سُؤَالُ الْبَرِّمِ^(٩) .

(١) الملاء : المملوء بالعدل (٢) الغرب : نبت ضعيف مر على
 شواطئ الانهار (٣) الضرب : العسل (٤) الاشتيار : الجنى
 (٥) المشوف : المجاوب (٦) اقتضاب الناقة : ركوبها قبل أن تراض
 (٧) العسير : الناقة التي لم تم رياضتها (٨) تبل : تشفى
 (٩) البرم : الضجر

وَرِيَاضَةُ الْهَرَمِ . وَهَيْهَاتَ بَعْدَتْ مَحَالُّ الْغَفْرِ (١)
 الطَّالِعِ عَنِ مَزَالِ الْغُفْرِ الظَّالِعِ (٢) . وَأَعْجَزَ الْبَارِقِ (٣)
 يَدَ السَّارِقِ . وَجَلَّتِ الشُّمُوسُ . عَنْ سُكْنَى
 الرُّمُوسِ (٤) . وَلَوْ اجْتَهَدَ الْخَزَزُ (٥) مَدَى عُمْرِهِ
 مَا أَشْبَهَ ضَعْفِيَهُ (٦) زَيْرَ الْأَسَدِ . وَلَنْ يَصِيرَ
 سَوْطُ بَاطِلِ (٧) فِي الْقُوَّةِ كَالْمَسَدِ (٨) . وَلَوَدِدْتَ أَوْ
 رُزِقَ لَامَةٌ (٩) مَا رُزِقَ كَلَامُهُ . لِيَنَالَ خُلُودَ الزَّمَانِ .
 وَتُعْطِيَهُ الْحَوَادِثُ أَوْ كَدَّ أَمَانٍ . فَإِنَّهُ أَوْلَى النَّاسِ .
 بِإِيْضَاءِ النَّبْرَاسِ (١٠) . إِذْ كَانَ فِي زَكَاءِ الْهَمِّ مَغْرَسُهُ .

(١) الغفر : ولد الازوية وهي أثنى الوعل (٢) الطالع : الاعرج
 (٣) البارق : البرق (٤) الرموس : القبور (٥) الخرز :
 ولد الارنب (٦) الضغيب : صوت الارنب (٧) هو الضوء الضعيف
 الذى يدخل من الكوة : أعنى الطابق الصغير (٨) المسد : حبل من الليف
 (٩) لامة : أى شخصه (١٠) النبراس : المصباح

وَبِأَجْذَالِ الْحِكْمَةِ مُذْ نَشَأَ تَمْرُسُهُ . حَتَّى عَلَا
 مِنْهَا سَرَاةُ^(١) الْمُنْبَرِ . وَرَكِبَ طَالِبُهُ أُصُولَ السَّخْبِرِ^(٢)
 وَقَدْ كَانَ فِيْمَنْ مَضَى قَوْمٌ جَعَلُوا الرِّسَائِلَ .
 كَالْوَسَائِلِ . وَتَزَيَّنُوا بِالسَّجْعِ . تَزَيْنَ الْمُحُولِ^(٣)
 بِالرَّجْعِ^(٤) . مَا رَقُوا فِي دَرَجَتِهِ . وَلَا وَضَعُوا قَدَمًا عَلَى
 مَحَجَّتِهِ لِكَنَّهُمْ تَعَايَنُوا . فَمَا تَبَايَنُوا . وَتَنَاضَلُوا . فَلَمْ
 يَتَفَاضَلُوا . وَلَوْ طَمِعُوا فِي الْوُصُولِ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ
 الْفُصُولِ . لَأَخْتَارُوا الرَّتَبَ عَلَى الرَّتَبِ^(٥) . وَرَضُوا
 اعْتِسَافَ السَّبِيلِ . وَارْتِعَاءَ الْوَيْبِلِ^(٦) . لِيُذْرَكُوا
 بِطَلَبِهِمْ مَا أُذْرِكُهُ عَنْ غَيْرِ جِدِّ . وَاعْتَرَفَهُ مِنْ بَدِيهِ

(١) سرة المنبر: أعلاه (٢) السخبير: نوع من النبات يطول ثم ينثني

(٣) المحول: الأرض المجدية (٤) الرجع: المطر (٥) الرتب:

الشظف والشدة (٦) يقال وبل المرتع: صار وخبيا

الْعِدِّ^(١) . وَكُلُّهُمْ لَوْ شَاهَدَهُ لَرَضِيَ بِأَنْ يُدْعَى
السُّكَيْتَ^(٢) فِي حَلْبَةِ سَيِّدِنَا فِيهَا سَابِقُ الرَّهَانِ .
وَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ زُجَّاءَ^(٣) فِي قَنَاةٍ هُوَ مِنْهَا مَوْضِعُ
السَّنَانِ . وَمَا وَرَدَتْ مَعَ عَبْدِهِ مُوسَى تِلْكَ الْغَرَائِبُ
الْمُوْنِسَةُ . وَالْقَلَائِدُ الْمُنْفِسَةُ . كَانَتْ بِمَنْزِلَةِ الْآيَاتِ
التَّسَعِ^(٤) ، الَّتِي أَلْقَاهَا الرَّحْمَنُ عَلَى ابْنِ عَمْرَانَ . أَبْطَلَتْ
كَيْدَ السُّحَّارِ . وَعَصَفَتْ بِهَشِيمِ الْأَشْعَارِ . وَوَرَدَ
فِي الْوَاحِيهِ عَصَوَانِ^(٥) الْمِيْمِيَّةِ . وَالْوَاوِيَّةِ . فَوَجَدَ فِي
وَطْنِهِ أَشْبَاحَ أَوْزَانٍ تُتَخَيَّلُ . وَأَنْقَاءَ^(٦) أَذْهَانَ تَهَيَّلُ .

(١) العد : الماء الذى له مادة لا تنقطع (٢) السكيت : العاشر من
خيل السباق (٣) الزج : الحديدة التى فى أسفل الرمح (٤) الآيات
التسع المذكور فى قوله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد الخ) وعلق
البحر . والعصا . واليد البيضاء . وتفجر الصخرة (٥) عصوان : أى
قصيدتان (٦) الانقاء : الرمال . والمراد أذهان سيالة ذكية

« فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ » .

مَا خَبَرَ عَبْدَهُ حَتَّى اخْتَبَرَ . وَلَا عَبَّرَ إِلَّا بَعْدَ مَا اعْتَبَرَ .

شَاهِدُنَا فِيمَا سَمِعْنَاهُ الْمَعْنَى الْحَصِيرُ^(١) . فِي الْوِزْنِ الْقَصِيرِ .

كَصُورَةٍ^(٢) كَسَرَى فِي كَأْسِ الْمَشْرُوبِ . وَتَمَثَّلَ^(٣)

قَيْصَرَ فِي الْإِبْرِيزِ الْمَضْرُوبِ . لَمْ يُزِرْ^(٤) بِهِ ضَيْقُ

الدَّارِ . وَقَصَرَ الْجِدَارِ . إِنْ تَغَزَلَ فَحَنِينُ الْعُودِ . أَوْ

تَجَزَّلَ فَهَدِيرٌ^(٥) الرَّعُودِ . وَإِنْ كَانَ — أَدَامَ اللَّهُ شَرَفَ

الدُّنْيَا بِهِ — اسْتَصَغَرَ مِنْ ذَلِكَ مَا اسْتَكْبَرَنَاهُ . وَاسْتَنْزَرَ

مِنْ أَدْبِهِ الَّذِي اسْتَعْمَرَنَاهُ . فَالَسَّرَ الْوَحْشَى يُعْجَبُ

مِنْ وَقُوفِ الْأَجْدَلِ^(٦) . عَلَى شُرَفَاتِ الْمَجْدَلِ^(٧) . وَهُوَ

(١) الحصير : الواسع الكبير (٢) المراد بها الصورة التي كانت

تصور على الكؤوس (٣) الصورة التي كانت تصور على الدينار

(٤) يزر : ينقص منه (٥) هدير الرعد : صوته (٦) الاجدال

جمع جدل . والاجدل : الصقر (٧) المجدل : القصر

غَيْرُ حَافِلٍ بِمَا آتَى . وَلَا مُعْتَقِدٍ أَنَّهُ اسْتَعْلَى . وَإِنْ كَانَ
 فِي وَانِيَةِ^(١) آدَابِنَا بَقِيَّةُ إِرْقَالٍ^(٢) . وَلَا نِيَّةَ أَفْهَامِنَا
 خَفِيَّةُ صِقَالٍ . فَسَوْفَ تَنْتَفِعُ وَهُوَ — أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ —
 ذَرِيعةُ الْإِنْتِفَاعِ . وَتُضَىُّ بِمَا أُهْدَىٰ إِلَيْهَا مِنَ الشُّعَاعِ .
 إِضَاءَةُ الصَّفْرِ^(٣) . بِمَا قَابَلَ مِنَ النَّيِّرَاتِ الزُّهْرِ . وَقَدْ
 يُرَىٰ خِيَالُ الْجُوزَاءِ عَلَى رِفْعَتِهَا . فِي أَضَاءَةِ^(٤) الْمِرْآةِ
 مَعَ ضَعْفِهَا . وَيُورِقُ الْعُودُ بِبَرَكَاتِ السُّعُودِ . وَتَفِيضُ
 الرِّدْهَةُ^(٥) . عَنْ نَوْءِ الْجَبْهَةِ^(٦) . وَلَوْ تَفَوَّهَ بِمَقَالٍ
 جَامِدٍ . وَهَمَّ بِاخْتِيَالٍ هَامِدٍ . لَنَشَرَّتِ الْمَعْرَةُ صُحُفَ
 الْإِفْتِخَارِ . وَسَحَبَتْ ذَيْلَ الْعِظْمَةِ وَالِاسْتِكْبَارِ .

(١) الوانية : المتأخرة (٢) الارقال : نوع من السيز

(٣) الصفر : النحاس (٤) الاضاءة : الماء (٥) الردهة : الحفرة

(٦) الجبهة : منزلة من منازل القمر

عُجِبًا أَنْ فِكْرَهُ يَلْحَظُهَا لَحْظَ السَّاهِي السَّامِدِ^(١) .
 لَا يَلْفِظُ بِذِكْرِهَا لَفْظَ الْحَامِدِ الْعَامِدِ . وَإِنَّمَا هُوَ
 فِي الرَّحِيلِ عَنْهَا كَجِسْمٍ ذِي رُوحٍ . نُقِلَ مِنْ
 الْغُرْقِيِّ^(٢) إِلَى اللُّوْحِ^(٣) . وَهِيَ بَعْدَهُ كَقَسِيمَةٍ^(٤)
 الْوَسِيمَةِ^(٥) . ذَهَبَ عِطْرُهَا . وَبَقِيَ نَشْرُهَا . وَإِنَّمَا
 شَرَفَتْ عَلَى مَا سِوَاهَا . وَطَالَتْ عَنِ الْبِلَادِ دُونَ
 مَا وَالَاهَا . لِإِقَامَتِهِ بِهَا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ . وَإِنَامَتِهِ
 عَنْ أَهْلِهَا نَوَاطِرَ أَزَامِ^(٦) . فَعَرَفَتْ عِنْدَ ذَلِكَ بِهِ .
 وَنَالَتْ خَيْرَهَا مِنْ حَسَبِهِ . كَمَا تَنَالُ كُلُّ دَارٍ يَحُلُّهَا .
 وَإِنَّمَا الْمَنَازِلُ الَّتِي يَنْزِلُهَا كَالشُّهْبِ^(٧) الشَّامِيَةِ

(١) السامد : اللاعب الساهي (٢) الغرقى : الغلالة التي بين قشرة
 البيضه وياضها (٣) اللوح : الجو والفضاء (٤) القسيمة : جونة
 العطر (٥) الوسيمه : المرأة الجميلة المعنى (٦) أزام : السنة الشديدة
 (٧) الشهب الشامية واليانية : منازل القمر جميعها

وَالْيَمَانِيَّةِ . الْمُؤَفِيَّةِ عَلَى الْعِشْرِينَ بِثَمَانِيَّةٍ . نَزَلَ بِهَا
 الزَّبْرَقَانُ^(١) فَاشْتَهَرَتْ . وَنَسَبَتْ الْعَرَبُ إِلَيْهَا كُلَّ
 سَحَابَةٍ أَمْطَرَتْ . وَكَمْ فِي أَدِيمِ^(٢) الْخُضْرَاءِ^(٣) . مِنْ
 أَشْبَاحِ مُضِيئَةِ زَهْرَاءِ^(٤) . اجْتَنَبَهَا فِي السَّيْرِ فَخَمَلَتْ .
 وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَيْهَا قَطْرُ سَحَابَةٍ هَمَلَتْ . وَرَأَى عَبْدُهُ
 أَنَّ ضَرْبَةَ اللَّازِمِ . عَلَى الْمُتَادَّبِ الْحَازِمِ . اتَّخَذَ آثَارِهِ
 (عَاشَ حَاسِدُهُ بِالْخُلُقِ الشَّكْسِ^(٥) . وَالْجِدِّ^(٦)
 الْمُتَعَكِّسِ) مَشَاهِدَ لِلْأَدَبِ مَحْضُورَةً . وَمَحَافِلَ
 بِالْمَذَاكِرَةِ مَعْمُورَةً . كَمَا يَتَّخِذُ تَقِيَّ الْخَلْفِ . مَوَاطِيئَ
 زَكِيِّ السَّلَفِ . مَوَاقِفَ يَتَخَيَّرُهَا لِطَهَارَتِهَا . وَمَسَاجِدَ

(١) الزبرقان : القمر (٢) الأديم : لون السماء (٣) الخضراء :

السماء (٤) المراد بأشباح الزهراء المضيئة النجوم (٥) الشكس :

العسر (٦) الجدد : الحظ

يَتَدَبَّرُهَا^(١) لِأَثَارِهَا^(٢) . وَإِنَّمَا فَضَّلَ الطُّورَ^(٣)
بِالْكَلِيمِ . وَالْمَقَامُ بِإِبْرَاهِيمَ . وَلَقَدْ سَمَوْنَا بِمُجَاوَرَتِهِ .
قَبْلَ مُحَاوَرَتِهِ . سُمُوَ الْيَثْرَبِيِّ . بِمُجَارِ النَّبِيِّ . وَلَعَلَّ
الْمَعْرَةَ قَدْ نَظَرْتَ أَصَحَّ النَّظَرِ . وَفَكَّرْتَ فِيمَا
لَا يَنْتَقِضُ مِنَ الْفِكْرِ فَعَلِمْتَ أَنَّهُ عِقْدٌ لَا يَصْلُحُ
لِمُقَلَّدِهَا^(٤) . وَسِوَارٌ يَرْتَفِعُ لِجَلَالَتِهِ عَنِ يَدِهَا .
وَتَاجٌ لَا يُطِيقُ حَمْلَهُ مَفْرُقِهَا^(٥) . وَجَوْنَةٌ^(٦) يَشْرُقُ^(٧)
بِذُرُورِهَا^(٨) مَشْرِقِهَا . وَهُوَ — أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ —
مِثْلُ مَا نُقِلَ مِنَ الْمَحَارِ^(٩) . إِلَى مَفْرُقِ^(١٠) الْمَلِكِ

(١) يتدبرها : يتخذها (٢) أثارها : شرفها وفضلها (٣) جبل
طورسينا الذي كلم الله موسى أول نبوته (٤) المقلد : مكان الفلادة من
العنق (٥) المفرق : الرأس (٦) الجونة : الشمس (٧) يشرق :
من شرق بريقه أى غص (٨) ذرورها : من ذرت الشمس أى طلعت
(٩) المحار : الصدف (١٠) المراد به مكان تاج الملك

الجَبَّارِ . وَمَعَانِيهِ الْأُولَى كَالشَّجَرَةِ . بَعْدَ اجْتِنَاءِ
 الثَّمَرَةِ . وَالصَّدْفَةَ بغيرِ جَوْهَرَةٍ . وَالْكِنَانَةَ الْخَالِيَةَ
 مِنَ السَّهَامِ . وَالْعَنَانَةَ ^(١) الْجَالِيَةَ فِي الْجَهَامِ ^(٢) . وَلَمْ
 يَخْفَ عَلَيْنَا أَنَّ الْعَيْثَ مِنَ الدُّجُونِ ^(٣) فِي مِثْلِ السُّجُونِ .
 وَأَنَّ مَوْضِعَ الزَّهْرَةِ . أَعْلَى الْعَبْهَرَةِ ^(٤) . وَأَنَّ الْقَمَرَ
 لَمْ يُخْلَقْ لِلسَّحَرِ . وَلَيْسَ لِلْمُسْتَعِيرِ أَنْ يَحْسَبَ
 الْعَارِيَةَ هِبَةً . وَلَا يَظُنَّ رَدَّهَا إِلَى الْمُعِيرِ مَثَلَةً .
 لَكِنْ شَرَفٌ لِلصُّعْلُوكِ . الْعَارِيَةُ مِنَ الْمُلُوكِ . وَقَدْ
 أَفَادَتْ هَذِهِ الْبُقْعَةُ الصِّيتَ ^(٥) الْبَعِيدَ . وَانْقَادَتْ
 لَهَا أُرْمَةٌ الْجَدِّ السَّعِيدِ . لِيَالِي أَمْنَتِهَا الْمَكَارِمُ عَلَيْهِ .

(١) العنانة الجالية : أى الواضحة (٢) الجهام : السحاب الذى هراق

ماؤه (٣) الدجون : جمع دجن . وهو الغيم (٤) العبهرة : زهرة

الترجس التى تكون فى أعلاده (٥) الصيت : بعد الذكر

وَاسْتَوَدَعْتَهَا الْبِرَاعَةَ حِدَّةً أَصْغَرِيَهُ . فَظَعَنَ وَارِجُهُ (١)

مُقِيمٌ . وَارْتَحَلَ وَالشَّاءَ تَخْيِيمٌ . فَهِيَ كَشَهْرَى زَيْعٍ

سُمِّيَا مَعَ الشُّهُورِ . فِي أَوَائِلِ الدُّهُورِ . ثُمَّ انْتَقَلَا

مِنَ الْجِدَّةِ . إِلَى الشَّدَّةِ . وَكَانَ مَعَهُمَا جَمَادِيَانِ فَصَارَتَا

بَعْدَ الْجَمْدِ (٢) . إِلَى الْوَمْدِ (٣) . وَأَبَتْ الْأَقَابُ . التَّغْيُرُ

بِمَمْرٍ الْأَحْقَابِ . فَفَضَّتِ الرُّسُومُ . وَخَلَدَتِ الْوُسُومُ

وَلَوْ لَا جَفَاءُ التُّرْبَةِ وَالْأَحْجَارِ . عَنِ التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ

الْجَارِ . لَأَصْبَحَتْ سَاحَتُهَا لِلتَّادِبِ مُخْتَارَةً . وَالْفَصَاحَةُ

مِنْ عِنْدِ أَهْلِهَا مُمْتَارَةً (٤) . فَقَدْ قِيلَ أَنَّ أَصْلَ الطَّيْبِ

عِنْدَ عَبْدَةِ الْأَبْدَادِ (٥) . أَنَّ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الأرج : الطيب (٢) الجمد : الشتاء (٣) الومد : الحر

(٤) ممتارة من الميرة وهي الطعام الذي يحمل على البعد (٥) الأبداد :

هَبَطَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ . وَلَكِنْ أَبِي الْجَمُودِ^(١) . قَبُولَ
 الطَّبِيعِ الْمُحْمُودِ . وَعُذِرَتِ الْكَائِيَّةُ^(٢) فِي الْهَمُودِ^(٣)
 وَالْإِنْسُ بِاجْتِدَابِ الْخَلِيقَةِ أَخْلَقُ . وَحَوَاشِيهِمْ
 بِطِلَابِ الْفَضِيلَةِ أَوْلَى وَأَلْيَقُ . فَلَوْلَا تَنَبَّهُوا وَقَدْ
 نَبَّهُوا . وَأَشْبَهُوا الْمَرْبِي إِذْ تَشَبَّهُوا . وَمَا هُمْ ابْنُ دَايَةَ^(٤)
 بِصَيْدِ الْجَدَايَةِ^(٥) . فَكَيْفَ يَلْتَقِطُ الْقَارُ^(٦) . بِالْمِنْقَارِ
 وَيَسْتُرُ الْقِرْوَاحَ^(٧) بِالْجَنَاحِ أَمْ كَيْفَ يُمَدُّ الطَّرَافُ^(٨)
 مِنَ النَّسْعِ^(٩) . وَيَقْدُ النَّجَادُ^(١٠) مِنَ الشَّسْعِ^(١١) . هَذَا
 مَا لَا يَكُونُ . وَلَا تَسْبِقُ إِلَيْهِ الظُّنُونُ . وَالظُّلْمُ الْبَيْنُ .

- (١) الجمود : الصخر
 (٢) الكائية : النار المغطاة بالرماد
 (٣) همود : الانطفاء
 (٤) ابن داية : الغراب
 (٥) الجداية : الغزالة
 (٦) القار : الآكام
 (٧) القرواح : الناقة الطويلة القوائم
 (٨) الطراف : قبة من الادم
 (٩) النسع : حزام الناقة
 (١٠) النجاد : حمالة السيف
 (١١) الشسع : سير النعل

وَأَخْطَبُ الَّذِي لَيْسَ بِهِيْنِ . تَكْلِيفُ الْقُطْبِ (١)
 النَّاتِ . مُدَانَاةُ الْقُطْبِ (٢) الثَّابِتِ . وَإِلْزَامُ نِسْرِ (٣)
 الْحَافِرِ . مَرَامُ النَّسْرِ الطَّائِرِ . وَإِذَا غَلَا الْمِرْجَلُ (٤) . مِنْ
 عَدُوِّ الْأَرْجَلِ (٥) . وَخَلَا الْفَقِيرُ بِالْوَقِيرِ (٦) . فَإِنَّمَا ذَلِكَ
 اتِّفَاقٌ . لَا إِحْقَاقٌ . وَغَايَةٌ لَيْسَ وَرَاءَهَا نِهَايَةٌ .
 وَقَدْ ضَمَّ الْمَسَانُ (٧) وَمِهَارَهُ (٨) مَيْدَانَ الْقِيَاسِ (٩) .
 وَشَمَلَ الْخَشَاشَ (١٠) وَجَوَارِحَهُ جَوْهُ الْمِرَاسِ . فَسَبَقَ
 الْغَدَوِيُّ (١١) . وَاقْتَنَصَ الْقُمْرِيُّ . وَإِنْ قِيلَ فَلَانَ

- (١) القطب الثابت : شجرة صغيرة (٢) القطب الثابت : النجم
 المعروف (٣) نسر الحافر : ظفر الجواد (٤) المِرْجَلُ : القدر
 (٥) الأَرْجَلُ : الفرس الذي في إحدى رجليه بياض (٦) الوقيرُ :
 القطيع من الغنم (٧) المسانُ . جمع مسن من الخيل (٨) المهارُ .
 جمع مهر (٩) والمراد من ميدان القياس . ميدان السباق
 (١٠) الخشاش من الطير . ما لا يصيد منها (١١) الغدوى .
 الصغير من الخيل

أَدِيبٌ . وَفُلَانٌ أَرِيبٌ . فَإِنَّ وَفَاقَ الْأَسْمَاءِ .
 لَا يَمْنَعُ الْفِرَاقَ عِنْدَ الرَّمَاءِ ^(١) الْعِرَادَةَ ^(٢) سَمِيَّةٌ .
 الْجِرَادَةَ . وَالذَّبَابُ . سُمِّيَ طَرَفَ الْقِرْضَابِ ^(٣) . وَقَدْ
 تَدْعَى الثَّمَامَةُ جَلِيلَةً . وَبَعْضُ الْهَامَةِ قَبِيلَةٌ . وَلَيْسَ
 كُلُّ مُثَوَّبٍ ^(٤) مُبَشَّرًا . وَلَا كُلُّ مُتَشَابِهٍ مُؤَشَّرًا ^(٥) .
 أَعْرَضَ شَاؤُهُ لَا يُتَعَلَّقُ بِنَصْبِهِ . وَعَنْ أَمْدٍ لَا يُتَعَبُّ
 فِي طَلَبِهِ . وَإِنَّمَا يُحْكَمُ بِثَمَرِ الْجَبَّارِ ^(٦) . لِمَنْ أَصْلَحَهُ
 فِي وَقْتِ الْإِبَارِ ^(٧) . وَيَصِيدُ ظَلِيمَ ^(٨) الْمَقَاءِ ^(٩) . مِنْ

(١) الرماء . الزيادة (٢) العرادة : اسم فرس (٣) القرضاب :
 السيف (٤) المثوب : الرجل الذي أشابثوه (٥) المؤشر : الرجل
 الذي بأسنانه تحذيد وأشار لأنه مستحسن عند العرب (٦) الجبار من
 النخل : الذي لم تنله الأيدي (٧) الإبار : تليقح النحل
 (٨) الظليم : ذكر النعام (٩) المقاء . الأرض الواسعة

زَهْدَ فِي ظَلِيمِ السَّقَاءِ^(١) . نَامَ وَاللَّهِ اللَّاغِبِ^(٢) .
وَأَذْلَجَ الرَّاغِبُ .

تَسَالَنِي أُمُّ وَهَيْبٍ جَمَلًا
يَمْشِي رُويْدًا وَيَكُونُ الْأَوَّلَا

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَنَاطِرٍ

مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبٍ

وَلَيْسَ حُسْنُ الظَّاهِرِ لِمُتَّظَاهِرٍ . وَلَا الْبَهَاءُ بِالْبَاهِرِ
وَمِنَ الزُّورِ^(٣) . ادِّعَاءُ الْمَشَاءِ لِلنَّزْوَرِ . وَإِنْ جُنْتُ^(٤)

الرِّيَاضُ . فِي الْأَنْوَاضِ^(٥) . وَاعْتَمَّ الْعَقِيقُ^(٦) بِالشَّقِيقِ .

(١) ظليم السقاء . لبن يشرب قبل أن يروب (٢) اللاغب . التعب

(٣) أى من الباطل أن يوصف الجاهل بالعلم (٤) يقال جن الروض

والنبت : اذا طال : وقيل اذا أزهى (٥) الأنواض : جمع نوض .

وهو السيل من الصعب الى السهل (٦) الشقيق : الوادى

فَإِنَّ الْأَبَارِقَ (١) لَمْ تُتَبَسَّطْ (٢) بِالنَّمَارِقِ . وَالْقَرَى (٣)
لَمْ يُفْرَشْ بِالْعَبْقَرَى (٤) . وَنَحْنُ عَلَى شَحَطِ الْمَعَانِ (٥)
وَأَعْتَراضِ الشُّهُوبِ دُونَنَا وَالرَّعَانَ (٦) . لَا نَعْدَمُ
مِنْ قَبْلِهِ تَثْقِيفَ الْمَائِلِ . وَالْإِرْشَادَ إِلَى الْمَنَارِ
الْمَائِلِ . بِكِتَابِ حِكْمَةٍ يُوفِدُهُ . وَعَهْدِ بَصِيرَةٍ
يَعْهَدُهُ . وَالْمُشْتَرَى (٧) وَالزَّهْرَةَ (٨) وَإِنْ نَأْيًا يُبَلِّغَانِ
الْمَحَابَّ مَنْ تَوَلَّىا . فِي زَعْمِ الْمُنَجِّمِينَ .
وَبَعْضِ الْفَلَاسِفَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ . نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ
الْمَقَالَةِ . وَنَسْتَكْفِيهِ الْإِيغَالَ فِي طُرُقِ الْجَهَالَةِ .

(١) الأبارق : جمع أبرق وهو غلظ من الأرض . فيه رمل وحجارة وطين

(٢) تبسط : تفرش (٣) القرى : مسيل الماء (٤) العبقرى البسط

(٥) المعان : المنزل (٦) الرعان : رءوس الجبال . (٧) المشتري :

نجم السعد الأكبر يقال له بالفارسية البرجيس (٨) السعد الأصغر

وَ لَكِنَّ الْمَثَلَ مَضْرُوبٌ . وَ الْخَلْقَ مُدَبَّرٌ مَرْبُوبٌ .
 وَ إِنْ ضَرَبَ أَوْ رَاقَ التَّيَّةَ^(١) بِمِصْرَ . وَ اسْتَحَفَّ مِنْ
 الْأَشْغَالِ السَّنِيَّةِ كُلِّ إِصْرٍ^(٢) . فَمَزَّ الْفَنَاءَ^(٣) بِإِذْنِ اللَّهِ مِمَّا
 يَرَعَاهُ . وَ مَزَّارِعُنَا أَحَدُ مَا يَكْلُوهُ وَيَتَوَلَّاهُ . فَالسيَّارُ^(٤)
 الْفَرْدُ عِنْدَهُمْ يَشْتَمِلُ بِوِلَايَتِهِ عَلَى الْأَقْطَارِ الْمُتَنَائِيَةِ .
 وَ يَنْتَظِمُ بِهَا أَقَالِيمَ ضِدَّ الْمُتَسَاوِيَةِ . وَ كُلُّ خَالِصِ
 السَّامِ^(٥) وَ قَدِيمِ سُمِّيَ^(٦) الْحَسَامِ . وَ أَخِي حُشَاشَةٍ^(٧) .
 مِنْ اللَّبِّ يَسْتَنْجِدُهَا . وَ فَرَّاشَةٍ^(٨) مِنْ التَّمْيِيزِ
 يَسْتَرْقِدُهَا . مُذْ رَأَى رَيْقًا^(٩) . سَامِهِ . وَ اجْتَلَى بِالتَّدْبِيرِ

(١) ضرب أوراق التيئة بمصر : أى حل فيها ونزلها (٢) الاصر :
 الحمل والوزر (٣) المزالف : المنازل التي تقرب من الريف (٤) السيار
 الفرد : أحد الكواكب السبعة (٥) السام : الذهب (٦) السمي :
 الصيت والشهرة (٧) الحشاشة : البقية (٨) الفراشة : أصل الماء
 القليل . واستعيرت في هذا الموضوع (٩) ريق كل شيء : أفضاه

رَوْتَقَ حُسَامِهِ . كَالسَّرَطَانِ^(١) فِي انْقِطَاعِ الصَّوْتِ
 النَّابِسِ . وَزَحَلَ فِي الْمِرَاجِ الْقَارِسِ . فَعِيهِمْ أَطْوَلُ
 مِنْ رِدَاءِ الْعُرُوسِ . وَوَعِيهِمْ أَبْكَأُ^(٢) مِنْ دَرِّ
 الْخُرُوسِ^(٣) . فَلَيْتَهُمْ كَذَوَاتِ الْأَصْوَاتِ الْمُتَنَصِّفَةِ^(٤) .
 وَالنَّاطِقِينَ بِأَسَلٍ^(٥) مُنْحَرِفَةٍ . فَإِنَّ الْعُجْمَةَ لِأَسْهَلِ
 مِنَ الْبُكْمَةِ . وَالْحُبْسَةَ . أَقْلُ ضَرَرًا مِنَ الْخُرْسَةِ .
 وَتَمَنَّى الْفَائِتِ . كَمُحَاوَلَةِ إِحْيَاءِ الْمَائِتِ . وَمَنْ
 يَجْعَلُ الرَّبُوبَةَ^(٦) رُوبَةً^(٧) . وَالسَّبْتَ عَرُوبَةً^(٨) .

(١) السرطان : حيوان من مخلوقات الماء لا صوت له (٢) أبكأ :

أى أقل ليناً (٣) الخروس : البكر اذا وضعت البطن الاول

(٤) المتنصفة : العجموات (٥) الاسل : اللسان

(٦) الربوة : ما أرتفع من الارض (٧) الربوة : ما انخفض من الارض

(٨) عروبة : يوم الجمعة

وَصَائِعُ أَدَاءِ الْفُرُوضِ قَبْلَ دُخُولِ الْأَوْقَاتِ ، وَالْإِحْرَامُ
بَعْدَ مُجَاوِزَةِ الْمِيقَاتِ . وَإِنْ كَانَ مَا اخْتَلَسَ مِنْهُمْ
لَا قِيَمَةَ لَهُ فِي النَّقِيْمَةِ ^(١) . وَلَا إِشَارَةَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ
الشَّارَةِ ^(٢) . فَارْتِيَاخُ اللَّاقِطَةِ ^(٣) . بِسَاقِطَةِ النَّقْدِ . كَارْتِيَاخِ
الْمَاشِطَةِ . بِوَاسِطَةِ الْعِقْدِ . وَلَا يُزِينُ لِأُمِّ السَّمِجَةِ ^(٤) .
مَقْتَهَا حُسْنَ الْبَهْجَةِ . وَلَكِنْ تَحْنُو عَلَيْهَا طَوْلَ الْحَيَاةِ .
وَتَحْزَنُ لِفَقْدِهَا عِنْدَ الْمَمَاتِ . وَجَوْرُهُ نَحْرُ الْأَفِيلِ ^(٥) .
إِذَا لَمْ يَسْتَقِلَّ بِعِبءِ الْفِيلِ . وَهَدْمُ سَخِيْفَاتِ الدُّورِ .
إِذَا فَرَعَتْهَا مُنِيفَاتُ الْقُصُورِ . وَكَسْرُ الْمِرْمَاةِ ^(٦) .

(١) التقيمة : النفس (٢) أهل الشارة : هم الادباء الاكياس

(٣) اللاقطة : هي الآخذة للشيء من الارض . ومن ذلك المثل : لكل

ساقطة في الحى لاقطة (٤) السمجة : الفيحة المنظر (٥) الافيل :

الصغير من الابل (٦) المرماة : سهم صغير

لِقِصْرِهَا عَنِ الْقَنَاةِ . وَدَفْنُ النَّابِ^(١) . إِذَا لَمْ تَلْحَقْ
 بِالشَّوَابِ^(٢) . وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَوَجَبَ تَرْكُ النِّعَمِ .
 إِلَّا مَا كَانَ كَلًّا وَنَعَمٌ . يُخْبِرُ بِهِ عَنِ الْإِرَادَةِ .
 وَيُمنَعُ قَلِيلُهُ مِنَ الزِّيَادَةِ . وَحَرْمٌ إِجْلَالًا لِمَا قَالَ :
 سَجَعُ الْكَلِمَتَيْنِ . وَتَقْفِيَةُ الْبَيْتَيْنِ . وَقَدْ كَانَتْ
 الْمُتَحَمَّسَةُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا . وَسَدَنَةُ الْأَوْثَانِ عَلَى أَوْلِيَّتِهَا
 لَا تَتَّخِذُ بَيْتًا مَرْبَعًا . إِجْلَالًا لِلْكَعْبَةِ وَتَوَرُّعًا .
 وَهَلْ طَالِبُ ذَلِكَ سِوَاهُ إِلَّا كَمُفْنِي السَّبِيَّةِ فِي نَسِجِ
 السَّبِيَّةِ^(٣) . وَمُضِيعِ الشَّرِيخِ^(٤) فِي التَّمَاسِ الْبَرَمِ^(٥)

(١) الناب : الناقة المسنة (٢) الشواب : النوق الفتية .

(٣) السبية : هي الشقة من الثياب (٤) الشريح : عنقوان الشباب

(٥) البرم : أُمُّ العضا

وَالْمَرْخُ^(١) . وَالسَّحْمُ^(٢) . لَا يَقَطَعُ الْوَحْمَ . وَالنَّشْمُ^(٣)
 لَا يُحْسَبُ مِنَ الرَّشْمِ^(٤) . وَكُلُّهُمْ غَيْرُهُ يُنْفَقُ مِنْ
 رَأْسِ مَالٍ تَزْرِي . وَلَا يُحْكَمُ عَلَى مَدِّهِ بِالْجُزْرِ^(٥) .
 لَكِنْ يَنْفَدُ الثَّغْبُ^(٦) . بِالثَّغْبِ^(٧) . وَيَفْنَى الشَّمْعُ
 بِخَفِيَّاتِ اللَّمْعِ . وَهُمْ فِي هَذَا الصَّقِيعِ^(٨) . كَأَسْنَانِ
 الْمَسَارِحِ^(٩) . وَنَوَاجِدِ الْقَمَرِ الْقَوَارِحِ^(١٠) تَنَكَّبُكُمْ
 الْفَوَائِدُ تَنَكَّبَ السَّهْمِ الْعَائِرِ وَالرَّكْبِ الْجَائِرِ .
 بِنَاحِيَةٍ أَمَّا الْعَدُوُّ فَنَازِلٌ
 مُطِيفٌ بِهَا فِي مِثْلِ دَائِرَةِ الْمُهْرِ

(١) المرخ : شجر كثير النار (٢) السحم : نوع من النبات
 (٣) النشم : شجر تصنع منه القسي (٤) الرشم : أول ما يظهر
 من النبات (٥) الجزر : انحسار الماء بعد مده (٦) الثغب : غدير
 في غلظ من الارض (٧) الثغب : جمع نغبة . وهي الجرعة (٨) الصقيع :
 الناحية (٩) المسارح : الامشاط (١٠) القمر القوارح : الحمير

يَحُولُ فِيهَا الْجَرِيضُ^(١) . دُونَ الْقَرِيضِ . وَالْحَذَارُ .
 دُونَ آدَاءِ الْإِعْتِدَارِ . فَقَدَّ أَدْمَى الْخَفِّ . وَطَاءَ الْقَفِّ^(٢) .
 وَذَهَبَ الْخَارِبُ^(٣) . بِذِي الْغَارِبِ^(٤) . وَإِنَّمَا هُوَ رَفِقٌ
 ثُمَّ اقْتَسَارٌ . وَلَيْسَ بَعْدَ السَّلْبِ إِلَّا الْإِسَارُ . فَهَمٌّ
 يَتَوَقَّوْنَ كَفَّةَ الْحَابِلِ . وَيَتَوَقَّعُونَ رَشْقَ النَّابِلِ .
 عَلَى أَنْ الْقَارِبِ^(٥) . أَخُو الشَّارِبِ . وَالْمُهْبَعِ^(٦) طَرِيدُ
 الرَّبِيعِ^(٧) . مَا أَقْرَبَ طَسْمًا مِنْ جَدَيْسٍ . وَأَذْنَى الْبَازِلِ^(٨)
 مِنَ السَّيْدَيْسِ^(٩) . لَا يَزَالُونَ يُمَارِسُونَ جَابَةَ^(١٠) . تَنْفِي
 النَّجَابَةَ نَفْيَ الدَّبْرِ^(١١) . لِلْوَبْرِ . وَالسَّبْعُ لابنِ الصَّبْعِ .

- (١) الجريض : الريق الذي يغص به (٢) القف : الغلظ من الارض
 (٣) الخارب : الذي يسرق الابل (٤) الغارب : ما قدام السنم
 (٥) القارب : السائر (٦) الهبع : الفصيل الذي يولد في آخر التاج
 (٧) الربيع : الفصيل الذي يولد في أول التاج (٨) البازل من الابل :
 الذي ظهر نابيه (٩) السديس : اصغر من البازل بسنة (١٠) الجابة :
 المعيشة الغليظة (١١) الدبر : جرح في ظهر الابل

وَيَبِينُ الزَّلْزَلُ فِيهِمْ مِنْ خَوْفِ الثَّلَلِ . كَمَا بَانَ
 الْقَلْحُ^(١) مِنْ وَرَاءِ الْفَلْحِ^(٢) . فَقَلِيلُ الْعِلْمِ مِنْهُمْ
 يُسْتَطْرَفُ . وَيُسْتَعْرَبُ وَلَا يَكَادُ يُعْرَفُ .
 كَالشُّنُوفِ^(٣) عَلَى الْأَنْوْفِ . وَالْحِقَابِ^(٤) فِي وَسْطِ
 الْعُقَابِ . وَالْوَدَعِ . فِي عُنُقِ الصَّدَعِ^(٥) . وَالغُورِ^(٦) .
 يَبْنِ أَهْلُ الْكُفُورِ^(٧) . لِأَنَّ سَالِمِهِمْ هَامَةٌ^(٨)
 الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَا خَافَ فَكَانَ
 قَدْ . وَلَوْ رَحَلُوا قَبْلَ أَنْ يُوْحَلُوا . وَتَوَكَّلُوا عَلَى
 اللَّهِ فِي الْمَسِيرِ قَبْلَ أَنْ يُوَكَّلُوا . لَنَفَعَ الْفِرَارُ

(١) الفلح : صفرة الاسنان (٢) الفلح : شق في الشفة السفلى

(٣) الشنوف جمع شنف وهو القرط (٤) الحقاب : شيء محلي

تصنعه المرأة على وسطها (٥) الصدع : الوعل (٦) الغور : الضياء

(٧) الكفور : القرى (٨) هامة اليوم أو غد : قرب موته

الْفُرَارُ^(١) . وَاسْتَرَاخَ الْقَفَارُ . إِلَى وَضْعِ الْأَوْقَارِ . وَكَمْ
 مُصَابِرَةٌ الذَّرْعِ . لِأَبْسِ^(٢) الذَّرْعِ . وَالْبِرِّ^(٣) . الْهَرِّ .
 وَإِنْ كَانَ دُونَ كَسْبِ الْعِتَادِ . مُمَارَسَةٌ خَرَطَ الْقِتَادِ^(٤)
 فَقَتَدُ الْمَالِغِ . أَوْطَأُ مِنَ الْعَتَدِ^(٥) ذِي الْقَالِغِ^(٦) .
 وَالْمَرْقَدُ . جَافٍ عَلَى ابْنِ أَنْقَدٍ^(٧) . وَإِنَّمَا يَشْدُو
 بِالْتَّرَمِّ شَادِيهِمْ . وَيَعْدُو فِي أَوْلَى الدَّعْوَى غَادِيهِمْ .
 يَبْنَ أَنْاسٍ يَقْظَةُ أَحَدِهِمْ أَقْصَرُ مِنْ لَحْظَتِهِ .
 وَسِنْتُهُ^(٨) أَطْوَلُ مِنْ سِنْتِهِ . وَحِلْيَةُ الدَّوَاةِ . لَدَيْهِ
 أَحْلَى الْأَدْوَاتِ . وَحُسْنُ الْيَرَاعَةِ . أَحْسَنُ مِنْ

(١) الفرار : ولد البقر (٢) لابس الذرع : الديب (٣) البر :
 الفأرة الصغيرة (٤) شجر ذو شوك (٥) العتد الفرس الموثق
 (٦) القالغ : دائرة تكون في ملبد الفرس وهي مكروهة (٧) ابن
 أنقد : هو القنفذ (٨) سنة من النوم : غطة منه

الْبَرَاةِ . فَإِذَا جَاءَ بَعْضُهُمْ بِسَمَارٍ^(١) . وَمَارَى
بِتَفْضِيلِهِ مُمَارٍ . فَقَدْ سَجَدَ السَّفْسَافُ . لِإِسَافٍ^(٢) .
وَأَهْدَى الْهَنْمَ^(٣) . لِلصَّمِّ . وَالسَّرْفَةَ^(٤) تَتَّخِذُ لِمَنْفَعَتِهَا
الْعُرْفَةَ . وَرُبَّمَا عَنَتِ^(٥) الْقَرَارَةَ^(٦) . بِالْعَرَارَةِ .
وَجُعِلَ الْخِمَارُ . عَلَى وَجْهِ الْخِمَارِ . وَلَيْسَ الضَّرِيعُ^(٧) .
بِالْمَرْعَى الْمَرِيعِ . عَلَى أَنَّ التَّفْكِيرَ . قَبْلَ التَّبْكِيرِ .
وَالْخُطْبَةَ^(٨) . ثُمَّ الْخُطْبَةَ^(٩) . فَأَمَّا بِحَضْرَةِ سَيِّدِنَا
— بَقِي وَوَقِي — حَتَّى يَلِبَ^(١٠) الْهَجْرَ^(١١) . إِلَى ضِيَاءِ الْفَجْرِ .
وَلَوْ بِصَلَاةِ الْعَصْرِ . مِنَ الْقَصْرِ^(١٢) . فَمَا يَسْعَهُمْ غَيْرُ

(١) السمار : المزوق بالماء . والمراد هنا الشيء التافه (٢) الاساف :

اسم ضم (٣) الهنم : الثمر (٤) السرفة : دويبه تتخذ بيتا من العيدان

(٥) عنت الارض بالنبات : أخرجته (٦) القرار : الارض المطمئنة

(٧) الضريع : نبت ينبت على وجه الماء لا ينتفع به (٨) الخطبة :

طلب الزواج (٩) الخطبة بالضم : هي خطبة النكاح (١٠) يلب : يدنو

(١١) الهجر : نصف النهار (١٢) القصر : آخر النهار

الإِسْتِمَاعِ . وَالتَّسْلِيمِ بَعْدَ الإِجْمَاعِ . فَإِنْ ذُكِرَ لَهُ
 — أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ — أَنَّ حَافِرَ القَلْبِ (١) .
 أَنْبَطَ (٢) المَحْضِ (٣) الحَلِيبِ . وَأَنَّ الرِّسَلَ (٤) . حُلْبَ
 العَسَلِ . وَأَنَّ نَجَلًا (٥) مِنْ رَاحٍ . ظَهَرَ فِي هَجَلٍ (٦)
 بَرَّاحٍ (٧) . فَعَارِضَتُهُ أَعْلَمُ بِالمُعَارِضَةِ . وَأَرْبَةٌ (٨)
 أَرْبَتُهُ أَقْدَرُ عَلَى المُنَاقِضَةِ . حَسْبُ التُّرْبَةِ نُطْفَةٌ .
 تَشْفِي الكُرْبَةَ . وَالنَّاقَةَ . عُلْبَةٌ (٩) عِنْدَ الإِفَاقَةِ (١٠)
 وَالجُمُجْمَةِ (١١) النِّيَابَةُ عَنِ السَّحَابَةِ (١٢) المَشْجَمَةِ .

(١) القلب : البئر (٢) أنبط : بلغ الماء واستخرجه (٣) المحض
 الحليب : اللبن الخالص (٤) الرسل : الابل (٥) نجلا من راح :
 نبعاً من خمر (٦) الهجل : مطمئن من الارض سهل (٧) برّاح :
 متسع (٨) الاربة : الفطنة (٩) العلبة : أناء يجلب فيه
 (١٠) الافاقة : الراحة بين الحلبتين (١١) الجمجمة : بئر في غلظ من
 الارض (١٢) السماية المثجمة : الدائمة المطر

وَذِكْرُهُ عَبْدَهُ بِمَا يُشْبَهُ مِنْهُ ، صَنِيعَةٌ يُضِيقُ عَنْهَا بَاعُ
 الشُّكْرِ . وَأَبْعَثُ وَهِيَ مِنِّي عَلَى ذِكْرِ . غَرَسَتْ
 الشُّرُورَ فِي سَرِيرَتِي . وَعَلَّمَتِ النَّفَّاسَةَ نَفْسِي .
 وَخَلَّدَتِ الْعِبْطَةَ فِي خَلْدِي . إِلَى أَنْ أُمِسِيَ (١) خَبِيَّ
 الرَّامِسِ (٢) . وَنَجِيَّ هِنْدِ (٣) الْأَحَامِسِ . هَضَبَ حِسِّي
 بَعْدَ مَا نَضَبَ ، وَبَغَشَ (٤) نَسِيسِي (٥) وَقَدْ نَسَّ
 فَانْتَعَشَ . وَعَرَّتْنِي الْأَرِيحِيَّةُ (٦) . الْمُسْتَقَّةُ مِنَ الرِّيَّاحِ
 الْعَرِيَّةِ (٧) . فَمَلَّتِ الصَّدْرَ . وَأَمَرْتَنِي بِجَاوِزَةِ الْقَدْرِ .
 لِأَنَّ الْجُنُوبَ . تُهَيِّجُ نَقْعَ الْجُبُوبِ (٨) . وَالشَّمَالَ . تُحْرَكُ

- (١) أمسى خبي الرامس : أى الى أن أقبر (٢) الرامس : الدافن
 (٣) يقال لقي فلان هند الاحامس : أذاعات (٤) يقال بغشه المطر :
 أصابه منه شيء ليس بكثير (٥) نيسى : بقية نفسى (٦) الاريجية :
 حفة تدرك الانسان اذا فرح (٧) العرية الريح الباردة (٨) الجبوب :
 الارض الغليظة

سَاكِنَ الرَّمَالِ . حَتَّى عَاتَبْتُ الضَّمِيرَ . وَالتَفَتُّ إِلَى السَّرِّ
 الْخَمِيرِ ^(١) . فَقُلْتُ السِّمَّةُ ^(٢) . فِي الْقِسْمَةِ ^(٣) . أَزَيْنُ مِنْ
 الْأَشْرِ ^(٤) لِلْبَشْرِ . وَطَالَمَا عَصَفَ النَّسِيمُ فَقَصَفَ . وَلَنْ
 أَكُونَ كَالغُبَارِ ثَارَ مِنَ الْمَلَاطِيسِ ^(٥) فَزَارَ الْمَعَاطِيسِ ^(٦)
 أَسْكَرَانَ أَنَا . أَمْ هَكَرَانَ ^(٧) ؟ إِنْ كُنْتُ انْتَشَيْتُ ^(٨)
 فَالْتَمَلُ ^(٩) يُقَوِّى الْأَمَلَ . أَوْ أَعْضَيْتُ فَالْوَسَنُ .
 يُرَى الْحَلْمَ الْحَسَنَ . هَذَا مَعَ إِحَاطَةِ الْيَقِينِ أَنَّ
 الْغَذْمَةَ ^(١٠) . لَا تُشَدُّ مِنْهَا الْوَذْمَةُ ^(١١) . وَأَنَّ الْبَرْقَ ^(١٢)

(١) الخمير: المستور (٢) السمة: أثر الكي (٣) القسمة: الوجه
 (٤) الأشر: البطر (٥) الملاطيس: جمع ملطس وهو فأس تكسر
 بها الحجارة (٦) المعاطيس: الأنوف (٧) الهكران: الناعس
 (٨) انتشيت: سكرت (٩) التمل: السكر (١٠) الغذمة واحدة من
 الغذم: وهو نوع من النبات (١١) الوزم: سيور تشد في عرى الدلو
 (١٢) البرق: الحمل «أى الحروف الصغير»

لَا يَسْتَحِقُّ كُنُوءَةَ السَّرِقِ^(١) . وَأَنَّ الْبَدِيعَ^(٢) .
لَا يُمَلَأُ مِنْ رِيسَلِ^(٣) الصَّدِيعِ^(٤) . تَزِيدُ الْمُرَارَةَ^(٥)
بِسُقْيَا الْمُرَارَةِ . وَرِيُّ الْمَقْرِ^(٦) . لَا يَخْلَعُ عَلَيْهِ .
لَوْنُ الشَّقْرِ^(٧) . وَمَنْ أَنَا حَتَّى يَصِفَنِي بِالنَّقَالِ^(٨) .
وَيَزِنَ بِي الثَّقَالَ . الْبَرِيرِ^(٩) . يُسَوِّدُ فَمَ الْفَرِيرِ^(١٠) وَأَنَّى
بِالنُّوُورِ^(١١) لِلنُّوَارِ^(١٢) . وَصَوَارِ^(١٣) الطَّيْبِ لِلصُّوَارِ^(١٤)
هَلْ أَدَبِي فِي أَدَبِهِ . إِلَّا كَالْقَطْرَةِ . فِي الْمَطْرَةِ .
وَالنَّحْلَةِ . عِنْدَ النَّحْلَةِ . وَإِنَّمَا صَاحِبُ الدَّرْهِمَيْنِ . غَنِيٌّ

- (١) السرقة : شقق من الحرير (٢) البديع : السقاء الجديد
(٣) الرسل : اللين (٤) الصديع : القطيع من الظباء
(٥) المقر : الصبر (٦) الشقر : شقائق النعمان (٧) ضرب
من سير الحيل (٨) ثمر شجر الاراك (٩) الفرير : الظبي الفتي
(١٠) التؤدر : دخان الشحم (١١) النوار : الظبية النفور من الوحش
(١٢) صوار الطيب : العطر (١٣) والصوار : قطع بقر الوحش

عَنْ صَاحِبِ الدَّرْهِمِ . وَالْأَفْطَسُ أَشْمٌ فِي تَخْيِيلِ
 الْأَكْشَمِ (١) . فَأَمَّا شَدَّادُ ابْنِ عَادٍ . وَعَاقِرُ الْجِيَادِ .
 فَالْبِدَى (٢) تَوَهُّمُهُمَا التَّرَاءُ . الْيَدَى (٣) . عِنْدَ جَالِبِ
 الْعَضْدِ (٤) . وَبَائِعِ الْخُضْدِ (٥) . فَضَاقَ ذُرْعِي فِي جَزَاءِ
 مَا تَطَوَّلَ بِهِ ضَيْقَ ذُرْعِ النَّمْلَةِ . بِاتِّخَاذِ الشَّمْلَةِ (٦) .
 وَالْحُمْنَانَةَ (٧) . بِثَقْبِ الْجَمَانَةِ . فَلَيْتَهُ — أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ —
 أَطَّلَعَ مِنْ عَبْدِهِ عَلَى كَنِينِ الْاِعْتِقَادِ . وَجَنِينِ (٨)
 السَّوَادِ . فَيَعْلَمُ أَنَّ الرُّوعَ . وَجَوَانِحَ الضُّلُوعِ .
 مُفْعَمَةٌ لَهُ بِالْاِعْظَامِ . مُتْرَعَةٌ بِمَحَبَّتِهِ اِتْرَاعَ الْجَامِ .

(١) الاكشم : مقطوع الالف (٢) البدى : العجب

(٣) اليدى : العضد (٤) التبرى : الواسع (٥) الخضد :

ما يؤخذ من أطراف العيدان الرطبة (٦) الشملة : كساء صغير

(٧) الحمنانة : الصغيرة من الفراد (٨) جنين السواد : ما يخفيه

سواد القلب

لَا لِأَنَّهُ جَعَلَ حَصَاتِي كَثِيرًا^(١) وَخَلَطَ عَثِيرِي^(٢)
 بِالْعَبِيرِ^(٣). وَلَا لِأَنَّ سَيِّدَنَا الرَّئِيسَ الْأَجَلَ وَالِدَهُ
 — أَدَامَ اللَّهِ سُلْطَانَهُ — سَبَقَ مِنَ الْإِفْضَالِ بِمَا
 رَبَقَ^(٤). وَقَدَّمَ مِنْهُ مَا كَانَ نَشْرُهُ السَّدَمَ^(٥)
 وَلَكِنْ لَمَّا أُوتِيَ أَقَالِيدَ^(٦) الْحَوَارِ وَنَطَقَ بِفُرُودِ^(٧)
 حَضَارٍ . وَعَلِمْتُ أَنَّهُ فِي صَاغِيَةِ^(٨) الْأَدَبِ . كَتَبْتُ
 فِي طَاغِيَةِ الْعَرَبِ . لَهَجْتُ بِجِبِّهِ لَهَجَ السُّوقَةِ
 بِحُبِّ الْمَلِكِ الرَّوْقَةِ^(٩) . إِذَا أَخَذَ بِالْفَضْلِ . وَحَكَمَ
 بِالْقَضَاءِ الْفَضْلِ . وَنَصَحْتُ لَهُ نُصْحَ الْهُدُودِ لِسُلَيْمَانَ

(١) الثبير : الجبل (٢) العثير : الغبار (٣) العبير : الزعفران

(٤) الربق : جعل الجبل في العنق (٥) سدى : ديدنى

(٦) أقاليد : أى مفاتيح (٧) فرود حضار : كواكب :

وحضار اسم كوكب شبيه بسهيل (٨) صاغية الادب : أهله

(٩) الروقة : الشاب الحسن

وَشِيعَتْ مَا أَذْكَرُ مِنْ نُبْلِهِ بِالْأَيْمَانِ . أَصِفُ وَكُلُّهُ
 وَصْفِي صَاحِبٌ . وَأَخْلِفُ وَحَلِيفِي تَسْبِيحٌ . حَتَّى اسْتَجْهَلَنِي
 الَّذِي لَا يَعْلَمُ . وَتَكَلَّمَ فِي تَضْلِيلِي مَنْ تَكَلَّمَ .
 لِأَنِّي مَا اقْتَنَعْتُ بِتَفْضِيلِهِ عَلَى الْأَحْدَاثِ . دُونَ
 سُكَّانِ الْأَجْدَاثِ^(١) . وَلَا غَلَبَتْهُ عَلَى الْغَابِرِ^(٢) . دُونَ
 الْكَاثِرِ . وَلَكِنْ وَجَبَتْ^(٣) الشَّخِيرُ^(٤) . وَرَجَبَتْ^(٥)
 الطَّرْفَ^(٦) الْأَخِيرَ . وَلَيْسَ النَّصْرُ . لِقَدَمِ الْعَصْرِ .
 وَلَا التَّجْوِيدُ^(٧) . بِذَهَابِ أَيْدِ الْأَيْدِ^(٨) . الرَّوْيِ^(٩) بَعْدَ

- (١) الاجداث : هي القبور (٢) الغابر : الباقي (٣) وجبت : أى
 حقرت وأسقطت (٤) الشخير : الحمار (٥) رجت : أى عظمت
 (٦) الطرف : الفرس (٧) التجويد : تصيير الشيء جيداً
 (٨) أيد الأيد : طول الزمان (٩) الروى : الحرف الذى تبنى

عليه القصيدة

التَّوَجِيهِ . وَأَخْدَرَ^(١) أَقْدَمُ مِنْ الْوَجِيهِ^(٢) . وَإِنْ
 كَانَتْ السَّيْرُ . بَغَيْرِ غَيْرٍ . وَالْخَبْرُ فَاقِدًا لِلْخَبْرِ^(٣) .
 فَالْحَبَّةُ بَعْدَ الْحَبَّةِ . وَالضِّيَاءُ تَالِي الْكُهْبَةِ^(٤) . وَمَا جَحَدَ
 أَحَدٌ ضُحَاهُ . وَلَا وَحَى^(٥) . مَخْلُوقٌ مِثْلَ مَا وَحَاهُ .
 وَلَكِنْ لِلْمُهَيِّجِ . بِالْفَارِطِ لَهَجٍ . وَالْإِحَادَةُ عَنِ الْعَادَةِ .
 تَمَخَّلَطُ الْمُورُ^(٦) بِالتَّامُورِ^(٧) . وَتُبَاشِرُ ظَلَامَ اللَّوْبِ^(٨) .
 بِظَلَامِ الْقُلُوبِ . وَقَدْ أَنْكَرَ مَنْ أَعْظَمَ الْعُزَّى
 وَاللَّاتَ . مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
 الْآيَاتِ . فَلَمْ أَفْتَأْ - وَاللَّهُ شَهِيدٌ - أَصْبَغُ الْأَفْقَ^(٩)

- (١) أخدر: حمار أهلى توحش (٢) الوجيه: فرس من خيل
 العرب (٣) الخبر: الكذب فى الأخبار (٤) الكهبة: الظلمة
 (٥) وحى: أى كتب (٦) المور: التراب (٧) التأمور:
 دم القبر (٨) اللوب: جمع لابه وهى الحرة التى تركبها حجارة سوداء
 (٩) الأفق: جمع أفيق . وهو الأديم مادام فى الدباغ

بِالشَّفَقِ . وَأَدْبَعُ الْأَدِيمِ بِالسَّدِيمِ^(١) . حَتَّى أَصْبَحَ
 الْيَافِعُ^(٢) النَّافِعُ وَالْهَمُّ^(٣) الْمُدْرَهُمُ^(٤) . وَمَنْ يَنْبَغُ مَا مِنْ
 وَارِفٍ^(٥) فِي السِّنِّ وَكَهْلٍ مُقْسِنٍ^(٦) . أَحَدَ رَجُلَيْنِ .
 إِمَّا عَالِمٍ . فَهُوَ مِنَ الْجَهْلِ سَالِمٌ . وَإِمَّا بَلِيدٍ . اهْتَدَى
 بِالتَّقْلِيدِ . وَهُوَ - أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَهُ - الْفَرْعُ الَّذِي
 نَبَعَ مِنْ أَصْلِ زَاكِ . فَسَمَقَ^(٧) إِلَى السَّمَاءِ وَحَفِظَ
 التُّومَ^(٨) . قَبْلَ أَنْ يَلْفِظَ بِالمَكْتُومِ . وَلَمْ يَزَلْ ضَبَّ^(٩)
 الْآفِنِ^(١٠) . لِعَبِّ^(١١) الصَّافِنِ^(١٢) . وَإِهْوَاءِ^(١٣)

- (١) السديم : الضباب (٢) اليافع : الغلام المرتفع (٣) هم :
 الشيخ (٤) المدرهم : الساقط من الكبر (٥) الوارف : الزائد
 (٦) المقسن : الذي اشتد وكبر (٧) سمق : علا (٨) التوم :
 كبار اللؤلؤ (٩) الضب : الحلب بكلتا اليدين (١٠) الآفن : الحالب
 الحاذق (١١) العب : الشرب (١٢) الصافن : الفرس
 (١٣) الأهواء : الالتقاء

الرَّادِسِ^(١) . لِإِرْوَاءِ الْقَادِسِ^(٢) . حَتَّى التَّأَمَّتِ اللَّامَةُ^(٣)
 مِنَ الزَّرْدِ^(٤) . وَتَأَلَّفَتِ الْعِمَامَةُ مِنَ الْقَرْدِ^(٥) . وَلَقَدْ
 هَمَمْتُ بِاسْتِرْفَادِ حَضْرَتِهِ الْبَهِيَّةِ مِنْ بَدَائِعِهِ مَا يَفْضُلُ
 الْمَالَ . وَيَكُونُ الْجَمَالَ . فَعَدَانِي عَنْ ذَلِكَ إِعْطَامِي
 لَهُ ، وَاسْتِحْقَارِي نَفْسِي . وَارْعَوْتُ^(٦) بِي الْهَيْبَةَ إِلَى
 إِرْمَامِي^(٧) وَكَفَى . وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَكُونَ التَّفَضُّلُ إِلَّا مِنْ
 قِبَلِهِ . فَوَعَدَ التَّشْرِيفَ بِمَا سَنَحَ مِنَ الْمَنْشُورِ وَالْمَنْظُومِ ،
 فَلِلْقُلُوبِ إِلَى وَعْدِهِ هَيَامٌ الظَّامِيَّةِ إِلَى النُّطْفَةِ الطَّامِيَّةِ .
 وَلَا تَزَالُ تَقْتَضِينَاهُ اقْتِضَاءَ الْمُدْنَفِ الْعَافِيَّةِ ، وَالْبَيْتِ
 الْقَافِيَّةِ . وَمَنْ لِلْعَفْرِ^(٨) بِالذَّفْرِ^(٩) ، وَالْقَفْرِ بِالْمَامِ

(١) الرادس : رمى الحجر في الماء ليعلو (٢) القادس : حجر
 يقسم به الماء بين الأبل (٣) اللامة : الدرع (٤) الزرد : الحلق
 (٥) الفرد : قطع صغيرة من السحاب (٦) ارعوت : رجعت
 (٧) الأرمام : السكون (٨) العفر : التراب (٩) الذفر : الرائحة الطيبة

السَّفَرِ . وَأَقْدَمْتُ عَلَى خِدْمَةِ حَضْرَتِهِ بِالْمُكَاتَبَةِ ،
لَأُنْهِيَ إِلَيْهَا مَا أَنَا عَلَيْهِ ، لَا تَكْثُرًا بِرِصْفِ الْمَنْطِقِ
عِنْدَهُ . وَهَلْ أَبْلُغُ أَنْ أُدْعَى فِي تَأْلِيفِ الْقَوْلِ عَبْدَهُ ،
وَقَدْ تُقْبَلُ صَلَاةُ الْأُمِّيِّ . وَيُسْمَعُ دُعَاءُ الْأَعْجَمِيِّ .
وَتَقْدُهُ — أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ — يَكْبُرُ عَنْ تَصَفِّحِ أَمْرِي .
وَتَجَاوَزُهُ يَسْتُرُ زَلِّي . وَعَثْرِي . لِأَنَّ الْمُدِيَةَ لَا تَصِلُ
إِلَى ضَبِّ الْكُدِيَةِ ^(١) إِلَّا بَعْدَ التَّبْرِيجِ ^(٢) . بِذَوَاتِ
التَّسْرِيجِ ^(٣) . وَالْإِثْيَانِ عَلَى مَالِ الْفِثْيَانِ . وَاللَّهُ أَسْتَجِيرُ
مِنْ كَلِمَةٍ . كَطَوَّقِ الْعِكْرَمَةِ ^(٤) يُحْسَبُ لَهَا كَالزَّيْنَةِ .
وَكَأَنَّهُ مِنْ حِدَادِ الْحَزِينَةِ . فَقَدْ حَلَّتْهَا بِعَبْقُرٍ ^(٥) .

(١) الكدية : الأرض الغليظة (٢) التبريج : من قولهم برح اذا
صنع به أمراً شاقاً (٣) التسريج : من قولهم سرحت الابل أو الغنم
اذا أرسلتها للرعى (٤) العكرمة : الحمامة (٥) العبقر : البرد

وَخَلَّتْهَا تَرْعَدُ مِنَ الْقُرِّ . مِنْ دُونِهَا يَظْهَرُ الضَّفْدَعُ^(١) .
 تَحْتَ الشَّبَدِيعِ . وَيُحْكَمُ بِالْجِلْسَامِ^(٢) . عَلَى الْأَجْسَامِ .
 وَالْعِنَايَةُ . بِجَارِمِ الْجِنَايَةِ . تَمْنَعُ الرَّوَاجِبَ^(٣) . مِنْ
 الْبَتِّ بِالْحُكْمِ الْوَاجِبِ . وَأَتَّبِعُ قَوْلِي لِمَا مَضَى .
 وَأَشِيْعُهُ إِذَا انْقَضَى . بَانَ أَقُولَ إِنْ كُنْتُ أَوْطَأْتُ^(٤)
 نَفْسِي فِي تَفْضِيلِهِ عَشْوَةً . أَوْ بَغَيْتُ عَلَى إِظْهَارِ الْحَقِّ
 رَشْوَةً . فَمُنِّيتُ بِالْحَاصِبِ^(٥) . وَالْعَذَابِ الْوَاصِبِ^(٦) .
 لَيْلُ الْخَرْصِ^(٧) . أَنْعَمُ مِنْ لَيْلِ الْمُتَخَرِّصِ^(٨) . وَنَهَارُ
 الْكَاذِبِ . أَبْأَسُ مِنْ نَهَارِ الْعَاذِبِ^(٩) . وَغِنَايَ فِي

- (١) الضفدع : تنوء يظهر تحت اللسان (٢) الجلسام : البلسام
 (٣) الرواجب : بطون الاصابع وظهورها (٤) أوطأته إذا
 غششته (٥) الحاصب : الريح التي تحمل الحصباء (٦) الواصب :
 الدائم (٧) الخرص : الجائع الذي يجرد البرد (٨) المتخرص :
 الكذاب (٩) العاذب : المسك عن الطعام والشراب

تَقْرِيظِهِ . عَنِ الْمَيْنِ ^(١) . وَمُسَاوَاةِ الْقَيْنِ ^(٢) . عَنَاءِ
 الْوَصِيفِ . عَنِ لُبْسِ النَّصِيفِ ^(٣) . وَالغُلَامِ . عَنِ
 الْإِخْتِضَابِ بِالْعُلَامِ ^(٤) . وَأَنَا عَلَى إِسْهَابِي ^(٥) كَخَابِطِ
 الظُّلَمَاءِ . وَبَاسِطِ الْيَدِ الْجَذْمَاءِ ^(٦) . وَلَوْ جِئْتُ مِنْ
 الزَّرَقِ ^(٧) بِكُرٍّ ^(٨) . مَا كَفَأْتُ عَلَى الْفَرِيدَةِ مِنَ الدَّرِّ .
 وَلَيْسَ سِرْبُ الْقَطَا وَإِنْ كَثُرَ . بِمُقَاوِمِ الْبَازِي وَلَوْ
 لَطْفَ وَصْعُرٍ . وَمِنْ الْعِبَاوَةِ مُبَاهَاةُ الشَّمْسِ بِسِرَاجٍ .
 وَمُوَاهَاةُ عَطَالَةَ بِالزُّجَاجِ . وَإِنَّ أَدْبِي لَيَنْظُرُ إِلَى أَدْبِهِ
 نَظَرَ جَرَبَاءِ الْعُنُوقِ . إِلَى جَرَبَاءِ الْعَيْوُقِ ^(٩) . وَأَيْنَ

(١) المين : الكذب : (٢) القين : حداد يضرب المثل بكذبه
 (٣) النصيف : الحمار (٤) العلام : الحناء (٥) أسهاب :
 أكثر (٦) اليد الجذماء : التي أصيبت بالجذام فقطعت (٧) الزرق
 نوع من الحرز لاقيمة له « تافه » (٨) بكر : مكيال (٩) العيوق :
 اسم نجم زاء

فِيهِ « كِتَابَ أَدَبِ الدُّنْيَا وَالِدِّينِ » وَأَنَّكَ قَدْ رَاعَكَ
فِيهِ كُلَّ الرَّوْعِ ، وَأَخَذَكَ كُلَّ الْأَخْذِ ، وَمَلَكَ عَلَيْكَ
لُبَّكَ وَهَوَاكَ ، مَا ذَكَرَهُ فِيهِ اسْتِمْسَاكَ بِعُرْوَةِ
دِينِهِ ، وَمُجَاهَدَةٍ لِيَطْمَحَ نَفْسِهِ « وَمِمَّا أَنْذَرَكُ بِهِ
مِنْ حَالِي ، أَنِّي صَنَّفْتُ فِي الْبُيُوعِ كِتَابًا جَمَعْتُهُ ،
مَا اسْتَطَعْتُ مِنْ كُتُبِ النَّاسِ ، وَأَجْهَدْتُ فِيهِ نَفْسِي ،
وَكَرَّرْتُ فِيهِ خَاطِرِي ، حَتَّى إِذَا تَهَذَّبَ وَاسْتَكْمَلَ ،
وَكِدْتُ أُعْجِبُ بِهِ ، وَتَصَوَّرْتُ أَنِّي أَشَدُّ النَّاسِ
أَطْلَاعًا بِعِلْمِهِ ، حَضَرَنِي وَأَنَا فِي مَجْلِسِي أَعْرَابِيَّانِ ،
فَسَأَلَانِي عَنْ بَيْعِ عَقْدَاهُ فِي الْبَادِيَةِ ، عَلَى شُرُوطٍ
تَضَمَّنَتْ أَرْبَعَ مَسَائِلَ ، لَمْ أَعْرِفْ لَشَيْءٍ مِنْهَا جَوَابًا ،
فَأَطَّرْتُ مُفَكَّرًا ، وَبِحَالِي وَحَالِهِمَا مُعْتَبَرًا ، فَقَالَ :

مَرَحَلَةٌ بَوَارٍ ، وَمَشَطٌ اغْتِرَارٍ ، وَمِرْقَاةٌ انْهِيَارٍ ،
وَمَغَبَّةٌ خَسَارٍ .

وَمَا أَخَالُكَ بَعْدُ ، إِلَّا عَالِمًا بِمَا هِيَ الْمَاوَرِدِيُّ ،
وَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ ، وَإِنْ كَانَتْ وَفَاتُهُ
عَلَى أَبْوَابِ فَجْرِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ . وَأَنَّ ظُهُورَهُ فِي الْعَالَمِ
الْإِسْلَامِيِّ ، كَانَ فِي أَطْوَارِ مَرَاجِلِ الْفِتْنَةِ ، وَتَلَاخُمِ
الْأَحْزَابِ . وَتَقَاتُلِ بَيْنَ الشَّيْعَةِ وَالسُّنَّةِ ، وَاشْتِطَاطِ
مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ ، وَغُلُوبِ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ ، وَخُرُوجِ لِسُلْطَانِ
الْخِلَافَةِ مِنْ يَدِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْمُفَضَّلِ ، الْمُطِيعِ لِلَّهِ
مِنْ سَلَالَةِ الْمُتَوَكَّلِ ، بِاِغْتِصَابِ الدَّيْلَمِ ، مِنْ رِجَالِ
بِهَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَضُدِ اللَّهِ ، وَإِنَّكَ لَذَاكَرْتَهُ تِلْكَ الْآيَاتِ
الَّتِي قَالَهَا الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ حِينَ شَاهَدَ بِعَيْنِهِ تِلْكَ

المَهْزَلَةَ الْمُحْزَنَةَ بَلِ الْخَاتِمَةَ الْمُفْجَعَةَ :

أَمْسَيْتُ أَرْحَمُ مَنْ أَصْبَحْتُ أَغْبَطُهُ

لَقَدْ تَقَارَبَ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْهُونِ

وَمَنْظَرٍ كَانَ بِالسَّرَّاءِ يُضْحِكُنِي

يَا قُرْبَ مَا عَادَ بِالضَّرَّاءِ يُبْكِينِي

وَإِنَّكَ لَعَمْرُكَ لَتَذْكُرُ إِلَى جَانِبِ هَذَا كَلَّهُ

اِقْتِطَاعَ ذَوِي النُّفُوزِ لِمُخْتَلِفِ الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ ،

فَذَاكَرُ أَنَّ الْمَنْصُورَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ رَاحَ بِالْأَنْدَلُسِ ،

وَأَنَّ الْفَاطِمِيَّيْنَ اخْتَصَمُوا بِمِصْرَ ، وَأَنَّ آلَ مُحَمَّدَانَ ،

اِقْتَطَعُوا دِمَشْقَ وَحَلَبَ ، وَأَنَّ آلَ بُويَهَ ، اسْتَقَلُّوا

بِغَدَادَ ، وَلَسْتُ أَشْكُ أَنَّكَ تَتَصَوَّرُ جَيِّدًا أَنَّ ذَلِكَ

النَّارَ وَالتَّقَاطِعَ ، وَتِلْكَ الْأَمْشَاجَ وَالدَّوَيَلَاتِ لَمْ

تَخَلُّ مِنْ نَفَاسٍ فِي الْفَضْلِ ، وَاسْتِيقَ إِلَى الْمَآثِرِ ،
وَعَدُوٌّ فِي طُلُبَةِ الْعِلْمِ ، وَطَمَاحٌ لِلْأَوْلَوِيَّةِ ، فِي
الْإِحْسَانِ ، فَكَانَ مِنْهَا لِلْأَدَبِ خَيْرُ رَوَاجٍ ، وَأَنْفَقَ
سُوقًا ، وَأَسْعَدُ أَوْقَاتٍ وَإِنَّكَ أَمْتَعَكَ اللَّهُ وَأَحْسَنَ
صَقْلَكَ ، وَأَجْزَلَ مَنْحَكَ ، وَأَتَمَّ هَدْيَكَ ، لَذَاكِرِهِ
إِلَى جَانِبِ وَسِيعِ عِلْمِكَ فِي الْمَآوَرِدِيِّ وَتَوَالِيْفِهِ ، وَآثَارِهِ
وَتَصَانِيْفِهِ ، مَنْ عَاصِرُهُ مِنَ اللَّدَاتِ وَالْإِخْوَانِ ،
مِمَّنْ تُزْرِي رَوَائِعُهُمْ بِآثَارِ سُجْبَانَ ، أَمْثَالَ الشَّرِيفِ
الرَّضِيِّ ، وَمِهْيَارِ الدَّيْلَمِيِّ ، وَأَبِي الْحَسَنِ الْأَنْبَارِيِّ
وَالْحَاتِمِيِّ وَالصَّابِيِّ وَالثَّعَالِبِيِّ ، وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ طَبَاطَبَا ،
بَلْ وَالصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ ، وَابْنِ الْعَمِيدِ الَّذِي قِيلَ
فِيهِ وَفِي سَابِقِهِ عَبْدُ الْحَمِيدِ : « ابْتَدَيْتَ الْكِتَابَةَ

بِعَبْدِ الْحَمِيدِ ، وَانْتَهَتْ بِابْنِ الْعَمِيدِ .
 وَلَعَلَّكَ تُطَالِبُنِي قَبْلَ مُطَالَعَتِكَ بِهَذَا السَّفَرِ
 السَّافِرِ ، وَالْبَدْرِ السَّاطِعِ ، وَالنَّجْمِ اللَّامِعِ ، وَالزَّهْرِ
 الْيَافِعِ أَنْ الْخِصَّ لَكَ فِي سُطُورِ فَحْوَى تِلْكَ
 الرَّسَالَةِ الْقَمِينَةِ بِالتَّدْيِيرِ ، الْخَلِيقَةِ بِالتَّعْبِيرِ ، الْجَدِيرَةِ
 بِإِنْعَامِ النَّظَرِ ، وَإِجَالَةِ الْفِكْرِ ، وَلَسْتُ بِرَادِّكَ
 عَنْ سُؤْلِكَ وَلَا مُتَسَكِّحٍ فِي صُلْبَتِكَ فَأَقُولُ مُلَخَّصًا :
 إِنَّكَ جَامِعٌ بَيْنَ كَوْنِكَ رَعِيَّةً لِمَلِكِكَ وَحُكُومَةً
 عَلَى رَعِيَّةٍ هَذَا الْمَلِكِ ، فَالْمَلِكُ وَهُوَ الَّذِي يُعْبَرُ عَنْهُ
 بِالسُّلْطَانِ هُنَا هُوَ وَحْدَهُ السَّائِسُ أَوْ الْحَاكِمُ بِأَمْرِهِ ،
 فَأَنْتَ أَكْثَرُ اضْطِلَاعًا بِالأَمْرِ فِي الدَّوْلَةِ : وَيَسْهَلُ
 قِبَادُ الْمَبَادِيءِ بِتَرْغِيْبِكَ النَّاسَ فِي سِيَاسَتِكَ وَتَضَعْبُ

عَلَيْكَ الْعَوَاقِبُ بِإِغْتَابِكَ النَّاسَ أَيْ صَرَفِهِمْ عَنْ
 سِيَاسَتِكَ بِالرَّهْبَةِ أَوْ الْجَوْرِ مَثَلًا ، مُسْتَظْهِرًا
 وَلِتَكُنْ أَيُّهَا الْوَزِيرُ عَلَى حَالٍ فِيهَا حَيْطَةً ،
 تُطَلِّبُ مَعَهَا أَنْ تَكْفِيَ مَوْئِنَةَ الْإِحْسَانِ
 إِلَيْكَ فَلَا تَقِفُ مِنَ النَّاسِ مَوْقِفَ مَنْ يَعْدُونَ
 إِحْسَانَهُمْ إِلَيْهِ .

بَايَعُ فِي وَقَايَتِكَ وَتَحْصِينِكَ مِنَ الْمَوْتِ وَلِكُلِّ
 أَجَلٍ كِتَابٌ وَتَوَكَّلْ حَقَّ التَّوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ مَعَ بَعْدِكَ
 حَقَّ الْبُعْدِ عَنِ التَّهْلُكَةِ .

إِنَّ مُسَالَمَتَكَ فِي غَشْيَانِ الْمَحْنَةِ أَوْلَى مِنْ مُغَالَبَتِكَ
 لِهَذَا الْقَدْرِ الَّذِي أَمْتَحِنُكَ فَإِنَّهُ غَالِبُكَ

إِذَا اضْطُرِرْتَ إِلَى الْمُخَالَطَةِ وَالْمُسَالَمَةِ فَكُنْ
عِنْدَ اضْطِرَارِكَ ، لَا تَعْتَبِ الزَّمَانَ عَلَى جَوْرِهِ ،
وَأَغْمِضْ عَيْنَكَ عَنْ ثَوْرَتِهِ .

الْعَدْلُ فِي الْمَالِ أَلَّا يُؤْخَذَ إِلَّا مِنْ وَجْهِ حَلَالٍ ،
وَلَا يَقِفَ دُونَ صَرْفِهِ لِمُسْتَحَقِّهِ مُحَالٌ .

الْعَدْلُ فِي الْقَوْلِ أَنْ يُوزَعَ بَيْنَ النَّاسِ بِحَسَبِ
دَرَجاتِهِمْ .

زِنِ الثَّنَاءَ وَالهِجَاءَ بِمِيزَانِ التَّقْدِيرِ لِلِإِسَاءَةِ
وَالِإِحْسَانِ ، فَإِنْ أُرْغِبْتَ بَعْدَ ثَنَاءٍ لِمُسْتَحَقِّهِ ، أَوْ أُرْهَبْتَ
بَعْدَ هِجَاءٍ لِمَوْضِعِهِ ، كُنْتَ الْعَدْلَ فِي قَوْلِكَ .

الْمُجَازَاةُ مُسْتَوْجِبَةٌ بِالْقَانُونِ السَّمَاوِيِّ أَوْ الْوَضْعِيِّ
مَتَى وَجِدَ سَبَبُهَا ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ زُلْفَى أَوْ صِلَةً

فَإِنَّ هَذَا يُخْرِجُهَا عَنْ وَاجِبِيَّتِهَا إِلَى لَوْنِهَا التَّبَرُّعِيِّ
الاستجدائي ، وَيَقِفُ بِالْمُجَازِي مَوْقِفَ الْمُحَابِي
أَوِ الْمَدَاهِنِ ، فَيَذْهَبُ شَأْنُهُ كَمَا ذَهَبَ خَطَرُ الْمُجَازَاةِ ،
نَعَمْ إِنَّ الْوَزِيرَ لَهُ خِيَارُهُ فِي تَقْرِيْبِ مَنْ شَاءَ ، وَإِبْعَادِ
مَنْ أَرَادَ . وَلَكِنْ هَذَا إِذَا خَلَا رَأْيُهُ مِنَ التَّحَامُلِ
عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَضْلَ ، وَمِنَ التَّعَصُّبِ لِمَنْ يَسْتَوْجِبُ
الْعِقَابَ ، وَمَوْقِفُ الْوَزِيرِ عَلَى هَذَا الْحَالِ ، مَوْقِفُ الْمُتَبَرِّعِ
فِي الْحَالَيْنِ ، وَالتَّبَرُّعُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ بِشَطَطٍ وَإِسْرَافٍ ،
وَكِتَابٌ يُقْصَدُ بِهِ وَجْهُ الشَّيْطَانِ .

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْتَحِقُّ وَعْدَكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ
يَسْتَحِقُّ وَعِيدَكَ ، فَيَجِبُ أَنْ تُنَجِّزَ الْوَعْدَ لِمُسْتَحِقِّهِ
لِأَنَّهُ حَقٌّ عَلَيْكَ ، وَلَكَ أَنْ تَمْحُوَ وَعِيدَكَ لِأَنَّهُ حَقٌّ

لَكَ ، وَالْعَفْوُ مَكْرَمَةٌ وَشَرَفٌ ، غَيْرَ أَنْ تَرَكَ الْوَعِيدَ ،
يَجِبُ أَنْ تَظْهَرَ وَازِعُهُ إِذَا بَطَنَ ، حَتَّى تَكْفَلَ الْهَيْبَةَ
فِي أَوْامِرِكَ وَنَوَاهِيكَ ، فَلَا يُعْمَرُ جَانِبُكَ مِنْ
خُصُومِكَ وَشَانِيكَ .

أَنْتَ إِزَاءَ الْمُحْسِنِ مُثِيبٌ ، وَإِزَاءَ الْمُسِيءِ مُعَاقِبٌ ،
وَلِزَامٌ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا ، فَإِذَا اسْتَطَعْتَ
وَاسْتَبَدَلْتَ بِالشَّوَابِ وَعَدًّا كَانَ هَذَا الْوَعْدُ تَقْصِيرًا ،
أَوْ إِنْ اسْتَبَدَلْتَ بِالْعِقَابِ وَعِيدًا كَانَ هَذَا الْوَعِيدُ
عَجْزًا ، فَلَيْسَ يُرَادُ بِالْوَعْدِ إِلَّا إِنْجَازُهُ ، وَبِالْوَعِيدِ وَقُوعُ
مَضْمُونِهِ ، وَجَنَّبَ نَفْسَكَ الْغَضَبَ وَإِثَارَ الْإِنْتِقَامِ ،
حَتَّى لَا تَلْحَقَكَ مَعْرَةٌ الْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ إِذَا خَالَفَ
كِلَاهُمَا مَبْدَأَ التَّأْدِيبِ وَالْإِزْدِجَارِ .

الغَضَبُ خُلَّةٌ لِسَلِيبِ الْحُجَّةِ ، وَإِذَا كَانَ لَهُ عِزَّةٌ
ظَاهِرَةٌ فَقَدْ يَمْحُوهَا ذُلُّ الْإِعْتِدَارِ لِلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ ،
وَاللِّغْظِ وَيَلَاتُ تَضَاعَفُ بزيَادَتِهِ .

وَلتَجْعَلِ التَّغَاضِيَّ عَنِ الْمُسِيءِ بَدِيلًا مِنَ الْغَضَبِ
عَلَيْهِ ، فَإِنَّ فِي التَّغَاضِيِّ وَعَيْدُ صَامِتٌ ، يُقَوْمُ الْخُصْمُ ،
وَيَعْدِلُ بِالْمُسِيءِ إِلَى الْإِنَابَةِ .

إِذَا كَانَ لَا بُدَّ لَكَ مِنَ الْغَضَبِ ، فَلَا يَكُونُ كَغَضَبِ
الْعَامَّةِ وَالذَّهْمَاءِ ، لَا تُرْسِلِ الْقَوْلَ فِيهِ عَلَى عَوَاهِنِهِ ،
وَلَا يَسْلُبُ دَمَكَ أَوْ يَضْطَرِبُ فَيَتَغَيَّرُ لَوْنُكَ ، وَلَا
يَخْفُ جَسَدُكَ فَتَمُدُّ يَدَكَ لَا كَمَا أَوْ رَأْسَكَ نَاطِحًا ،
بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْغَضَبُ مَظْهَرَ قُوَّةٍ ، وَحَذَارِ
اللَّجَاجِ وَحَدَهُ أَوْ مُقْتَرِنًا بِهِ الْغَضَبُ . وَإِذَا رَأَيْتَ

هَوَادَةٌ تَمْحُو بِلِجَاكَ ، فَمِنَ الْعِزَّةِ أَنَّ تَعُودَ إِلَى رَأْيِكَ
لِيُنْتَفَعَ بِهِ . وَإِنَّ هَذَا هُوَ الْخُلُقُ .

إِنَّ سُلْطَانَكَ فِي الدَّوْلَةِ يَحْفِزُكَ إِلَى اسْتِكْمَالِ هَيْبَتِكَ
وَتَوَخَّى الْحَقَّ فِي قَوْلِكَ وَفِعْلِكَ . وَالْهَزْلُ يَمْحَقُ
الْهَيْبَةَ ، وَهُوَ مَرْتَعٌ خَصِيبٌ لِلْبَاطِلِ . وَآيُّ حَاكِمٍ
هَازِلٍ يَسْتَطِيعُ دَفْعَ الْهَازِلِينَ عَنْ بَابِهِ وَطَمَعِهِمْ
فِي جِبَائِهِ ؟

لَا يَحْسِبَنَّ قِصَارُ الْإِدْرَاكِ أَنَّ الْجِدَّ كَبْرٌ وَعُظْفٌ ،
وَأَنَّ الْهَزْلَ تَوَاضَعٌ وَعَظْفٌ ، كَمَا لَا يُبَالِغَنَّ صَاحِبُ
السُّلْطَانِ فِي اتِّخَاذِ الْجِدِّ سَبِيلًا لِتُرْكَزَ هَيْبَتُهُ ، أَوْ فِي
اسْتِخْدَامِ الْهَزْلِ وَسَيْطَا لِحَفْزِ الشَّعْبِ إِلَى مَحَبَّتِهِ ،
فَقَدْ يَتَرَدَّى فِي الْأُولَى إِلَى الْجِدِّ الْمُسَكَّبِ ، وَفِي الثَّانِيَةِ

إِلَى الْهَزَلِ الْعَطُوفُ وَلَنْ يُمَكِّنَ حِسْبَانُ الْجِدِّ كِبْرًا،
 وَلَا حِسْبَانُ الْهَزَلِ عَطْفًا، إِذِ الْمَعْرُوفُ أَنَّ الْكِبَرَ
 وَالتَّوَاضِعَ مِنْ شِيمِ النَّفُوسِ، وَالْجِدُّ وَالْهَزَلُ مِنْ
 أَفْعَالِهَا، وَفَرَقٌ كَبِيرٌ بَيْنَ هَذِهِ وَتِلْكَ .

لَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ عَلَى الْجِدِّ الْإِسْتِرْوَاخُ بِبَعْضِ
 الْهَزَلِ، فَأَكْلُ بَعْضِ التَّوَابِلِ إِلَى الْإِسْتِمْرَاءِ بِاللُّحُومِ
 يُسَاعِدُ هَضْمَ الطَّعَامِ، فَإِنَّ مَكْرُورَ الْجِدِّ يَبْعَثُ عَلَى
 الْمَلَالِ، وَلَا حَزْمَ لِلْمَلُولِ . وَاسْتِجْمَاعُ قُوَّةِ النَّفْسِ فِي
 مُحِيطِ الْحَقِّ يُعَوِّزُهُ خَطَرَةٌ أَوْ خَطَرَاتٌ مِنَ الْهَزَلِ
 مَا دَامَ هَذَا لَا يُؤَثِّرُ عَلَى دِينٍ، وَلَا يَفْتُ فِي مُرُوءَةٍ .
 الصِّدْقُ مُطَابَقَةُ الْخَبَرِ لِلْوَاقِعِ أَوْ لِلِإِعْتِقَادِ،
 وَالْكَذِبُ ضِدُّهُ، وَكَمَا يَتَجَانَى الْجِدُّ وَالْهَزَلُ يَتَجَانَى

الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ . وَالصِّدْقُ لَازِمٌ مِنْ لَوَازِمِ
 الْعَقْلِ ، وَالْكَذِبُ مِنْ لَوَازِمِ الْجَهْلِ . وَالْكَذِبُ
 زُورٌ كَأَنَّهُ خَيَالٌ وَيَجِبُ أُطْرَاحُهُ وَإِنْ خِيلَ أَنَّهُ يَنْفَعُ ،
 لِأَنَّ هَذَا النَّفْعَ كَالسَّرَابِ ، لَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْفِضِحَ وَيَظْهَرَ
 بِهِ الْغُرُورُ .

الْوَزَارَةُ قِسْمَانِ : تَقْوِيضٌ ، تَنْفِيذٌ :

فَالْأُولَى أَعْمٌ وَأَشْمَلُ ، وَتَنْضَوِي تَحْتَ سُلْطَتِهَا
 إِدَارَةُ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَيَدِ هَذِهِ الْوَزَارَةِ كُلُّ مَرَافِقِ
 الدَّوْلَةِ ، وَلَهَا الْعَقْدُ وَالْحُلُّ ، وَالتَّوَلِيَّةُ وَالْعَزْلُ . وَيُرَى
 أَنَّ لَا بُدَّ فِي الْعَقْدِ مِنَ التَّنْفِيذِ وَالْإِقْدَامِ ، وَأَنَّ لَا بُدَّ
 فِي الْحُلِّ مِنَ الدَّفَاعِ وَالْحَذَرِ .

رَبِّكَ وَتَقِيًّا. إِنْ هَذَا هُوَ الَّذِي كَفَرَ
بِالْحَقِّ فَكُلُّ شَيْءٍ عَدْوٌ لَهُ يُخَالِفُ
تَسْوِيَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ
وَعَزَائِهِ لِمَنْ خَلَقَهُ حَسْبُ الْعَدُوِّ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ
يَهْدِي مَن يَشَاءُ : يَا أَيُّهَا

الْمُؤْمِنُونَ

إِنْ هَذَا هُوَ الَّذِي كَفَرَ بِالْحَقِّ
فَكُلُّ شَيْءٍ عَدْوٌ لَهُ يُخَالِفُ
تَسْوِيَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ
وَعَزَائِهِ لِمَنْ خَلَقَهُ حَسْبُ الْعَدُوِّ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ
يَهْدِي مَن يَشَاءُ : يَا أَيُّهَا

الْمُؤْمِنُونَ

إِنْ هَذَا هُوَ الَّذِي كَفَرَ بِالْحَقِّ

يُوغِرُ صَدْرَ الْمَلِكِ ، وَيَمَلَأُ نَفْسَهُ حِقْدًا عَلَى الْوَزِيرِ ،
 وَكَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الْمَلِكِ فِي تَوَافِهِ
 الْأَرَءِ وَحَقِيرِهَا فَيَشْغَلَ نَفْسَهُ بِمَا لَا يَصِحُّ أَنْ
 يَنْشَغَلَ بِهِ .

إِنَّمَا يَعْزِضُ الْأَمْرَ عَلَى الْمَلِكِ لِيَقُولَ كَلِمَتَهُ فِيهِ ،
 فَإِذَا كَانَ مُعَارِضًا لِلْوَزِيرِ تَقَبَّلَ اسْتِدْرَاكَهُ بِقَبُولِ
 حَسَنٍ ، وَإِنْ رَأَى اسْتِضَاحَهُ أَسْبَابَ الْمُعَارِضَةِ تَخَيَّرَ
 لِهَذَا أَرْقَّ الْأَسَالِيبِ فِي الْخُطَابِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ قَدْ
 أَقَامَهُ وَكَيْلًا بَيْنَ سِيَاحِ مِنْ عَهَادَتِهِ وَمُشَارَفَةِ
 مِنْهُ لِأَعْمَالِهِ ، وَالْمَفْرُوضُ بَادِيٌّ ذِي بَدءٍ أَنْ قِسْطَ
 الْمَلِكِ فِي قَبُولِ الرَّأْيِ مُعْظَمُهُ ظَنٌّ وَرِييَةٌ .

فَإِنَّ رَأْيَ الْوَزِيرِ أَنْ اسْتِدْرَاكَ الْمَلِكِ الْمَلِكَ

لَيْسَ قَوِيًّا ، أَوْ أَنَّ رَأْيَهُ أَيْ الْمَلِكِ ضَعِيفٌ نَفَذَ رَأْيَهُ
طَاعَةً لَهُ ، وَتِلْكَ حَالَةٌ لَا تَكَادُ تُوجَدُ إِلَّا فِي مَوَاطِنِ
الِاسْتِبْدَادِ الْأَعْمَى مِنَ الْمُلُوكِ .

الثَّالِثُ : تَنْفِيزُ آرَاءِ الْمُوظَّفِينَ الْمُضْطَلَعِينَ بِأَعْبَاءِ
الْعَمَلِ الْوُكَلَاءِ عَنِ الْوَزِيرِ ، وَمَوْقِفُهُ فِي هَذَا الْقِسْمِ أَنَّ
يُعْضَى لَهُمْ آرَاءُهُمْ فِي غَيْرِ مُصَادَرَةٍ لَهُمْ وَلَا تَعْقُبٍ ، إِلَّا
إِذَا تَأَكَّدَ خَطْلَ هَذِهِ الْآرَاءِ وَزَلَّ لَهُمْ فِيهَا ، وَإِذْنُ فَرَمِ
الْمَأْخُودُونَ بِهَا وَالْمَسْئُولُونَ عَنْهَا .

وَإِنْ وَقَفُوا هَذِهِ الْآرَاءِ عَلَى تَنْفِيزِهِ « أَيْ الْوَزِيرِ »
فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَوْعِبَ أَسْبَابَهَا وَمُلَابَسَاتِهَا ، وَيَسْتَكْشِفَ
خَطَايَاهَا وَصَوَابَهَا ، عَلَى أَنَّهُ لَا يَأْلُو جُهْدًا دَفْعًا لِلرَّيْبِ
عَنْهُمْ وَتَقْوِيَةً لِأَيْدِيهِمْ .

فَإِذَا خَلَتْ أَرَاؤُهُمْ فِي عَيْنِهِ مِنْ كُلِّ خَلَلٍ وَتَفَّذَهَا
 كَانَتْ مَسْئُولِيَّتَهَا عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ وَقَفَهَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ
 عَنِ الْإِمْضَاءِ وَالتَّنْفِيزِ ، كَانَ وَزْرٌ وَقُوفٌ عَائِدًا عَلَيْهِ ،
 إِذِ الْمَفْرُوضُ أَنَّهُ يُتَّحَدَّاهُمْ بِهَذَا الْوُقُوفِ .

تَنْفِيزُ أُمُورِ الرَّعَايَا عَلَى مَا صَرَفَهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ
 وَجُوهِ الْعَمَلِ مَثْرُوكٌ إِلَيْهِمْ ، لِأَنَّ فِطْرَةَ النَّاسِ اسْتِقْلَالُ
 كُلِّ قَبِيلٍ بِنَوْعٍ مِنْ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ حَتَّى يَتِمَّ مَعْنَى
 مَدَنِيَّتِهِمْ بِالطَّبْعِ ، وَكُلُّ مَيْسَرَةٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، فَلِلزَّرَاعِ
 حُقُوقُهُمْ وَبَسَاتِينُهُمْ ، وَلِلصَّنَاعِ صِنَاعَاتُهُمْ الْمُخْتَلِفَةُ ،
 وَلِلتُّجَّارِ مَتَاجِرُهُمْ تَنْصَرِفُ إِلَيْهَا عَادَتُهُمْ ، وَعَلَى الْوَزِيرِ فِي
 تَنْفِيزِ هَذِهِ الْأُمُورِ وَإِقْرَارِهَا ، أَلَّا يُعْرِقِلَ أَوْ يَعْتَرِضَ
 أَى قَبِيلٍ فِي مِهْنَتِهِ أَوْ يَشَارِكُهُ فِي مَكْسَبِهِ ، وَمُشَارَكَةُ

السُّلْطَانِ فَجَوَّةٌ بَيْنَ هُوَاءِ وَيْنِ نَظْمِ حَيَاتِهِمْ
 الْمَعِيشِيَّةِ ، إِذْ رُبَّمَا اخْتَصَّ مِيْلَهُ بِالتَّجَارَةِ مَثَلًا فَيُنْقَلُ
 إِلَيْهَا مَنْ لَا يَعْرِفُونَ عَنْهَا حَتَّى مَبَادِيهَا الْأَوَّلِيَّةِ
 مِنَ الزَّرَّاعِ أَوْ الصَّنَّاعِ ، يَنْمَأَ يَنْقَلُ مَكَانَهُمْ بَعْضُ
 التُّجَّارِ وَهَذَا هُوَ الْإِضْطِرَابُ وَالِاخْتِلَالُ .

البَوَارُ لِمَلِكٍ تَنْحَطُّ فِيهِ نَفْسُ السُّلْطَانِ إِلَى دَرَكِ
 الْعَامَّةِ فِي مَكَاسِبِهِمْ ، فَإِذَا شَرِهَتْ نَفْسُ الْمَلِكِ فَضْنَ
 عَلَى شَعْبِهِ بِمَوَارِدِ رِزْقِهِ ، أَوْ شَارَكَهُ فِيهَا ، فَرَّاحَ
 يَتَّجِرُ مَعَ التُّجَّارِ ، أَوْ يَزْرَعُ مَعَ الزَّرَّاعِ . فَإِذَا رَغِبَ
 فِي التَّجَارَةِ مَثَلًا كَانَتْ حَوَائِنُهُ الْمُسْتَرَادَ وَالْمَذْهَبَ
 لِلزَّبَائِنِ ، لِأَنَّ فِي مَكْتَبِهِ أَنْ يَذْهَبَ بِهَا إِلَى الذَّرْوَةِ ،
 وَمَتَى وَسِمَتْ بِاسْمِهِ صَاقَتْ الْأَرْزَاقُ أَوْ قَلَّتْ عَلَى مَنْ

عَدَاةٌ مِمَّنْ يُشَارِكُونَهُ ، وَهُوَ بِحُكْمِ كَوْنِهِ تَاجِرًا
 يَتَجَرَّدُ عَنْ عَاطِفَةِ الْخَنَانِ عَلَى الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ ، فَكُلُّ
 هَمِّهِ أَنْ يَكْسِبَ وَلَوْ غُلِقَتْ دُونَ شَرِّهِ أَبْوَابُ
 وَافْتَقَرَتْ نَفُوسٌ .

هَذَا عَلَى أَنَّ دَالَّتَهُ بِشَرَفِ تَاجِرِهِ تُحَى فِي مِهْنَتِهِ
 الطَّامِعَةِ وَمِحْنَتِهِ الْجَائِعَةِ . فَمَا يَنْبَغِي لِلْمُلُوكِ أَنْ يَتَعَدَّوْا
 مَوَادَّ السُّلْطَنَةِ فِي مَكَاسِبِهِمْ فَإِنَّهَا أَشْرَفُ الْمَوَارِدِ
 رِزْقًا وَأَنْبَلُهَا مَكْسَبًا .

عُقِدَ هَذَا الْفَصْلُ لِيُثَبِتَ أَنَّ الدِّفَاعَ مِهْمَةٌ يَقُومُ
 بِهَا الْوَزِيرُ ، وَقَسَّمَ الدِّفَاعُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ :
 الْأَوَّلُ : الدِّفَاعُ عَنِ الْمَلِكِ مِنْ أَقَارِبِهِ ، وَهَذَا
 الدِّفَاعُ ثَلَاثُ وَسَائِلَ (١) أَخَذَهُمْ بِالرَّعِيَّةِ فِي الزَّامِهِمْ

طَاعَةَ الْمَلِكِ ، وَبِالرَّهْبَةِ لِكْفِهِمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ
 (ب) أَنْ يَحُولَ دُونَ نُفْرَتِهِمْ أَقْوِيَاءَ أَوْ تَفْرِيقِهِمْ ضِعْفَاءَ
 بِكِفَايَتِهِمْ (ح) أَنْ يُبَاعِدَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِغْوَاءِ
 وَالْإِغْرَاءِ مُتَتَبِعًا فِي هَذَا أَخْبَارَهُمْ ، فَيَعْلَمَ ظُرُوفَهُمْ الْخَاصَّةَ
 وَالْمُشْتَرَكَةَ ، وَعَامِلًا دَائِمًا عَلَى بُعْدِ الْمُفْسِدِينَ عَنْهُمْ .
 لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ بِالْمَلِكِ فِي دِفَاعِ الْوَزِيرِ عَنْهُ مِنْ
 أَوْلِيَائِهِ ، أَنْ يَتْرَكَ لَهُمْ فُرْجَةً إِلَى الْقُوَّةِ فَيُصْبِحُوا
 أَعْدَاءَ مُسَلِّطِينَ ، وَلَا أَنْ يَسْتَدْلَهُمْ فَيُصْبِحُوا بِالضَّعْفِ
 عَجْزَةً مُسْتَدَلِّينَ ، وَفِي غَفْلَةِ الْوَزِيرِ أَوْ مَهْلِهِ فِي هَذَا
 النَّوْعِ مِنَ الدِّفَاعِ ، يَتَجَلَّى الْمَوْقِعُ إِمَّا رَائِعًا أَوْ رَائِقًا ،
 وَكِلَاهُمَا شَرٌّ مَخْشَى الْمَعْرَِّةِ .

الدِّفَاعُ عَنِ الْمَمْلَكَةِ مِنْ أَكْفَاءِ مِمَّا ثَلَيْنَ ، وَهُوَ لَاءٌ

يُدْفَعُونَ بِالْمُجَالِبَةِ وَالْمُحَالَفَةِ ، وَمِنْ عُظْمَاءِ مُتَقَدِّمِينَ ،
 وَأَوْلِيَّكَ يُدْفَعُونَ بِالْمَلَاظِفَةِ وَالْمَلَايِنَةِ ، وَمِنْ
 نَاجِمَةٍ مُنَافِسِينَ ، وَدِفَاعُ هَذَا الصَّنْفِ لَا يَكُونُ إِلَّا
 بِالْعُنْفِ وَالْمُخَاشَنَةِ .

وَالْأَصْلُ فِي الدِّفَاعِ الرَّأْيُ لَا السَّيْفُ ، فَإِذَا نَجَحَ
 فِي دِفَاعِهِ بِالْقَوْلِ ، وَكُنِيَ مُؤْوِنَةً الْحَرْبِ مَعَ الْجَمِيعِ
 أَوْ مَعَ ضَعِيفٍ مِنْهُمْ ؛ كَانَ بِهِذَا مُضَاعَفَ النَّصْرِ
 وَالنَّجَاحِ . فَقَدْ اسْتَطَاعَ الدِّفَاعَ ، وَاسْتَطَاعَ السَّلَامَ .
 وَلَا يَحْسَبَنَّ فِي السَّلْمِ نَقْضَ لَبِنَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ صَرْحِ
 هَيْبَةِ الدَّوْلَةِ وَكِرَامَتِهَا

عَلَى أَنَّهُ فِي السَّلْمِ يَحْظَى لِدَوْلَتِهِ بِالْأَشْيَاءِ
 الْأَرْبَعَةِ الْمَذْكُورَةِ

لِيَكُنْ رَأْيُكَ الْحِيلَةَ مَا وَجَدْتَ لَهَا الْوَسِيلَةَ ،
 وَإِذَا طَاوَلَ عَدُوُّكَ وَتَمَاهَلَ ، فَلَا تَسَامَنَّ وَلَا تَتَعَجَّلْهُ ،
 فَإِنَّكَ فِي الْإِبْطَاءِ جَامِعُ نَفْسِكَ وَتَفْكِيرِكَ لِفُرْصَةِ
 تَنْهَرٍ ، وَغَوْرَةٍ يُؤْخَذُ بِهَا خَصْمُكَ ، وَفِي الْمَلْحَمَةِ
 أخطارٌ ، فَلَا تُرَجِّحِ الظَّفَرَ فِي مُلَاقَاةٍ أَوْ اصْطِدَامٍ ،
 وَإِذَا تَقَدَّمَ إِلَيْكَ عَدُوُّكَ بِطَاعَةٍ ، فَظْفَرْ بِهَا دُونَ
 الْغَنِيمَةِ الْمَرْجُوءَةِ بِالْحَرْبِ ، إِنَّكَ بِهَذَا تَحْقِنُ دِمَاءَ
 أَصْحَابِكَ وَرَعِيَّتِكَ ، وَتَدَخِرُ نَفُوسَ الْجُنُودِ لِحَرْبٍ
 لَا رَيْبَ فِيهَا .

إِبْسِ الْحَذَرَ وَالِإِحْتِيَاظَ دِرْعًا سَابِغَةً . وَلَكَ
 اخْتِيَارٌ وَلِلْقَدَرِ أَسْبَابٌ ، فَلَا تَتَّكِلْ عَلَيْهِ فِي الْأُمُورِ ،
 فَمَا أَحْرَزَ النَّصْرَ إِلَّا مُجَاهِدٌ غَالِبٌ ، وَلَا هُزِمَ إِلَّا

فَمَا قَلِيلٌ وَمَا قَلِيلٌ
مِنْ خَلْقٍ خَدَّيْهِ ، وَكَأَيَّ ظَهْرٍ
أَعْتَبْتُمْ هَذَا السُّوْطِ الَّذِي
عَدَّوْا بِهِ ، مَبْتَدَأَ بَشْرَهُ
فَمَا الْوَيْلُ لِقَوْمٍ قَدِ

وَمَوْتُوا وَمَشَافِسُ .

وَمَا دَفَّعُوا لِرَبِّهِمْ
عَلَيْهِمْ .

وَمَا دَفَّعُوا لِرَبِّهِمْ
عَلَيْهِمْ .

شَرًّا إِلَّا وَعَلَى نَفْسِهِ جَنَى . وَلِلْوَزِيرِ فِي عَفْوِهِ
 شُكْرُ الْحَلِيمِ وَقَدْ قَدَرَ ، وَفِي مُقَابَلَتِهِ بِالْمِثْلِ عُذْرُ
 الْحُرِّ إِذَا انْتَصَرَ . وَلَكِنَّ لَذَّةَ الْعَفْوِ أَطْيَبُ مِنْ
 لَذَّةِ التَّشْفِي .

وَلَكَ حَقُّكَ فِي اسْتِدْفَاعِ عِدَاوَةِ هَذَا الْوَاتِرِ ،
 وَدَفْعِكَ عِدَاوَتَهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ طِبَاعِهِ : فَقَدْ تُدْفَعُ
 بِالرَّغْبَةِ ، وَقَدْ تُدْفَعُ بِالرَّهْبَةِ . وَهَذَا الَّذِي عَادَاكَ فِي
 مَظَاهِرِهِ أَوْهَنُ الْأَعْدَاءِ كَيْدًا ، وَأَعْجَزُهُمْ فِي الْمُسَاجَلَةِ .
 وَيُعْوِزُكَ دِفَاعُكَ الْمُنَافِسَ فِيهِ الْحُنْكَةَ وَالْمُدَاوِرَةَ ،
 فَإِنَّهُ طَالِبُ رُتْبَةٍ يَنْفَسُ عَلَيْكَ فِي سُلْطَانِكَ . فَإِنْ نَالَ
 مِنْ رُتْبَتِهِ سَدَّ خَلَّتِهِ لَانَ وَانْقَادَ ، وَإِنْ قَامَتِ الْعُقَبَاتُ
 فِي مَذْهَبِهِ نَافَرَ وَخَاصَمَ ، وَحَقَّدَ وَحَسَدَ ، فَيَسِّرُ لَهُ

بِالِاسْتِنَابَةِ طَرِيقِ الْحَيَاةِ . وَلَا يُتَمَكَّنُهُ مِنْ فُرْصَةٍ
يَتَبُّ مِنْهَا عَلَى سُلْطَانِكَ ، فَإِنَّهُ مُضْطَرٌّ ، وَالْمُضْطَرُّ
جَرِيُّ الشَّرِّ مُسْتَبَاحُ الْغَضَبَةِ .

وَإِنَّكَ لَتَضْطَنِعُهُ إِذَا أَمَكَّنْتَ لَهُ فِي الْعَيْشِ ، وَالدُّنْيَا
أَيَّامَهَا سِجَالٌ : يَوْمٌ فِيهِ الدَّوْلَةُ لَكَ ، وَيَوْمٌ فِيهِ الدَّوْلَةُ
عَلَيْكَ . فَاعْمَلْ فِي يَوْمِكَ الْأَوَّلِ ، مَا يَدْفَعُ عَنْكَ
عَادِيَاتِ يَوْمِكَ الثَّانِي . وَرُبَّمَا كَانَ لِهَذَا الْمُنَافِسِ
نَجْدَتُهُ لَكَ حِينَ تُنَاشِدُ النَّجْدَةَ ، وَتَسْتَغِيثُ التَّوْفِيقَ .
ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ :

مِنْ حُقُوقِكَ عَلَى الْمَلِكِ إِلَّا يُنَكِّرَ بِلَاءَكَ
فِيَتَحَدَّكَ بِبَدِيلٍ ، وَأَنْتَ بَعْدُ مَا طَاشَ سَهْمُكَ ،
وَلَا خَبْتَ جَذْوَةَ نَشَاطِكَ ، إِنَّ فِي هَذَا بَتْرًا لِنَشَاطِكَ ،

وَاعْتِرَاضًا لِتِيَّارِ جِهَادِكَ وَمُزَاوَلَتِكَ الْأَمْرَ بَعْدَ تَجَنُّبِهِ
 جُهْدٌ مُتَكَلِّفٌ وَخُطُوبَاتٌ أَعْمَى ، وَلَيْسَ فِي الْمَمْلَكَةِ
 مَنْ هُوَ زَعِيمٌ بِأَعْبَاءِ الْأَمْرِ سِوَاكَ فَحَقَّتْ لَكَ
 الرَّعَايَةُ وَالتَّقْدِيرُ .

وَمِنْ حُقُوقِكَ عَلَيْهِ « الْمَلِكِ » أَلَّا يَغْمَزَ جَانِبَكَ
 بِتَفْوِيتِ أَمْرٍ عَلَيْكَ لَيْسَ لَكَ فِيهِ اخْتِيَارٌ ، بَلْ نَازِلًا
 عَلَى حُكْمِ الْقَضَاءِ ، وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا إِلَّا الْفُحْشَ فِي
 التَّجَنُّبِ وَالتَّنْكَرِ مِنَ الْمَلِكِ . فَاللَّهُ أَرَادَ وَقَدَّرَ فَمَا
 ذَنْبُكَ ؟ إِنَّهُ بِهَذَا يُكَلِّفُكَ فَوْقَ مُحِيطِ قُدْرَتِكَ ،
 وَوَرَاءَ طَاقَتِكَ ، وَلَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ،
 ثُمَّ يَهَيِّبُ بِهِ فِي حَذَرِهِ مِنَ الزَّمَانِ إِلَّا تَزْدَهِيئَهُ
 النِّعْمَةَ وَالسُّلْطَانَ عَنِ الْعِظَةِ بِالْخُطُوبِ وَالْحَدِثَانِ ،

وَأَنَّ دَوَامَ الْحَالِ مِنَ الْمُحَالِ ، وَإِكْلٍ دَوْلَةٍ زَوَالٌ ،
 فَالذُّنْيَا تُفِيئُكَ الْيَوْمَ ظِلِّهَا ، وَتُدَلِّكَ فِي حِضْنِهَا
 وَغَدًا تَكْشِرُ لَكَ عَنْ نَابِ غُولٍ ، وَتَفْتَحُ لِكُلِّ
 خُطْوَةٍ مِنْ خُطْوَاتِكَ زُبَيْةً لِاقْتِنَاصِكَ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ
 نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ .

وَعَلَيْكَ لِحَذْرِكَ مِنَ الزَّمَانِ أَنْ تَجْتَلِبَ النَّاسَ
 فِي يَوْمِ دَوْلَتِكَ بِاصْطِنَاعِهِمْ ، وَادِّخَارِ الْأَيْدِي عِنْدَهُمْ ،
 وَاجْعَلْ مِنْ شَبَابِ يَوْمِكَ فَضْلَةً لِمَشِيْبِ غَدِكَ ، تَقْضِ
 حَيَاتَكَ فِي أَمْنٍ مِنَ الْعَفَاءِ .

وَلْيَكُنْ شَأْنُكَ وَالنَّاسَ شَأْنِ الْمُسْتَرِيحِ مِنْ
 مُغَاضِبَتِهِمْ وَتَعْدَادِ تَرَاتِهِمْ عِنْدَهُ . فَقُدِّرْ تُكَ فِي يَوْمِكَ
 مُتَلَاشِيَةً بِمَطْلَعِ غَدِكَ .

وَآخِرَتِكَ . . . لِيَكُنْ لَكَ مِنْ بَعَثِهَا وَنَشُورِهَا
 وَمِيزَانِهَا وَصِرَاطِهَا صُورُ الْعِظَةِ فِي يَوْمِ اسْتِجْمَامِكَ
 مَعَ أَخْذِ حَظِّكَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنْهَا
 النَّفْسُ طَمَاحَةٌ إِلَى الْعُلَا ، وَلَا تَصِلُ إِلَى غَرَضِهَا
 الْأَسْمَى ، إِلَّا بَعْدَ تَحْمُلِ الْعَنَا ، مُصَاحَبَةِ الْأَخْيَارِ ،
 وَمُدَاهَنَةِ الْأَشْرَارِ وَجَمَاعِ الْأَسْرَارِ نُبْلٌ . خَوْفٌ
 الرَّعِيَّةِ مِنَ الْعَمَالِ ، وَاضْطِرَابُ الْأَعْمَالِ مِنْ نَتَائِجِ
 الْإِهْمَالِ . كِلَاهُمَا مِنْ سُوءِ السَّيْرِ وَفَسَادِ السِّيَاسَةِ .
 وَأَنْتَ جَدِيرٌ أَيُّهَا الْوَزِيرُ بِأَنْ تَرُدَّ الْأُمُورَ إِلَى
 نِصَابِهَا وَتُجْرِيَ الْمِيَاهَ إِلَى مَجَارِيهَا ، بِغَيْرِ شِدَّةٍ وَلَا
 عُنْفٍ ، وَلَا قُوَّةٍ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ ، « فَإِنَّكَ رَاعٍ
 وَكُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » الدُّنْيَا لَيْلٌ وَنَهَارٌ ،

مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
 الْمَأْوَىٰ « فَقَلَّدَ الْأُمُورَ مَنْ هُوَ أَهْلٌ لَهَا وَجَدِيرٌ
 بِهَا ، حَتَّى يَسُودَ النَّظَامُ وَيَلْتَمِمْ الْخَرْقُ وَيُرْتَقِ
 الْفَتْقُ ، وَيَنْجَبِرَ الصَّدْعُ .

وَأَجْعَلِ الْقَاضِيَ مُنْصِفًا ، وَبِالْأَمَانَةِ مُتَّصِفًا ،
 وَبِالدِّينِ مُتَمَسِّكًا حَتَّى يُوفَّى وَيَسْتَوْفَى ، وَمَنْ كَانَتْ
 لَهُ جَوَارٍ وَخَدَمٌ فَأَحْسَنَ الْقِيَامَ عَلَيْهِمْ وَنَهَضَ
 بِتَدْيِيرِ شُؤُونِهِمْ فَوَلَّهُ قِيَادَةَ الْجُنْدِ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ
 مَالٌ فَأَحْسَنَ التَّصَرُّفَ فِيهِ ، فَوَلَّهُ الْخَرَاجَ ، وَهُنَالِكَ
 يَكُونُ الشَّمْلُ مُجْتَمِعًا وَالشَّعْبُ مُلْتَمِّمًا ، وَالزَّمَانُ بِوَجْهِ
 النَّصْرِ مُقْبِلًا ، وَأَمْضِيَتْ الْحُكْمَ بِالْعَدْلِ ، وَالتَّدْيِيرَ
 بِالصَّوَابِ ، وَأَبْرَمْتَ الْأُمُورَ بِالسَّدَادِ ، وَوَصَلْتَ

لِيُطِيعَكَ جَسَدُهُ ، وَأَحْسِنَ سَرِيرَتَكَ ، لِتَحْسُنَ لَكَ
عَلَانِيَتُهُ ، لِأَنَّ الْقُلُوبَ مُنْبِئَةٌ عَنِ الضَّمَائِرِ حَتَّى
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنَّ الْكَلَامَ لَنِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا
جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا
وَرَاقِبِ اللَّهِ فِي سِرِّكَ وَعَلَانِيَتِكَ ، وَظَاهِرِكَ
وَبَاطِنِكَ ، فِي يَوْمِكَ وَأَمْسِكَ ، حَاضِرِكَ وَمُسْتَقْبَلِكَ
لِتَفْزُ بِرِضَاهُ فِي عَاجِلِكَ وَآجَلِكَ . فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِعَمَلِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ،
وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ » . وَأَكْثَرُ مَنْ مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَابْعَدُ
عَنْ مُجَالَسَةِ السُّفَهَاءِ ، وَاسْمَعْ لِقَوْلِ أَهْلِ النُّهَى ،
وَتَوَدَّدْ إِلَيْهِمْ يُحِبُّوكَ ، وَتَوَاضَعْ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ .

وَقَدْ حَانَ لَكَ أَنْ تَمْضِيَ مَعَنَا فِي انْتِهَالِنَا سَوِيًّا مِنْ
 أَفَلَوِيْقِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ ، الْمُتَضَمِّنَةِ وَعُظًّا قَاطِعًا ،
 وَعِلْمًا جَامِعًا ، وَحُكْمًا رَادِعًا ، وَقَوْلًا مَانِعًا :
 قَالَ الْمَاوَرِدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ ، قَالَ
 الْإِمَامُ : قَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو الْحَسَنِ ، عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ
 ابْنِ حَبِيبِ الْمَاوَرِدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ :
 الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا هَدَى وَأَرْشَدَ ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى
 مَا وَفَّقَ وَسَدَّدَ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى رُسُلِهِ الطَّاهِرِينَ ،
 وَأَوْلِيَائِهِ الْبُرَّةِ الْمُنتَخِيْنَ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .
 أَمَّا بَعْدُ : فَقَدْ التَزَمَ الطَّاعَةَ مَنْ دَعَا إِلَيْهَا ،
 وَفَعَلَ الْخَيْرَ مَنْ أَرْشَدَ إِلَيْهِ ، وَلَئِنْ كَانَا فِي جَبَلَةٍ

ذَوِي الْفَضْلِ مَرَّ كَوْزِينَ^(١) . فَمَا يَسْتَعْنِي الْفَطْنُ
 بِذَكَائِهِ عَنِ يَقْظَةِ مُنْبِهِ ، وَلَا يَكْتَفِي اللَّيْبُ بِحَزْمِهِ
 عَنِ عِظَةِ مُذَكَّرٍ ؛ لِأَنَّ الْهُوَى مُعْتَرِضٌ^(٢) يَخْدَعُ
 بَغْرَامِهِ ؛ وَأَنْتَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ — أَمْدَكَ اللَّهُ بِتَوْفِيقِهِ —
 فِي مَنْصِبِ^(٣) مُخْتَلِفِ الْأَطْرَافِ ؛ تُدَبِّرُ غَيْرَكَ مِنْ
 الرَّعَايَا ، وَتُدَبِّرُ بِنَايِكَ مِنَ الْمُلُوكِ ؛ فَأَنْتَ سَائِسٌ
 مَسْؤُوسٌ ، تَقُومُ بِسِيَاسَةِ رَعِيَّتِكَ ، وَتَنْقَادُ لِطَاعَةِ
 سُلْطَانِكَ ، فَتَجْمَعُ بَيْنَ سَطْوَةِ مُطَاعٍ وَانْقِيَادِ مُطِيعٍ ،
 فَشَطْرُ فِكْرِكَ جَاذِبٌ لِمَنْ تَسْؤُسُهُ ، وَشَطْرُهُ مَجْذُوبٌ
 لِمَنْ تُطِيعُهُ ، وَهُوَ أَثْقَلُ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ مَحْمَلًا^(٤)

(١) مثبتين (٢) معترض الهوى ما يصيب القلب لأول وهلة

(٣) المنصب المرجع والأصل ومنصب الوزير بالذات وأمورته السياسية

(٤) المحمل مصور ميمي للحمل

پندرہ (3) اے وہ جس نے (4) « اے » کہی ہے (5) (1)
 وہ جس نے جس کو مسلمان بنا دیا ہے (2)

اے وہ جس نے (3) اے وہ جس نے (4) اے وہ جس نے (5)
 اے وہ جس نے (6) اے وہ جس نے (7) اے وہ جس نے (8)
 اے وہ جس نے (9) اے وہ جس نے (10) اے وہ جس نے (11)
 اے وہ جس نے (12) اے وہ جس نے (13) اے وہ جس نے (14)
 اے وہ جس نے (15) اے وہ جس نے (16) اے وہ جس نے (17)
 اے وہ جس نے (18) اے وہ جس نے (19) اے وہ جس نے (20)

بِصَلَاحِ مُلْكِهِ ، لِأَنَّكَ لِلصَّلَاحِ مَنْدُوبٌ ، وَلَا تَعْتَذِرُ
إِلَيْهِ مِنْ اخْتِلَالِهِ ، لِأَنَّ اخْتِلَالَكَ إِلَيْكَ مَنسُوبٌ .
وَأَجْعَلِ اعْتِدَارَكَ سَعِيكَ وَاجْتِهَادَكَ ، فَلِسَانَ الْفَعَالِ
أَنْطَقُ مِنْ لِسَانِ الْمُقَالِ ، لِظُهُورِ شَوَاهِدِهِ ، فَإِنْ
عَارَضَتْكَ الْأَقْدَارُ عَذَرْتِكَ الْقُلُوبُ ، وَإِنْ لَمْ تَنْطِقْ
بِهِ الْأَفْوَاهُ ، لِعَجْزِ الْخَلْقِ عَنْ قَضَاءِ الْحَقِّ . وَقَدْ
رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
لَا يُعْنِي حَذْرٌ عَنْ قَدَرٍ . وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحُكْمِ :
تَوَقَّ كُلَّ التَّوَقَّى وَلَا حَارِسَ مِنَ الْأَجْلِ . وَتَوَشَّ كُلَّ
كُلِّ التَّوَشَّ كُلِّ وَلَا عُدْرَ فِي التَّغْرِيرِ ^(١) ، وَاطْلُبْ كُلَّ
الطَّلَبِ وَلَا تَسْخَطْ لِمَا جَلَبَ الْمُتَقَدُّورُ . وَلِأَنَّ تَكُونَ

(١) تعريض النفس للهلكة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ (۳) اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰی اٰلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ

(۱) اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰی اٰلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ (۲) اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰی اٰلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰی اٰلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰی اٰلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ (۳)

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰی اٰلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ :

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰی اٰلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ (۴) اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰی اٰلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰی اٰلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ :

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰی اٰلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ (۵) اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰی اٰلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰی اٰلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ :

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰی اٰلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ :

وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّ بِالْمَعُونَةِ مَنْ وَفَّقَهُ ، وَأَرْجُو
أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ .

وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْوَزِيرُ أَنَّكَ مُبَاشِرٌ تَدِيرُ مُلْكٍ لَهُ
أَسْمٌ ، هُوَ الدِّينُ الْمَشْرُوعُ ، وَنِظَامٌ هُوَ الْحَقُّ
الْمَتَّبَعُ . وَقَدْ قِيلَ : مُنَازِعُ الْحَقِّ مَخْصُومٌ ، فَاجْعَلْ
الدِّينَ قَائِدَكَ ، وَالْحَقَّ رَائِدَكَ ، يَذِلُّ (١) لَكَ كُلُّ
صَعْبٍ ، وَيَتَسَهَّلُ عَلَيْكَ كُلُّ خَطْبٍ ؛ لِأَنَّ الدِّينَ
أَنْصَارًا ، وَلِلْحَقِّ أَعْوَانًا ؛ إِنْ قَعَدْتَ عَنْكَ أَجْسَادُهُمْ
لَمْ تَقْعُدْ عَنْكَ قُلُوبُهُمْ . وَحَسْبُكَ أَنْ تَكُونَ
الْقُلُوبُ مَعَكَ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : أَيُّ
الْجُنْدِ أَوْفَى ؟ قَالَ : الدِّينُ . قِيلَ : فَأَيُّ الْعُدَدِ

(١) يصير ذلولا أو سهلا .

الرَّهْبَةُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، لِيَسْلَمَ بَاطِنُكَ مِنَ الْعُيُوبِ ،
وَيَخْلَصَ سِرُّكَ مِنَ الذُّنُوبِ . وَقَدْ نَفَسَكَ إِلَى الْعَدْلِ ،
يَنْقِدِ النَّاسُ بِهِ إِلَى طَاعَتِكَ ، وَيَكْفُوا بِهِ عَنْ
مَعْصِيَتِكَ ، وَيَقْتَصِرُوا عَلَيْهِ فِي مُطَابَلَتِكَ ، فَإِنَّ
مَنْ جَازَفَ فِي الْأَخْذِ جُوزِفَ فِي الطَّلَبِ ، وَمَنْ
نَاصَفَ نُوصِفَ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي الْمُجَازَفَةِ مِنْ
أَمْثَالِهَا : « دَخَلَ ^(١) بَيْتًا مَا خَرَجَ مِنْهُ » . وَقَالَ
السَّيِّدُ الْمَسِيحُ : بِالْمِكْيَالِ الَّذِي تَكِيلُونَ يُكَالُ
لَكُمْ وَتُرَادُونَ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :
وَمَنْ ظَنَّ مِمَّنْ يُظْهَرُ السُّوءَ أَنَّهُ
يُجَازَى بِلَا سُوءٍ فَقَدْ ظَنَّ مُنْكَرًا

(١) مثل يضرب في عاقبة المجازفة المتهورة . ومعناه أنه جازف في دخول
البيت فهلك داخله وإذا فقد فهبت ما قبل المثل مما ينضوى تحت معناه يافتى

وَأَعْلَمَ أَنَّكَ لَنْ تَسْتَفْزَرَ^(١) مَوَادَّكَ إِلَّا بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ ؛ وَلَنْ تَسْتَنْدِرَهَا بِمِثْلِ الْجُورِ وَالْإِسَاءَةِ ؛
لِأَنَّ الْعَدْلَ اسْتِمَارٌ دَائِمٌ ؛ وَالْجُورَ اسْتِئْصَالٌ مُنْقَطِعٌ .
وَقَدْ قِيلَ فِي مَثُورِ الْحُكْمِ : بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ
تَكُونُ مُدَّةُ الْإِئْتِلَافِ .

وَلَيْسَ يَخْتَصُّ الْعَدْلُ بِالْأَمْوَالِ دُونَ الْأَقْوَالِ
وَالْأَفْعَالِ . فَعَدْلُكَ بِالْأَمْوَالِ أَنْ تُؤْخَذَ بِحَقِّهَا ؛ وَتُدْفَعَ
إِلَى مُسْتَحِقِّهَا ؛ لِأَنَّكَ فِي الْحَقُوقِ سَفِيرٌ مُؤْتَمَنٌ ؛
وَكَفِيلٌ مُرْتَمَنٌ ، عَلَيْكَ غُرْمُهَا ، وَلِغَيْرِكَ غُنْمُهَا .
وَعَدْلُكَ فِي الْأَقْوَالِ إِلَّا تُخَاطَبَ الْفَاضِلَ بِخِطَابِ
الْمَفْضُولِ ، وَلَا الْعَالِمَ بِخِطَابِ الْجُهُولِ ، وَتَقِفَ فِي

(١) السين والتاء هنا للضرورة أى تجعل موادك غزيرة وكذلك تستندر

فالعدل والاحسان للغنى دعامتان

الْحَمْدِ وَالذَّمِّ عَلَى حَسَبِ الْإِحْسَانِ وَالْإِسَاءَةِ ، لِيَكُونَ
 إِرْغَابُكَ وَإِرْهَابُكَ عَلَى وَفْقِ أَسْبَابِهِمَا مِنْ غَيْرِ
 سَرَفٍ وَلَا تَقْصِيرٍ . فَلِسَانَكَ مِيزَانُكَ . فَاحْفَظْهُ مِنْ
 رُجْحَانٍ أَوْ نُقْصَانٍ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :
 جَعَلَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ أَفْضَلَ الْخِيَوَانِ ، وَصَيَّرَ أَفْضَلَ
 جَارِحَةٍ فِيهِ اللِّسَانَ ، فَجَعَلَهُ لِلضَّمَائِرِ تَرْجُمَانًا ، وَلِمَا
 جَمَعَتْهُ الْعُقُولُ وَالْبَصَائِرُ تَبْيَانًا ، وَبَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ
 فُرْقَانًا ، وَلَقَدْ قَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : « النَّطْقُ
 مَسْفَرَةٌ ^(١) ، وَالصَّمْتُ مَسْتَرَةٌ » وَلِلْكَلامِ رَوِيَّةٌ
 تَتَقَدَّمُ عَلَى الْمَعَانِي دُونَ الْأَلْفَاظِ ، فَكُلِ الْمَعَانِي
 إِلَى رَوِيَّتِكَ ، وَفَوِّضِ الْأَلْفَاظَ إِلَى بَدِيهَتِكَ ، فَإِنَّ

(١) من أسفر الصبح أشرق ووضح

ابْتِكَارَ الْمَعَانِي خَطَرٌ^(١) ، وَالرَّوِيَّةَ فِي الْأَلْفَاظِ
لَكِنْ^(٢) . وَلَآنَ يَكُونُ الْكَلَامُ مَطْبُوعًا ، أَوْ لَى
مِنْ أَنْ يَكُونَ مَصْنُوعًا إِلَّا أَنْ يَكِلَّ الْخَطِيرُ بِشَوَائِبِ
الْهُمُومِ ، وَيَكُونُ الْكَلَامُ مَعَ ذِي قَدْرٍ عَظِيمٍ ،
فَيُرَوَى فِي الْإِخْتِصَارِ ؛ فَنِي الْإِكْتَارِ عَثَارٌ ، يُفْضَى
إِلَى ضَجْرٍ^(٣) إِنْ اسْتُرْذِلَ ، وَإِلَى مَلَلٍ^(٤) إِنْ اسْتَشْقِلَ .
وَقَدْ قِيلَ : أَوَّلُ الْعِيِّ الْإِخْتِلَاطُ^(٥) ، وَأَسْوَأُ الْقَوْلِ
الْإِفْرَاطُ ، وَلِلذَلِكَ قِيلَ : الْحَصْرُ^(٦) خَيْرٌ مِنَ الْهَذَرِ^(٧)
لِأَنَّ الْحَصْرَ يُضْعَفُ الْحُجَّةَ ، وَالْهَذَرَ يُتْلَفُ الْمُهْجَةَ .

(١) منزلة رفيعة ويطلق الخطر على السبق في الرهان (٢) اللسكن
العي (٣) التبرم والفلق (٤) السأم والضجر (٥) فساد العقل
(٦) ضيق الصدر ويراد به هنا عقل اللسان عن القول (٧) باطل
القول وخطؤه

وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ : الْعَاقِلُ لِلِسَانِهِ عَاقِلٌ^(١) . وَقِيلَ
 فِي مَثُورِ الْحَكْمِ : إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ .
 وَعَدْلُكَ فِي الْأَفْعَالِ إِلَّا تَعَابَبَ إِلَّا عَلَى ذَنْبٍ ،
 وَلَا تَعَفَوْا إِلَّا عَنِ إِنْابَةٍ^(٢) ، وَلَا يَبْعَثُكَ السُّخْطُ عَلَى
 اطِّرَاحِ الْمَحَاسِنِ ، وَلَا يَحْمِلُكَ الرَّضَا عَلَى الْعَفْوِ عَنِ
 الْمَسَاوِي . حُكِيَ عَنِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : أُعْطِيتُ مَا أُعْطِيَ النَّاسُ
 وَمَا لَمْ يُعْطَوْا ؛ وَعَلِمْتُ مَا عَلِمَ النَّاسُ وَمَا لَمْ يَعْلَمُوا
 فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنْ الْحَقِّ فِي الرَّضَا وَالْغَضَبِ ،
 وَالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ ، وَخَشْيَةِ اللَّهِ فِي السَّرِّ
 وَالْعَلَانِيَةِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : « مِنْ

(١) مقيد (٢) رجوع عن الذنب

سَكَرَاتٍ^(١) السُّلْطَانَ الرِّضَا عَنْ بَعْضٍ مَنْ يَسْتَوْجِبُ
السُّخْطَ ، وَالسُّخْطُ عَلَى مَنْ يَسْتَوْجِبُ الرِّضَا . «
وَكَأَ لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ؛ كَذَلِكَ
لَا يَسْتَوِي الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ . وَقَدْ قِيلَ : أَخْبَثُ النَّاسِ
الْمُسَاوِي^(٢) بَيْنَ الْمَحْسِنِ وَالْمَسَاوِي . فَاجْتَذِبْ
بِأَفْعَالِكَ مَا نَاسَبَهَا ، وَقَابِلْ بِمُجَازَاتِكَ مَا أَوْجَبَهَا ،
وَأَجْعَلْ جَزَاءَ الْأَفْعَالِ بِحَسَبِهَا مِنْ إِحْسَانٍ وَإِسَاءَةٍ ،
يُسْتَوْجَبُ بِهِمَا ثَوَابٌ وَعِقَابٌ ؛ فَإِنَّ لِمَلِيكَ وَرِضَاكَ
حُكْمًا سِوَاءً ، إِنْ وَصَلْتَ^(٣) عَلَيْهِ خَرَجْتَ عَنِ الْمُجَازَاةِ

(١) محن

تعليقات : العدل البريء في فعلك أن يكون استحقاقا من ثوابك أو عقابك
للرعية هو أعمال الناس أما مظاهر نفسك من سخط ورضى وسوء ظن وثقة
فيجب أن تتحجب عن قدسية العدل وعن محيط الحكم
(٢) الذي لا يفرق (٣) قدمت صلاة

إِلَى التَّبَرُّعِ بِالصَّلَاةِ ، وَأَنْتَ فِي تَبَرُّعِكَ مُخَيَّرٌ ، وَفِي
 مُجَازَاتِكَ مُضْطَرٌّ . وَقَدْ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : الْمُؤْمِنُ
 لَا يَحِيفُ ^(١) عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا يَأْتُمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ .
 فَأَمَّا التَّقْرِيبُ وَالْإِبْعَادُ ؛ فَيَجُوزُ أَنْ يُعْتَبَرَ بِالسُّخْطِ
 وَالرِّضَا ؛ إِذَا لَمْ تُحِطْ بِهِمَا ذَوِي الْأَقْدَارِ ^(٢) ؛ وَتَرَفَعَ
 بِهِمَا أَهْلَ الْحُمُولِ ؛ لِأَنَّ لَكَ خِيَارَكَ ، أَنْ تَبْتَدِيَ
 بِتَقْرِيبِ مَنْ أَرَدْتَ ، وَإِبْعَادِ مَنْ كَرِهْتَ ، إِذَا سَلِمَ
 رَأْيُكَ مِنْ تَقْرِيبِ ذِي النَّقْصِ وَإِبْعَادِ ذِي الْفَضْلِ ؛
 فَتَسْتَطِرُّ ^(٣) بِتَقْرِيبِ النَّاقِصِ وَإِبْعَادِ الْفَاضِلِ ؛ وَإِنْ
 كَانَ التَّشَاكُلُ مَرَكُوزًا ^(٤) فِي الْغَرَائِزِ . وَقَدْ قَالَ
 بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : لَا تَصْطَنِعْ مِنْ خَانِهِ الْأَصْلُ ؛

(١) لا يجور (٢) الخاصة (٣) تكتب (٤) ثابتاً متأسلاً

وَلَا تَسْتَصِحِّبُ مَنْ فَاتَهُ الْعَقْلُ ؛ لِأَنَّ مَنْ لَا أَصْلَ
لَهُ يُعِشُّ مِنْ حَيْثُ يَنْصَحُ . وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ؛
يُفْسِدُ مِنْ حَيْثُ يُصْلِحُ . وَذَلِكَ مِمَّا يَعْسُرُ تَوْقِيهِ (١) ،
وَيَفُوتُ تَدَارُكُهُ وَتَلَافِيهِ ، وَلَيْسَ وَفَاؤُكَ بِالْوَعْدِ
حَتْمًا ، وَبِالْوَعِيدِ حَزْمًا ؛ لِأَنَّ الْوَعْدَ حَقٌّ عَلَيْكَ ؛
وَالْوَعِيدَ حَقٌّ لَكَ عَلَى غَيْرِكَ ، فَكُنْتَ فِيهِ عَلَى خِيَارِكَ ،
فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَمْ يَجْزُ إِخْلَافُ الْوَعْدِ ؛ وَإِنْ جَازَ
إِخْلَافُ الْوَعِيدِ . وَقَدْ قَالَ أَحَدُ الشُّعْرَاءِ :

وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ (٢) أَوْ وَعَدْتُهُ

لَمْخَلْفُ إِعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي

(١) التحرز منه والتحاشي (٢) أوعده تستخدم للشر ومصدره الإيعاد

وواعد ضده ومصدره الوعد

لَكِنْ يَذْبَعِي أَنْ يَقْتَرِنَ بِخُلْفِ الْوَعِيدِ عُذْرُهُ حَتَّى
 لَا يَهُونَ وَعِيدُكَ لِيَكُونَ نِظَامُ الْهَيْبَةِ بِهِ مَحْفُوظًا ،
 وَقَانُونُ السِّيَاسَةِ بِهِ مَضْبُوطًا ؛ فَأَظْهَرُهُ إِنْ خَفِيَ
 لَتَكُونَ بِإِخْلَافِ وَعِيدِكَ مَعْدُورًا ؛ وَبِعَفْوِكَ عَنْهُ
 مَشْكُورًا ؛ وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَنَّهُ قَالَ : « مَا أَزْدَادَ أَحَدٌ بِالْعَفْوِ إِلَّا عِزًّا » . وَالْوَعْدُ
 وَالْوَعِيدُ شَرْطَانِ : أَحَدُهُمَا ، أَنْ يَكُونَا مُسْتَحِقِّينِ
 مَا أُوجِبَهُمَا مِنْ إِحْسَانٍ وَإِسَاءَةٍ ، وَالثَّانِي أَنْ تَقْتَرِنَ
 بِتَقْدِيمِهِمَا عَلَى الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ مَصْلَحَةً فِي تَرْغِيبٍ
 وَتَرْهِيْبٍ ؛ فَإِنْ لَزِمَ تَقْدِيمُ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَى
 الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، كَانَ الْوَعْدُ تَقْصِيرًا ، وَالْوَعِيدُ عَجْزًا .
 وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْوَعْدُ مَرَضُ الْمَعْرُوفِ

وَالْإِنْجَازُ بُرُوءُهُ ، وَالْمَطْلُ تَلْفُهُ ، وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ :
 إِذَا أَحْسَنْتَ الْقَوْلَ فَأَحْسِنِ الْفِعْلَ ، لِيَجْتَمِعَ لَكَ
 مَزِيَّةُ اللِّسَانِ وَثَمَرَةُ الْإِحْسَانِ ، فَإِنَّكَ لَا تَخْلُو فِي
 خَلْفِهِ مِنْ ذَنْبٍ تَكْتَسِبُهُ أَوْ عَجْزٍ تَلْتَزِمُهُ . وَلَيْكُنْ
 فِعْلُكَ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِكَ ، فَإِنَّ زِيَادَةَ الْقَوْلِ عَلَى
 الْفِعْلِ دَنَاءَةٌ^(١) وَشَيْنٌ^(١) ، وَزِيَادَةُ الْفِعْلِ عَلَى الْقَوْلِ
 مَكْرَمَةٌ^(٢) وَزَيْنٌ^(٢) ، وَلَا تَجْعَلْ لِعُضْبِكَ سُلْطَانًا عَلَى
 نَفْسِكَ ، يُخْرِجُكَ مِنَ الْإِعْتِدَالِ إِلَى الْإِخْتِلَافِ ؛
 فَلَنْ يَسْلَمَ بِالْعَضْبِ رَأْيٌ مِنْ زَلَلٍ ، وَكَلَامٌ مِنْ
 خَطَلٍ^(٢) ، لِأَنَّ ثَوْرَتَهُ طَيْشٌ مُعْرِئٌ ، وَنُفْرَتَهُ بَطْشٌ
 مُضِرٌّ ، لِأَنَّهُ يُخْرِجُ عَنِ التَّأْدِيبِ إِلَى الْإِنْتِقَامِ ، وَعَنْ

التَّقْوِيمِ إِلَى الْإِصْطِلَامِ^(١) . وَلِذَلِكَ قِيلَ : أَوَّلُ الْغَضَبِ
 جُنُونٌ ، وَآخِرُهُ نَدَمٌ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمْ يَمِلْ إِلَى
 الْغَضَبِ إِلَّا مَنْ أَعْيَاهُ سُلْطَانُ الْحُجَّةِ . وَقَالَ بَعْضُ
 السَّلَفِ : إِيَّاكَ وَعِزَّةَ الْغَضَبِ ، فَإِنَّهَا تُفْضِي بِكَ
 إِلَى ذُلِّ الْإِعْتِدَارِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ كَثُرَ
 شَطَطُهُ كَثُرَ غَاطُهُ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

وَلَمْ أَرَ لِلْأَعْدَاءِ حِينَ اخْتَبَرْتَهُمْ

عَدُوًّا لِعَقْلِ الْمَرْءِ أَعْدَى مِنَ الْغَضَبِ

وَلَيْكُنْ غَضَبُكَ تَغَاضِبًا ، تَمْلِكُ بِهِ عَزْمَكَ ، وَتُقَوِّمُ

بِهِ خَصْمَكَ . فَتَسَلِّمْ مِنْ جَوْرِ غَضَبِكَ ، وَتَقِفَ عَلَى

اعْتِدَالِ تَغَاضِبِكَ . فَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ صُحُفِ

الْخُصْمَ ، وَتَجَنَّبَ عَوَاقِبَ النَّذْلِ الْفَدْمِ ^(١) ، وَتَابِعَ
 الرَّأْيَ فِيمَا اقْتَضَاهُ ، فَلَنْ يَقْبَحَ بِكَ الْعُدُولُ إِلَيْهِ بَعْدَ
 لَجَاجِكَ ، وَلَآنَ تَنْتَفِعَ بِالرَّأْيِ أَوْلَى مِنْ أَنْ تَسْتَعِزَّ
 بِاللَّجَاجِ ^(٢) . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ اسْتَعَانَ
 بِالرَّأْيِ مَلَكَ ، وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ هَلَكَ . وَقَالَ
 ابْنُ الْمُتَفَعِّعِ : دَعِ اللَّجَاجَ فَإِنَّهُ يَكْسِرُ عَزَائِمَ الْعُقُولِ .
 وَقِيلَ فِي مَشُورِ الْحِكْمِ : الظَّفَرُ لِمَنْ اِخْتَجَّ لَا لِمَنْ لَجَّ .
 وَقِيلَ فِيهِ : اللَّجُوجُ يَدْخُلُ فِيمَا لَيْسَ مِنْهُ خُرُوجٌ .
 وَاعْلَمْ أَنَّ الْجَدَّ وَالْهَزْلَ ضِدَّانِ مُتَسَاوِرَانِ ؛ لِأَنَّ
 الْجَدَّ مِنْ قَوَاعِدِ الْحَقِّ الْبَاعِثِ عَلَى الصَّلَاحِ ، وَالْهَزْلَ
 مِنْ مَرَجِ الْبَاطِلِ الدَّاعِي إِلَى الْفَسَادِ ، فَصَارَ فَرْقٌ

لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لِنَا ، فَقَدْ
 مَلَأَتْ قُلُوبَنَا هَيْبَةً ، فَقَالَ أَيْ ذَلِكَ ظُلْمٌ ؟ قَالَ :
 لَا . قَالَ : فزَادَنِي اللَّهُ فِي صُدُورِكُمْ مَهَابَةً . وَقَالَ
 حَكِيمٌ الْهِنْدِي : لِيَكُنْ فِيكَ مَعَ طَلَاقَتِكَ (١) تَشَدُّدٌ ،
 كَيْلًا يُحْتَرَأُ عَلَيْكَ بِالطَّلَاقَةِ وَيُنْفَرُ مِنْكَ بِالتَّشَدُّدِ ؛
 فَأَمَّا الْهَزْلُ فَيَكُونُ مِنْ سُخْفٍ (٢) أَوْ بَطَرٍ (٣) يَجِلُّ
 عَنْهُمَا مَنْ سَاسَ الرَّعَايَا ، وَدَبَّرَ الْمَمَالِكِ . قَالَ بُرَيْرُ جُمَهْرٍ :
 الْهَزْلُ آفَةٌ الْجِدِّ ، وَالْكَذِبُ عَدُوُّ الصِّدْقِ ، وَالْجَوْرُ
 مَفْسَدَةُ الْمُلْكِ . وَقَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ لِلِاسْتِكْنَدَرِ ، وَقَدْ
 دَخَلَ بِلَادَهُ : مَا عَلَامَةُ دَوَامِ الْمُلْكِ ؟ قَالَ : الْجِدُّ فِي
 كُلِّ الْأُمُورِ . قَالَ : فَمَا عَلَامَةُ زَوَالِهِ ؟ قَالَ : الْهَزْلُ

(١) اشراق وجهك وسيا الصلاح تمثل في وجهه (٢) رقة عقل

(٣) التطاول على النعمة

فِيهِ . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ أَبْطَرَتْهُ النِّعْمَةُ وَقَرَهُ^(١) زَوَاهَا .
وَلَيْسَ الْكِبَرُ وَالْعُنْفُ جِدًّا ، وَلَا التَّوَاضُّعُ وَاللُّطْفُ
هَزْلًا ؛ وَرُبَّمَا تَدَلَّسَتْ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ بِغِلْبَةِ الْهُوَى
وَنَازِعِ الْفِطْرَةِ ، فَمَزَجَ صَاحِبُهَا بِالْجِدِّ كِبْرًا وَعُنْفًا ،
لِيَكُونَ بِهِيبَةً الْجِدِّ أَحَقَّ ، وَمِنْ سُخْفِ الْهَزْلِ الْبَعْدُ ؛
وَهَذَا غَيْرُ مُحْسُوسٍ ، لِأَنَّ الْكِبَرَ وَالتَّوَاضُّعَ مِنْ
شِيَمِ النُّفُوسِ كَالسَّخَاءِ وَالبُخْلِ ، وَالجِدُّ وَالْهَزْلُ مِنْ
أَفْعَالِهَا كَالْحَقِّ وَالبَاطِلِ ؛ فَتَبَاعَدَا فِي السَّبَبِ وَاخْتَلَفَا
فِي الْمُسَبَّبِ . وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَاعِظًا

(١) ذهب بسمعه وأذله

مِنْ نَفْسِهِ « . وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكْمِ : إِذَا عَرَفْتَ
نَفْسَكَ لَمْ يَضُرَّكَ مَا قِيلَ فِيكَ .

وَرُبَّمَا اسْتَكْدَّ^(١) الْجِدُّ خَاطِرُ الْمُجِدِّ ، فَاسْتَرَوْحَ
بِبَعْضِ الْهَزْلِ لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى مُصَابَرَةِ الْجِدِّ . فَقَدْ
قِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكْمِ : اَلْهَمُّ قَيْدُ الْخَوَاسِّ . وَحِكْمِي
عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي لَأَسْتَجِمُّ^(٢) نَفْسِي
بِالشَّيْءِ مِنَ الْبَاطِلِ ، لِيَكُونَ أَقْوَى لَهَا عَلَى الْحَقِّ .
وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكْمِ : مَا أَكْثَرَ مَنْ نَهَى فَاغْرَى ،
فَلَا بَأْسَ أَنْ يُسْتَسَرَّ^(٣) مِنْهُ فِي زَمَانِ رَاحَتِهِ ، وَأَوْقَاتِ
خَلْوَتِهِ ، بِمِقْدَارِ دَوَائِهِ مِنْ دَائِهِ ، فَإِنَّ الْكَلَالَ مَلَالٌ ،
وَلَيْسَ لِلْمَلُولِ حَزْمٌ وَلَا عَزْمٌ . وَلَيْكُنْ فِيمَا يَتَعَلَّلُ بِهِ

(١) جعله مكبوداً (٢) أستجمع قوتها (٣) يختفي استسر منه أو عنه: اختفى

أَوَائِلُهُ انْتَهَكْتَ أَوَاخِرَهُ ، وَإِنْ جَرَّ التَّبَاسُ نَفْعًا ،
عَادَ انْتِهَاجُكُمْ^(١) ضَرَرًا ، فَلَمْ يَسَلِّمْ مِنْ مَعَرَّةِ زُورٍ ،
وَمَضَرَّةِ غُرُورٍ . وَقَدْ رَوَى عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَكْثَرُ الْخَطَايَا
اللُّسَانُ الْكَذُوبُ » وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ^(٢) : لَأَنْ يَضَعَنِي الصِّدْقُ - وَقَلَمًا يَفْعَلُ -
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرْفَعَنِي الْكَذِبُ - وَقَلَمًا
يَفْعَلُ - . وَوَجَدْتُ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي سِفْرِ حِكْمَتِهِ أَنَّهُ قَالَ : الَّذِي
يَلْبِغُ^(٣) بِالْكَذِبِ يَرْعَى الرِّيَّاحَ . وَهَذَا مِنْ أَوْضِحِ
الْأَمْثَالِ بَيَانًا وَعَيَانًا^(٤) .

(١) اختراق حرمة أى عدم المبالاة به (٢) وقد نص عن هذه الحكمة
في بعض كتب الأخلاق منسوبة لعلى كرم الله وجهه (٣) يدخل الأمور
(٤) وجاء في أقرب الموارد جزء ٢ تقول : لقيته عياناً ورأيت عياناً



كنه
الوزارة

وَإِذَا مَضَتْ هَذِهِ الْفُصُولُ فِي مُقَدِّمَاتِ الْوَزَارَةِ
فَأَسْمَاهَا مُشْتَقٌّ مِنْ مَعْنَاهَا . وَاخْتَلَفَ فِيهِ عَلَى ثَلَاثَةِ
أَوْجُهٍ ، أَحَدُهَا : أَنَّهُ مِنَ الْوِزْرِ وَهُوَ الثَّقَلُ ، لِأَنَّهُ
يَحْمِلُ عَنِ الْمَلِكِ أَثْقَالَهُ . وَالثَّانِي : أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ
الْأَزْرِ وَهُوَ الظَّهْرُ ، لِأَنَّ الْمَلِكَ يَقْوَى بِوِزْرِهِ
كَقُوَّةِ الْبَدَنِ بِظَهْرِهِ . وَالثَّلَاثُ : أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ
الْوِزْرِ ^(١) وَهُوَ الْمَلْجَأُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (كَلَّا
لَا وَزَرَ) أَيْ لَا مَلْجَأَ ، لِأَنَّ الْمَلِكَ يَلْجَأُ إِلَى رَأْيِهِ
وَمَعُونَتِهِ ، لِأَنَّ عَلَيْهِ مَدَارَ السِّيَاسَةِ وَإِلَيْهِ تُفَوَّضُ
الْأُمُورُ ^(٢) . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ مُلُوكِ الْفُرْسِ :

(١) وزير للسلطان وزارة صار وزيراً له (٢) وجاء في بعض الكتب
الأموال بدل الأمور

الْوَزَارَةُ سَاسَةُ الْأَعْمَالِ ، وَحَازَةُ^(١) الْأَمْوَالِ .

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأَلْوَزَارَةُ ضَرْبَانِ : وَزَارَةُ
تَفْوِيضٍ تَجْمَعُ بَيْنَ كِفَايَتِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ . وَوَزَارَةُ
تَنْفِيذٍ : تَخْتَصُّ بِالرَّأْيِ وَالْحَزْمِ . وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ
مِنْهُمَا حُقُوقٌ وَشُرُوطٌ .

فَأَمَّا وَزَارَةُ التَّفْوِيضِ الْجَامِعَةُ بَيْنَ كِفَايَتِي
السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، فَهِيَ أَعْمُ نَظَرًا . وَأَنْفَذُ أَمْرًا . وَقَدْ
رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
« خَلَقَ اللَّهُ الدُّنْيَا لِلسَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَجَعَلَ السَّيْفَ
تَحْتَ الْقَلَمِ » وَهَذِهِ الْوَزَارَةُ هِيَ الْإِسْتِيْلَاءُ عَلَى
التَّدْيِيرِ ، وَالْعَقْدِ ، وَالْحَلِّ ، وَالتَّقْلِيدِ ، وَالْعَزْلِ

(١) جمع حائر ووزن فعله بفتح العين

فَأَمَّا الْعَقْدُ ، فَيَشْتَمِلُ عَلَى شَرْطَيْنِ : تَنْفِيذٌ وَإِقْدَامٌ ،
وَأَمَّا الْحَلُّ فَيَشْتَمِلُ عَلَى شَرْطَيْنِ : دِفَاعٌ وَحَذْرٌ ،
فَصَارَ الْحَلُّ وَالْعَقْدُ هُنَا أَحَدَ شَرْطَيْ هَذِهِ الْوِزَارَةِ
يَشْتَمِلَانِ عَلَى أَرْبَعَةِ شُرُوطٍ : تَنْفِيذٌ ، وَدِفَاعٌ ،
وَإِقْدَامٌ ؛ وَحَذْرٌ . وَلِكُلِّ شَرْطٍ مِنْهَا فَصْلٌ يَشْتَمِلُ
عَلَى فُصُولٍ .

فَأَمَّا الْفَصْلُ الْأَوَّلُ ، وَهُوَ التَّنْفِيذُ ، فَهُوَ أَسُّ
الْوِزَارَةِ ، وَقَاعِدَةُ النِّيَابَةِ ، وَهُوَ الْأَخْصُ بِكِفَايَةِ
الْقَلَمِ فِي مَصَالِحِ الْمُلْكِ وَاسْتِقَامَةِ الْأَعْمَالِ ، وَيَشْتَمِلُ
عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ :

أَحَدُهَا تَنْفِيذُ مَا صَدَرَتْ بِهِ أَوْامِرُ الْمَلِكِ ، فَعَلَى
الْوِزِيرِ فِيهَا حَقٌّ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَفْحَصَهَا (١) مِنْ زَلَلٍ فِي

(١) ذكرت في بعض الكتب يتصفحها

ابْتِدَائِهَا ، وَيَحْرُسُهَا مِنْ خَلَلٍ فِي أَثْنَائِهَا ^(١) ، لِيَرُدَّهُ عَنْ
 زَلَلِهَا بِاللُّطْفِ ، وَيُقَوِّيَ عَزْمَهُ عَلَى صَوَابِهَا بِالْإِحْمَادِ ^(٢) .
 وَقَدْ قَالَ أَفْلَاطُونُ : أَوَّلُ رِيَاضَةِ الْوَزِيرِ أَنْ يَتَأَمَّلَ
 أَخْلَاقَ الْمَلِكِ وَمُعَامَلَتَهُ ، فَإِنْ كَانَتْ شَدِيدَةً فَظَةً ^(٣) ،
 عَامَلَ النَّاسَ بِدُونِهَا ، وَإِنْ كَانَتْ لَيِّنَةً مُطْلَقَةً عَامَلَهُمْ
 بِأَقْوَى مِنْهَا ، لِيَقْرُبَ مِنَ الْعَدْلِ فِي سَعْيِهِ ، وَالثَّانِي
 تَعْجِيلُ إِمْضَائِهَا لِلْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ لَهَا ، حَتَّى لَا يَقِفَ
 فَيُوحِشَ ، لِأَنَّ وَقُوفَ أَوَامِرِهِ يُوحِشُ ^(٤) ، وَهُوَ
 مَنْدُوبٌ لِلتَّنْفِيذِ دُونَ الْوُقُوفِ . وَقَدْ قَالَ حَكِيمُ الْهِنْدِ :
 الْعَجَلَةُ فِي الْأَمْرِ خُرْقٌ ^(٥) ، وَأَخْرَقُ مِنْ ذَلِكَ التَّفْرِيطُ

(١) جمع ثني وهو الوسط (٢) يقال أحمدت فلانا رضيت فعله
 ومذهبه ولم أنشره للناس (٣) اللفظ : السوء الخلق . الغليظ الجانب
 (٤) يصرف الناس عنه (٥) الخرق : ضعف الرأي

فِي الْأَمْرِ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ . وَقَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ
 الْعَرَبِ : كَمْ مِنْ عَزِيزٍ أَذَلَّهُ خُرْقُهُ ! وَمِنْ ذَلِيلٍ
 أَعَزَّهُ خُلُقُهُ ، وَدَرَكُ هَذَا التَّقْلِيدِ عَائِدٌ عَلَى الْمَلِكِ
 دُونَ الْوَزِيرِ .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي تَنْفِيدُ مَا اقْتَضَاهُ رَأْيُ الْوَزِيرِ مِنْ
 تَدْبِيرِ الْمَمْلَكَةِ فَعَلِيهِ فِي إِمْضَائِهِ حَقَّانٍ : أَحَدُهُمَا أَنْ
 يُرَاعِيَ أَوْلَى الْأُمُورِ فِي اجْتِهَادِهِ وَأَصُوبَهَا فِي رَأْيِهِ ،
 لِأَنَّهُ مَنْدُوبٌ لِأَصْحَابِهَا وَمَأْخُودٌ بِأَصُوبِهَا . وَالثَّانِي أَنْ
 يُطَاعَ الْمَلِكَ بِهِ إِنْ جَلَّ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَطْوِيَهُ عَنْهُ
 إِنْ قَلَّ ، لِيُخْرَجَ عَنِ الْإِسْتِبْدَادِ الْمُنْفَرِّ ، وَيَسْلَمَ مِنْ
 الْحَقْدِ الْمُؤَثِّرِ . وَقَدْ قَالَ حَكِيمُ الْهِنْدِ : الْأَحْقَادُ
 مُؤَثِّرَةٌ ، حَيْثُ كَانَتْ ، وَأَخُوفٌ مَا كَانَ فِي أَنْفُسِ

الْمُلُوكِ ، لِأَنَّهُمْ يَدِينُونَ بِالْإِنْتِقَامِ ، وَيَرَوْنَ الطَّلَبَ
 بِالْوَتْرِ ^(١) مَكْرَمَةً وَفَخْرًا ، فَإِنْ عَارَضَهُ الْمَلِكُ فِي رَأْيِهِ
 بَعْدَ الْمُطَالَعَةِ بِهِ لَمْ يَسْتَوْحِشْ مِنْ مُعَارَضَتِهِ لِأَنَّهُ
 مَلِكٌ مُسْتَنْبِ ^(٢) ، وَظَانٌ ^(٣) مُسْتَرِيبٌ ، وَقَابِلٌ بَيْنَ
 رَأْيِهِ وَمُعَارَضَتِهِ فِيهِ ، وَاسْتَوْضَحَ مِنْهُ أَسْبَابَ الْمُعَارَضَةِ
 بِلُطْفٍ ، إِنْ خَفِيَ . فَقَدْ قِيلَ : الْكَلَامُ اللَّيِّنُ
 مَصَائِدُ الْقُلُوبِ ، فَإِنْ وَضَحَ صَوَابَهَا ، تَوَقَّفَ عَنْ رَأْيِهِ
 وَشَكَرَهُ عَلَى اسْتِدْرَاكِ زَلَلِهِ ، وَتَلَا فِي خَلَلِهِ ، وَقَدْ مَنْ
 عَلَيْهِ إِذْ صَفَحَ وَلَمْ يُؤْتَبْ ، وَإِنْ كَانَ الصَّوَابُ مَعَ
 الْوَزِيرِ تَلَطَّفَ فِي إِيْضَاحِ صَوَابِهِ ، وَكَشَفَ عَلَيْهِ
 وَأَسْبَابِهِ ، فَإِنْ سَاعَدَهُ عَلَى إِمْضَائِهِ أَمْضَاهُ ، وَكَانَ دَرَكُ

(١) الثَّار (٢) منيب ومستناب أقام وكيل عنه في عمل ما والوكيل

مناب ومستناب (٣) اسم فاعل من ظن ومستريب شك

تَنْفِيذِهِ عَائِدًا عَلَى الْوَزِيرِ دُونَ الْمَلِكِ ، وَإِنْ لَمْ يُسَاعِدْهُ
عَلَيْهِ تَوَقَّفَ عَنْهُ انْقِيَادًا لِطَاعَتِهِ . فَقَدْ قَالَ بَعْضُ
السَّلَفِ : مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدْعِ الْمِرَاءَ ^(١) . وَقَالَ :
خَلَّ الطَّرِيقَ لِمَنْ لَا يَفِيقُ ، وَيَكُونُ دَرَكُ وُقُوفِهِ
عَائِدًا عَلَى الْمَلِكِ دُونَ الْوَزِيرِ .

وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ تَنْفِيذُ مَا صَدَرَ عَنْ خُلَفَائِهِ عَلَى
الْأَعْمَالِ الَّتِي فَوَّضَهَا إِلَى آرَائِهِمْ ، وَوَكَلَاهَا إِلَى
اجْتِهَادِهِمْ ، فَإِنْ تَقَرَّرُوا بِتَنْفِيذِهَا أَمْضَاهَا لَهُمْ ، وَلَمْ
يَتَعَقَّبْهَا مَا لَمْ يَتَحَقَّقْ زَلُّهُمْ فِيهَا . وَكَانَ دَرَكُ
تَنْفِيذِهَا عَائِدًا عَلَى الْعُمَّالِ دُونَ الْوَزِيرِ ، وَإِنْ وَقَفُوهَا
عَلَى تَنْفِيذِ الْوَزِيرِ ، فَعَلَيْهِ فِي تَنْفِيذِهَا حَقَّانِ :
أَحَدُهُمَا أَنْ يَسْتَكْشِفَ عَنْ أَسْبَابِهَا لِيَعْلَمَ خَطَأَهَا

مِنْ صَوَابِهَا : وَالثَّانِي تَقْوِيَةُ أَيْدِيهِمْ وَتَنْقِيُ الْأَرْتِيَابِ
 عَنْهُمْ ، فَإِنَّ ظُهُورَ الْأَرْتِيَابِ يَخْنِيهِمْ (١) . وَقَدْ قَالَ
 حَكِيمُ الْفُرْسِ : لَيْسَ أَحَدٌ أَبْعَدَ مِنَ الْخَيْرِ مِنْ
 اثْنَيْنِ مَنْزِلَتُهُمَا وَاحِدَةٌ ، وَعِلْمُهُمَا مُخْتَلِفَةٌ ، أَحَدُهُمَا
 مَنْ لَا يَشِقُّ بِأَحَدٍ ، وَالثَّانِي مَنْ لَا يَشِقُّ بِهِ أَحَدٌ ،
 فَإِنْ نَفَّذَهَا لَهُمْ حِينَ لَمْ يَتَحَقَّقْ زِلَلَهُمْ فِيهَا ، كَانَ
 دَرْكٌ تَنْفِيذُهَا عَائِدًا عَلَى الْعُمَّالِ دُونَ الْوَزِيرِ ، وَإِنْ
 وَقَفَهَا كَانَ دَرْكٌ وَقُوفُهَا عَائِدًا عَلَى الْوَزِيرِ دُونَ الْعُمَّالِ
 وَالْقِسْمُ الرَّابِعُ تَنْفِيذُ أُمُورِ الرَّعَايَا عَلَى مَا أَلْفُوهُ
 مِنْ عَادَاتٍ وَمُعَامَلَاتٍ ، وَاخْتَلَفُوا فِيهَا حَتَّى اتْتَلَفُوا (٢)
 بِهَا ؛ لِأَنَّ النَّاسَ مَجْبُولُونَ عَلَى الْحَاجَةِ إِلَى أَنْوَاعِ

(١) يقطعهم عن ثقته (٢) كانت لهم أليفة أو مألوفة

لَا يَقْدِرُ الْوَاحِدُ أَنْ يَقُومَ بِجَمِيعِهَا ، مُخَوِّفَ بَيْنَ هَمَمِهِمْ
لِيَنْفَرِدَ كُلُّ قَوْمٍ بِنَوْعٍ مِنْهَا ؛ فَيَأْتِلِفُوا بِهَا فَيَقُومَ
الزَّرَاعُ بِمَزَارِعِهِمْ ؛ وَيَتَشَاغَلُ الصَّنَاعُ بِصِنَائِهِمْ .
وَيَتَوَفَّرُ^(١) التُّجَّارُ عَلَى مَتَاجِرِهِمْ . وَقَدْ قَالَ حَمِيرُ الْمَلِكِ
لِوَزِيرِهِ : النَّاسُ أَرْبَعُ طَبَقَاتٍ طَبَقَةُ^٢ لِلْفُرُوسِيَّةِ الْحَقْمُ
بِالشَّرَفِ ، وَطَبَقَةُ^٣ لِإِقَامَةِ الدِّيَانَةِ الْحَقْمُ بِالْكَفَايَةِ ،
وَطَبَقَةُ^٤ لِلزَّرَاعَةِ وَالْعِمَارَةِ أَجْرِهِمْ عَلَى الْإِنْصَافِ ،
وَطَبَقَةُ^٥ لِلْمَهَنِ لَا تُخْلِهِمْ مِنَ الْإِحْسَانِ . وَعَلَيْهِ فِي
تَنْفِيذِهَا لَهُمْ حَقَّانِ : أَحَدُهُمَا أَلَّا يُعَارِضَ صِنْفًا مِنْهُمْ
فِي مَطْلَبِهِ ؛ وَالثَّانِي أَلَّا يُشَارِكُهُ فِي مَكْسَبِهِ . وَرُبَّمَا
كَانَ لِلسُّلْطَانِ رَأْيٌ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ^(٢) مِنْ أَحَدٍ

(١) يَخْتَصُونَهَا بِعَمَلِهِمْ (٢) الْاِخْتِصَاصُ

الْأَصْنَافِ فَيُنْقَلُ إِلَيْهِ مَنْ لَا يَأْلُهُ فَيَخْتَلَّ النَّظَامُ
 بِهِمْ فِيمَا نُقِلُوا عَنْهُ وَفِيمَا نُقِلُوا إِلَيْهِ ، لِأَنَّ
 تَمْيِيزَهُمْ بِالْهَامِ الطَّبَاعِ أَعْدَلُ فِي ائْتِلَافِهِمْ مِنَ التَّصْنِيعِ
 لَهَا ، وَرُبَّمَا ضَنَّ السُّلْطَانُ عَلَيْهِمْ بِمَكَاسِبِهِمْ فَتَعَرَّضَ
 لَهَا أَوْ شَارَكَهُمْ فِيهَا ، فَاتَّجَرَ مَعَ التُّجَّارِ ، وَزَرَعَ
 مَعَ الزَّرَّاعِ ، وَهَذَا وَهَنْ فِي حُقُوقِ السِّيَاسَةِ ،
 وَقَدْ حُذِرَ (١) فِي شُرُوطِ الرِّيَاسَةِ مِنْ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا
 أَنَّهُ إِذَا تَعَرَّضَ لِأَمْرٍ قَصُرَتْ فِيهِ يَدُ مَنْ عَدَاهُ ؛
 فَإِنْ تَوَرَّكَ عَلَيْهِ لَمْ يَنْهَضْ بِهِ ، وَإِنْ شُورِكَ فِيهِ
 ضَاقَ عَلَى أَهْلِهِ . وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَا عَدَلَّ وَالِ اتَّجَرَ فِي رَعِيَّتِهِ »

وَالثَّانِي أَنَّ الْمُلُوكَ أَشْرَفَ النَّاسِ مَنْصِبًا ، فَخُصُّوا
بِمَوَادِّ السُّلْطَنَةِ لِأَنَّهَا أَشْرَفُ الْمَوَادِّ مَكْسَبًا ؛ فَإِنْ
زَاحَمُوا الْعَامَّةَ فِي دَرَكِ مَكْسَبِهِمْ أَوْهَنُوا الرَّعَايَا بِسُوءِ
الْمَمَالِكِ ، وَعَادَ وَهْنُهُمْ عَلَيْهَا فَاخْتَلَّ نِظَامُهَا ،
وَاعْتَلَّ^(١) مَرَامُهَا . وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا اتَّجَرَ الرَّاعِي أَهْمَلَتْ
الرَّعِيَّةُ » . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا لَمْ يَكُنْ
فِي سُلْطَانِ الْمَلِكِ سُرُورُ الرَّعِيَّةِ ، كَانَ مُلْكُهُ ظُلْمًا .
وَكَتَبَ حَكِيمُ الرُّومِ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِ : أَيُّ مَلِكٍ
تَطَلَّعَتْ نَفْسُهُ إِلَى الْمُحَقَّرَاتِ فَالْمَوْتُ أَكْرَمُ لَهُ .



فَأَمَّا الْفَصْلُ الثَّانِي وَهُوَ الدَّفَاعُ . وَيَشْتَمِلُ الدَّفَاعُ
عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : أَحَدُهَا الدَّفَاعُ عَنِ الْمَلِكِ مِنْ
الْأَوْلِيَاءِ^(١) ، وَالثَّانِي الدَّفَاعُ عَنِ الْمَمْلُوكَةِ مِنَ الْأَعْدَاءِ ،
وَالثَّلَاثُ دِفَاعُ الْوَزِيرِ عَنِ نَفْسِهِ مِنَ الْأَكْفَاءِ^(٢) ،
وَالرَّابِعُ دِفَاعُهُ عَنِ الرَّعِيَّةِ مِنْ خَوْفٍ وَاخْتِلَالٍ .
فَأَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ فِي دِفَاعِهِ عَنِ الْمَلِكِ مِنْ أَوْلِيَاءِهِ ،
فَيَكُونُ بِثَلَاثَةِ أَسْبَابٍ : أَحَدُهَا أَنْ يَقُودَهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ
بِالرَّغْبَةِ ؛ وَيَكْفَهُمْ عَنِ مَعْصِيَتِهِ بِالرَّهْبَةِ ؛ فَإِنَّ الرَّغْبَةَ
وَالرَّهْبَةَ إِذَا تَوَالِيَا عَلَى النَّفْسِ ذَلَّتْ لهُمَا وَانْقَادَتْ
خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَبِهِمَا تَعَبَّدَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِي وَعْدِ اللَّهِ
وَوَعِيدِهِ : وَالثَّانِي أَنْ يَقُومَ بِكَفَايَتِهِمْ حَتَّى لَا يَنْفِرُوا

(١) الأقارب ويطلق على الأشياء والأنصار (٢) الأنداد

فَإِنَّ الْكَفَّ بِحَسَبِ الْكَشْفِ ، وَالْمَهْلُ ^(١) زَائِعٌ ^(٢)
 أَوْ رَائِعٌ ^(٣) وَلَا خَيْرَ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِضَلَالِ الزَّائِعِ
 وَمَخَاتَلَةِ الرَّائِعِ . وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْشُورِ الْحُكْمِ :
 مِنْ عَلامَةِ بَقَاءِ الدَّوْلَةِ قَلَّةُ النُّفَلَةِ .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي فِي دِفَاعِهِ عَنِ الْمَمْلَكَةِ مِنْ
 أَعْدَائِهَا ؛ وَأَعْدَاءُ الْمَمَالِكِ مَنْ انْفَرَدَ بِمُلْكٍ أَوْ امْتَنَعَ
 بِقُوَّةٍ . وَهُمْ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ : أَكْفَاءٌ ^(٤) مُمَاتِلُونَ ،
 وَعُظْمَاءٌ مُتَقَدِّمُونَ ، وَنَاجِمَةٌ مُنَافِسُونَ . فَأَمَّا الْأَكْفَاءُ
 الْمُمَاتِلُونَ فَيُدْفَعُونَ بِالْمُقَارَبَةِ وَالْمُسَالَمَةِ ، وَأَمَّا الْعُظْمَاءُ
 الْمُتَقَدِّمُونَ فَيُدْفَعُونَ بِالْمَلَاظِفَةِ وَالْمَلَايِنَةِ . وَأَمَّا

(١) التقدم في الخير وبسكون الهاء العمل في رفق وتؤدة

(٢) مائل إلى الضلال (٣) من روغان الثعلب فهو الخاتل (٤) أنداد

النَّاجِمَةُ^(١) الْمُنافِسُونَ فَيُدْفَعُونَ بِالسَّطْوَةِ وَالْمُخَاشَنَةِ .
فَإِنَّ اخْتِلَافَ الرُّتَبِ يُوجِبُ تَبَايُنَ أَهْلِهَا وَتَنَافِي
أَحْوَالِهَا . فَإِنَّ انْقَادَ لِلْأَعْلَى انْقَادَ لَهُ الْأَدْنَى ، يَدِينُ
بِمَا دَانَ . كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« كَمَا تَدِينُ تُدَانُ » . وَإِنْ نَاكَرَ نُوَكِّرَ وَكَانَ عَلَى
وَجَلٍّ مِنْ سَطْوَةِ الْعَالِي وَمُنَافَرَةٍ الدَّانِي . وَقَدْ قَالَ
بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ قَلَّتْ تَجْرِبَتُهُ خُدِعَ ، وَمَنْ
قَلَّتْ مُبَالَاتُهُ صُرِعَ . وَإِنْ اسْتَعْنَى عَنْ مُحَارَبَةٍ
أَحَدِهِمْ ، كَفَّ عَنْهَا وَهَوَّلَ بِهَا . وَلَمْ يَخْرُقْ حِجَابَ
الْهِيبَةِ ؛ وَلَمْ يَقْطَعْ أَسْبَابَ الْمُرَاقَبَةِ ؛ لِيَحْظِيَ بِأَرْبَعَةِ
أَشْيَاءَ : دَعَا الْمُسَالَمَةَ ، وَالْأَمْنَ مِنْ خَطَرِ الْمُنَاجَزَةِ^(٢)

وَبَقَاءِ الْأَمْوَالِ ، وَرَاحَةِ الْأَجْنَادِ . وَقَدْ قَالَتْ الْقُدَمَاءُ :
 خُذْ بِالْأَنَانَةِ ^(١) مَا اسْتَقَامَتْ لَكَ ، وَأَقْبِلِ الْعَافِيَةَ
 مَا وَهَبَتْ لَكَ ، وَلَا تَعْجَلْ إِلَى مُنَاجَزَةِ الْعَدُوِّ ،
 مَا وَجَدْتَ إِلَى الْحِيلَةِ سَبِيلًا ، وَلَا تَسْأَمَنَّ مِنْ
 مُطَاوَلَةِ عَدُوِّكَ ، فَإِنَّ لَكَ فِي الْإِبْطَاءِ انْتِظَارًا لِفُرْصَةٍ ،
 وَظَفْرًا بَعُورَةٍ ، وَتَوَقَّ طَلَبَ الظَّفْرِ بِاللِّقَاءِ ، فَإِنَّهُ
 لَا يَكَادُ يُنَالُ إِلَّا بِالْأَخْطَارِ . وَلَتَكُنِ الرَّغْبَةُ مِنْكَ
 فِي طَاعَةِ عَدُوِّكَ لَكَ آثَرٌ عِنْدَكَ مِنَ الْغَنِيمَةِ ،
 تُصِيبُ بِهِ سَلَامَةٌ أَصْحَابِكَ وَرَعِيَّتِكَ . وَقَدْ قَالَ
 عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : خُذْ عَلَى عَدُوِّكَ
 بِالْفَضْلِ ، فَإِنَّهُ أَحَدُ الظَّفَرَيْنِ . وَإِنْ دَعَتِ الضَّرُورَةُ

إِلَى الْمُنَاجَزَةِ بَعْدَ الْإِعْذَارِ^(١) وَالْإِنذَارِ ، أَيْقَظَ لَهَا
عَزْمَهُ وَاسْتَعْمَلَ فِيهَا حَزْمَهُ ؛ وَأَقْدَمَ عَلَيْهَا بَعْدَ
الِاسْتِخَارَةِ مُتَّبِعًا لِلدِّينِ ، وَمُسْتَعْمِلًا لِلْعَدْلِ ، فَلَنْ
يَعْدِلَ عَنْهَا إِلَّا بَاغٍ مَضْرُوعٌ ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ
الْحُكَمَاءِ : مَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ أُعْمِدَ فِي رَأْسِهِ ،
وَمَنْ أَسَّسَ أَسَاسَ الشُّوْءِ أَسَّسَهُ عَلَى نَفْسِهِ . وَلِيَكُنْ
الْحَذَرُ جُنَّتَهُ^(٢) ، وَالِاسْتِظْهَارُ^(٣) عُدَّتَهُ . وَقَدْ قَالَ
حَكِيمُ الْفُرْسِ : احْذَرِ التَّفْرِيطَ فِي الْأُمُورِ اتِّكَالًا
عَلَى الْقَدْرِ ، فَإِنَّ لِكُلِّ قَدْرٍ سَبَبًا يَجْرِي إِلَيْهِ ؛
فَسَبَبُ النُّجْحِ الْعَمَلُ ، وَسَبَبُ الْخَيْبَةِ التَّفْرِيطُ . وَكَانَ
يُقَالُ : تَفَكَّرْ قَبْلَ أَنْ تَعِزِّمْ ، وَتَبَيَّنْ قَبْلَ أَنْ تَهْجِمَ ،

(١) اعذره وأعذره على ما صنع رفع ذنبه (٢) وقايته (٣) الاحتياط

وَشَاوِرُ قَبْلَ أَنْ تُتَقَدَّمَ . وَإِذَا وَضَعْتَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا
 عَلَى ظَهْرِ وَغَلَبَةِ فَاصْفَحْ وَتَأَلَّفْ . فَقَدْ كَتَبَ حَكِيمُ
 الرُّومِ إِلَى الإسْكَندَرِ : إِذَا ظَهَرَتْ الْغَلَبَةُ عَلَى قَوْمٍ
 فَضَعَّ مَعَ أَوْزَارِ الْحَرْبِ الْغَضَبَ ، لِإِنَّهُمْ فِي الْحَالِ
 الْأُولَى أَعْدَائِهِ ، وَهُمْ فِي هَذِهِ الْحَالِ خَوْلٌ^(١) ، فَأَبْدَهُمْ
 بِالْغَضَبِ رَحْمَةً ، وَبِالْأَذَى إِحْسَانًا .

وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ فِي دِفَاعِ الْوَزِيرِ عَنِ نَفْسِهِ مِنْ
 أَكْفَائِهِ ، فَتَكُونُ بَعْدَ اسْتِصْلَاحِ الطَّرْفَيْنِ ، الْأَعْلَى
 وَهُوَ الْمَلِكُ ، وَالْأَدْنَى وَهُمْ الْأَعْوَانُ . وَأَكْفَاؤُهُ
 ثَلَاثَةٌ : وَاتِرٌ ، وَمَوْتُورٌ ، وَمُنَافِسٌ .

فَأَمَّا الْوَاتِرُ^(٢) : فَقَدْ بَدَأَ بِشَرِّهِ ، وَجَاهَرَ بِعَدَاوَتِهِ ؛

(١) الأصل فيهم الرعاة ويراد بهم هنا الخدم والأتباع

(٢) من تؤخذ منه الترة أى الثأر والموتور من له ترة عند غيره

وَكِلَاهُمَا بَغَى مِنْهُ يُؤَنَسُ بِالنَّصْرِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ قَالَ
 سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : سَهْمُ
 الظَّالِمِ يَرْجِعُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ عُقُوبَتَهُ تُسْرِعُ إِلَيْهِ .
 وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ فَعَلَ الْخَيْرَ فَبِنَفْسِهِ بَدَأَ ،
 وَمَنْ فَعَلَ الشَّرَّ فَعَلَى نَفْسِهِ جَنَى . وَلَكَ فِي بَرِّهِ حَقَّانِ ،
 حَقٌّ فِي مُقَابَلَتِهِ عَلَى مَا قَدَّمَ مِنْ بَرِّهِ ، وَحَقٌّ فِي اسْتِدْفَاعِ
 مَا جَاهَرَ بِهِ مِنْ عَدَاوَتِهِ ، فَأَمَّا حَقُّكَ فِي الْمُقَابَلَةِ ، فَإِنْ
 عَفَوْتَ عَنْهَا كُنْتَ بِالْفَضْلِ جَدِيرًا ؛ وَإِنْ قَابَلْتَ عَلَيْهَا
 كُنْتَ فِي الْمُقَابَلَةِ مَعذُورًا . وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « مَنْ أَرَادَ أَنْ يُشْرِفَ اللَّهُ لَهُ
 الْبُنْيَانَ ، وَأَنْ يَرْفَعَ لَهُ الدَّرَجَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ فَلْيَعْفُ
 عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيَصِلْ مَنْ قَطَعَهُ ، وَلْيُعْطِ مَنْ حَرَمَهُ ،

وَلِيَحْلُمَ عَمَّنْ جَهَلَ عَلَيْهِ « وَقَالَ الْمُتَّصِرُ : لَذَّةُ الْعَفْوِ
أَطْيَبُ مِنْ لَذَّةِ التَّشْفِي ، لِأَنَّ لَذَّةَ الْعَفْوِ يَتَّبِعُهَا الْحَمْدُ ،
وَلَذَّةُ التَّشْفِي يَعْقُبُهَا النَّدَمُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَيْسَ اعْتِدَارِي مِنْ قَبِيحِ بِنَافِعِ
إِذَا قِيلَ لِي يَوْمًا وَصَدَّقَ قَائِلُهُ

فَإِنَّكَ تَلَقَى فَاعِلَ الشَّرِّ نَادِمًا

عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْدَمْ عَلَى الْخَيْرِ فَاعِلُهُ

وَأَمَّا حَقُّكَ فِي اسْتِدْفَاعِ عَدَاوَتِهِ ، فَقَدْ أَيَّقَظَكَ (١)

بِمُجَاهَرَّتِهِ ، وَأَوْهَنَ كَيْدَهُ بِمُظَاهَرَّتِهِ (٢) . وَقَدْ قِيلَ

فِي مَثُورِ الْحُكْمِ : أَوْهَنُ الْأَعْدَاءِ كَيْدًا أَظْهَرُهُمْ

بِعَدَاوَتِهِ ؛ فَاحْذَرِ بَادِرَتَهُ ، وَادْفَعْ عَدَاوَتَهُ . وَدَفَعُهَا

(١) نبه قلبك بمجهر عدوانه (٢) مطالعته الناس بكيده ظاهراً

مُخْتَلَفٌ بِاخْتِلَافِ طِبَاعِهِ فِي إِثْبَاتِهِ بِالرَّغْبَةِ، أَوْ تَقْوِيمِهَا
 بِالرَّهْبَةِ . وَقَدْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ اعْتَزِلِ
 الشَّرَّ يَعْتَزِلَكَ ، فَإِنَّ الشَّرَّ لِلشَّرِّ خُلِقَ . وَقَدْ قِيلَ فِي
 الصُّحُفِ الْأُولَى : الشَّرِيرُ شَرُّهُ عَلَيْهِ . وَقَالَ الْحَسَنُ
 ابْنُ سَهْلٍ وَحَدَّثَ الْفَهْلَمَانُ : ثَلَاثَةٌ لَا يُصْلِحُ فَسَادُهَا
 بِشَيْءٍ مِنَ الْحَيْلِ : الْعَدَاوَةُ بَيْنَ الْأَقْرَبِ ، وَتَحَاسُدُ
 الْأَكْفَاءِ ، وَالرَّكَكَاكَةُ^(١) فِي الْمُلُوكِ . وَثَلَاثَةٌ
 لَا يُسْتَفْسَدُ صَلَاحُهَا بِنَوْعٍ مِنَ الْمَكْرِ : الْعِبَادَةُ
 فِي الْعُلَمَاءِ ، وَالْقُنُوعُ فِي الْمُسْتَبْصِرِينَ ، وَالسَّخَاءُ
 فِي ذَوِي الْأَقْدَارِ . وَثَلَاثَةٌ لَا يُشْبَعُ مِنْهَا : الْحَيَاةُ
 وَالْمَالُ وَالْعَافِيَةُ .

وَأَمَّا الْمَوْتُورُ فَقَدْ بُودِيَ بِالْإِسَاءَةِ فَصَبَرَ ،
 وَجُوهَرَ بِالْعَدَاوَةِ فَأَخْفَاهَا . فَلَهُ تِرَةٌ مَظْلُومٍ ، وَوَثْبَةٌ
 مُخْتَلِسٍ ، فَتَسَوَّقَى تِرَةٌ ظُلَامَتِهِ بِالِاسْتِعْطَافِ ، وَتُسَوَّقَى
 وَثْبَةٌ مُخَالَسَتِهِ بِالِاحْتِرَازِ . وَقَدْ رَوَى مُجَالِدٌ عَنِ الشَّعْبِيِّ
 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
 « إِيَّاكُمْ وَالْمُشَارَّةَ فَإِنَّهَا تَدْفِنُ الْغُرَّةَ وَتُظْهِرُ الْغُرَّةَ (١) » .
 وَقَدْ قِيلَ فِي أَمْثَالِ الْحَكِيمِ : ثَلَاثَةٌ الْقَلِيلُ مِنْهَا كَثِيرٌ ،
 النَّارُ وَالْعَدَاوَةُ وَالْمَرَضُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

فَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ حُرًّا ظَلَمَتُهُ

فَمَا لَيْلُ مَظْلُومٍ كَرِيمٍ بِنَائِمٍ
 وَأَمَّا الْمُنَافِسُ فَهُوَ طَالِبُ رُتْبَةٍ إِنْ نَالَ مِنْهَا

(١) ما في الرجل من مكروه أو هي الجنون

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اصْطَنِعَ الْخَيْرَ عِنْدَ امْتِكَانِهِ ؛
 يَبْقَى لَكَ حَمْدُهُ بَعْدَ زَوَالِ أَيَّامِهِ ، وَأَحْسِنُ وَالِدَوَّةً
 لَكَ ، يُحْسِنُ إِلَيْكَ وَالِدَوَّةً عَلَيْكَ ، وَاجْعَلْ زَمَانَ
 رَخَائِكَ عُدَّةً لِمَازِنِ بِلَائِكَ . وَإِنْ صَدَّ الْقَضَاءُ عَنْ
 إِرَادَتِهِ وَحَجَزَهُ الْقَدْرُ عَنْ صِلَتِهِ ، كَفَيْتَ مَا خِفْتَهُ ،
 وَقَدْ أَحْسَنْتَ وَوَصَلْتَ إِلَى مَا أَرَدْتَهُ ، وَقَدْ أَجْمَمْتُ (١) ،
 فَقَدْ قِيلَ فِي مَشُورِ الْحُكْمِ : الْخَوَائِجُ تُطَلَبُ بِالْعَنَاءِ ،
 وَتُدْرَكُ بِالْقَضَاءِ ، ثُمَّ قَدْ أُوجِبْتَ بِإِحْسَانِكَ سُكْرًا ،
 وَأَقَمْتَ بِإِجَامِكَ عُذْرًا اجْتَذَبَتْ بِهِمَا قِيَادَ مُنَافِسِكَ
 إِلَى طَاعَتِكَ ، وَصَرَفْتَهُ بِهِمَا عَنِ التَّعَرُّضِ لِمُنَافَسَتِكَ ،
 فَسَيَجْعَلُكَ قِبَلَةَ رَجَائِهِ ، إِذْ لَمْ يَحْظَ بِخَيْرٍ إِلَّا مِنْكَ ،

وَلَمْ يَقْضِ مِنْ زَمَانِهِ وَطَرًا^(١) إِلَّا بِكَ . وَقَدْ قِيلَ
 فِي مَثُورِ الْحَكِيمِ : مَنْ اسْتَصْلَحَ الْأَصْدَادَ بَلَغَ الْمُرَادَ .
 وَقَدْ قِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكِيمِ : قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ
 مَا الثُّبُلُ ؟ قَالَ مُوَاخَاةُ الْأَكْفَاءِ ، وَمُدَاهَنَةُ^(٢) الْأَعْدَاءِ
 وَرُبَّمَا تَعَرَّضَ لِعَدَاوَتِكَ مَنْ قَصَرَ عَنِ رُتْبَةِ مُنَافَسَتِكَ ،
 فَأَعْطَاهُ مِنْ رَجَائِهِ طَرَفًا ، وَاقْبَضَ مِنْ زَمَانِهِ طَرَفًا ،
 وَاخْتَبَرَهُمَا فِيهِ فَسَتَقِفُ بِهِ الْعَايَةَ عَلَى صَلَاحٍ أَوْ فِسَادٍ ،
 فَإِنْ صَلَحَ سُوْعِدَ ، وَإِنْ فَسَدَ تُوْعِدَ وَقَدْ قَالَ
 اَزْدَشِيرُ بْنُ بَابِكٍ : اخْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا
 جَاعَ ؛ وَاللَّيْمِ إِذَا شَبِعَ ، وَقَدْ قِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكِيمِ :
 عِلَّةُ الْمُعَادَاةِ ، قِلَّةُ الْمُبَالَاةِ .

(١) مَارَبًا (٢) مَصَانَعَةُ الْأَعْدَاءِ

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
 لِابْنِهِ : لَا تَسْتَكْثِرْ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَلْفُ صَدِيقٍ
 فَأَلْفُ قَلِيلٌ ، وَلَا تَسْتَقِلَّ أَنْ يَكُونَ لَكَ عَدُوٌّ
 وَاحِدٌ ، فَالْوَاحِدُ كَثِيرٌ . وَالسَّلَامَةُ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ
 مِنْ كَذِبِ الْأَمَانِيِّ ، فَأَقْبَلْ وَلَا تَسْتَكْثِرْ ؛ فَقَدْ
 رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
 « لَوْ لَمْ يُصَبِّ ابْنُ آدَمَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا الْأَمْنُ
 وَالسَّلَامَةُ لَكُنِي بِهِمَا دَاءً قَاتِلًا » . وَقِيلَ فِي
 مَثُورِ الْحِكْمِ : النَّاسُ عَوْنٌ عَلَى الصَّبْرِ . وَقَالَ
 إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ :

وَاللُّنُفُوسِ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى وَجَلٍ

مِنَ الْمَنِيَةِ آمَالٌ تُقْوِيهَا

فَالْمَرْءُ يَنْسُطُهَا وَالذَّهْرُ يَقْبِضُهَا

وَالنَّفْسُ تَنْشُرُهَا وَالْمَوْتُ يَطْوِيهَا

وَالْقِسْمُ الرَّابِعُ فِي الدَّفَاعِ عَنِ الرَّعِيَّةِ مِنْ

خَوْفِ وَاخْتِلَالٍ مِنْ نَتَائِجِ الإِهْمَالِ ، وَكِلَاهُمَا

مِنْ سُوءِ السَّيْرَةِ وَفَسَادِ السِّيَاسَةِ ، لِتَرَدُّدِهِمَا بَيْنَ

تَقْرِيطِ^(١) وَإِفْرَاطِ^(٢) ، وَخُرُوجِهِمَا عَنِ الْعَدْلِ إِلَى

تَقْصِيرٍ أَوْ إِسْرَافٍ ؛ وَهُمْ قَوَامُ الْمَلِكِ الْمُسْتَمِدِّ ،

وَذَخِيرَةُ الْمُسْتَعِدِّ ، إِنْ أَهْمَلُوا فَسَدُوا وَأَفْسَدُوا . وَإِنْ

حَيفَ عَلَيْهِمْ هَلَكُوا وَأَهْلَكُوا ، فَلَنْ يَسْتَقِيمَ مُلْكُ

فَسَدَتْ فِيهِ أَحْوَالُ الرَّعَايَا ، لِأَنَّهُ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ

مِنَ الْجَسَدِ ، لَا يُنْهَضُ إِلَّا بِقُوَّتِهِ ، وَلَا يُسْتَقَلُّ إِلَّا

بِعَمَلِهِ ، وَعَلَيْكَ لَهُمْ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ : أَحَدُهَا أَنْ
تُعِينَهُمْ عَلَى صَلَاحِ مَعَايِشِهِمْ ، وَوُفُورِ مَكَايِبِهِمْ ،
لِتَتَوَفَّرَ بِهِمْ مَوَادُّكَ وَتَعْمَرَ بِهِمْ بِلَادُكَ . وَقَدْ رَوَى
عَطَاءٌ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
« خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ » وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنْبَهٍ : إِنْ
أَحْسَنَ النَّاسُ عَيْشًا مِنْ حَسَنَ عَيْشِ النَّاسِ فِي عَيْشِهِ :
وَالثَّانِي أَنْ تَقْتَصِرَ مِنْهُمْ عَلَى حُقُوقِكَ ، وَتَحْمِلَهُمْ فِيهَا
عَلَى إِنْصَافِكَ ، لِيَكُونُوا عَلَى الْإِسْتِكْثَارِ أَحْرَصَ ، وَفِي
الطَّاعَةِ أَخْلَصَ ، وَقَدْ قِيلَ : مَنْ خَافَ إِسَاءَتَكَ اعْتَقَدَ
مَسَاءَتَكَ ^(١) . وَلَا تَكْلِمُهُمْ فِي مَقَادِيرِ الْحُقُوقِ إِلَى غَيْرِكَ ،
فِيَكُونُوا لَهُ أَرْجَى ، وَعَلَيْهِ أَحْنَى ^(٢) . فَقَدْ قِيلَ فِي سَالِفِ

(١) الفيح من القول والعمل (٢) أشفق

الْحِكْمَ : إِنَّمَا يَسْتَخْرِجُ مَا عِنْدَ الرَّعِيَّةِ وَوَلَاتَهَا ، وَمَا
 عِنْدَ الْجُنْدِ قَادِمًا ، وَمَا فِي الدِّينِ وَالتَّأْوِيلِ عُلَمَاءُؤُهُ :
 وَالثَّلَاثُ أَنْ تَحُوطَهُمْ بِكَفِّ الْأَذَى وَمَنْعِ الْأَيْدِي
 الْغَالِبَةِ مِنْهُمْ ، لِتَكُونَ لَهُمْ كَأَلَابِ الرَّءُوفِ ، وَيَكُونُوا
 لَكَ كَأَوْلَادِ الْبَرَّةِ ؛ فَإِنَّكَ كَافِلٌ^(١) مُسْتَرَعَى^(٢) ،
 وَمَسْئُولٌ مُوَآخِذٌ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : « كُكُّكُمْ رَاعٍ وَكُكُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »
 فَلِلَّهِ عَلَيْكَ فِيهِمْ حَقٌّ ، وَلِلسُّلْطَانِ عَلَيْكَ فِيهِمْ
 تَبَعَةٌ ، فَاعْتَمِرْ بِهِمْ شُكْرَ إِحْسَانِكَ ، وَجَمِّلْ بِهِمْ
 آثَارَ سُلْطَانِكَ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا ظِلُّ النِّعَامِ وَحِلْمُ النِّيَامِ .
 وَقَدْ قِيلَ : مِنَ الدُّنْيَا عَلَى الدُّنْيَا دَلِيلٌ . وَرُويَ عَنْ

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا
كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » . وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ
الْحِكْمِ : عُدُّ الْحَيَاةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُعْتَصَرُ ، وَقَالَ
بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كُلُّ يَوْمٍ يَسُوقُ إِلَى غَدِهِ ،
وَكُلُّ أَمْرٍ مَأْخُوذٌ بِجِنَايَةِ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، فَاعْتَمِمْ
غَفْلَةَ الزَّمَانِ ، وَانْتَهِزْ فُرْصَةَ الْإِمْكَانِ ، وَخُذْ مِنْ
نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ ، وَتَزَوَّدْ مِنْ يَوْمِكَ لِغَدِكَ .
وَكَتَبَ حَكِيمُ الرُّومِ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِ : لَا تَكَلِّبْ (١)
عَلَى الدُّنْيَا فَإِنَّكَ قَلِيلُ الْبَقَاءِ فِيهَا . وَمِنْ أَحْكَمِ
مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الشَّاعِرِ :
هُمُومُكَ بِالْعَيْشِ مَقْرُونَةٌ
فَمَا تَقَطَّعُ الْعَيْشَ إِلَّا بِهِمْ

(١) لا يشتد حرصك عليها

وَحُلُوةٌ دُنْيَاكَ مَسْمُومَةٌ

فَمَا تَأْكُلُ الشَّهْدَ إِلَّا بِسْمِ

إِذَا تَمَّ أَمْرُهُ بَدَأَ نَقْضُهُ

تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ

وَلَمَّا تَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَرُدَّ عَلَيْهِ مُلْكُهُ ، كَتَبَ عَلَى

كُرْسِيِّهِ : إِذَا صَحَّتِ الْعَافِيَةُ نَزَلَ الْبَلَاءُ ، وَإِذَا تَمَّتِ

السَّلَامَةُ نَجَّمَ الْعَطْبُ ، وَإِذَا تَمَّ الْأَمْنُ عَلَا الْخَوْفُ .

فَأَمَّا الْفَصْلُ الثَّلَاثُ وَهُوَ الْإِقْدَامُ . فَهُوَ فِي

السِّيَاسَةِ أَوْ فِي شَرْطِهَا ، وَفِي الْوِزَارَةِ أَكْفَى نَظَرِيهَا

بِظَفْرِ الْإِقْدَامِ وَخَيْبَةِ الْإِحْجَامِ . وَقَدْ قِيلَ فِي

مَشُورِ الْحُكْمِ : بِالْإِقْدَامِ تَرْتَفِعُ الْأَقْدَامُ ؛ وَإِنَّمَا

إِقْدَامُ
الْوِزِيرِ
وَأَقْسَامُهُ

يَجِبُ الْإِقْدَامُ إِذَا ظَهَرَتْ أَسْبَابُهُ مِنْ فُرْصَةٍ تَنْهَزُهَا
أَوْ قُوَّةٍ تَجِدُّهَا ، وَقَصَدْتَ أَبْوَابَهُ فِي إِبَانِهِ وَعِنْدَ
إِمْكَانِهِ . كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ
ضَلَلْتَ وَإِنْ تَقَّصِدُ إِلَى الْبَابِ تَهْتَدُ

ثُمَّ تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا ، بَيْنَ حَزْمِكَ وَعَزْمِكَ ، فَالْحَزْمُ
تَدْبِيرُ الْأُمُورِ بِمُوجِبِ الرَّأْيِ ؛ وَالْعَزْمُ تَنْفِيذُهَا
لِلْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ لَهَا ؛ فَإِذَا تَكَامَلَتْ شُرُوطُ الْإِقْدَامِ
مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ الْأَرْبَعَةِ ، لَمْ يَمْنَعْ مِنَ الظَّفَرِ إِلَّا
عَوَائِقُ الْقَدْرِ . وَقَدْ قِيلَ فِي قَدِيمِ الْحِكْمِ : إِذَا طَلَبَ
إِثْنَانِ حَظًّا ^(١) ، ظَفَرَ بِهِ أَفْضَلُهُمَا دِينًا ، فَإِنْ اسْتَوِيَا فِي

الدين ، ظفر به أفضلهما مروءةً ، فإن استويا في المروءة ،
ظفر به أكثرهما أعواناً ، فإن استويا في الأعوان ،
ظفر به أسعدهما جدًّا (١) ، فإن انشلم (٢) من شروط
الإقدام أحدها ، صار الإقدام تغريراً يمنع من حزم
ذى اللب ، ويصدُّ عن الظفر ما لم يغلب قدره . فما
الأقدار بقياسٍ معتبرٍ . وقد قال حكيمُ الهندي :
السببُ الذي يدركُ به العاجزُ حاجتهُ ، هو الذي
يحولُ بين الحازمِ وطلبتهِ (٣) ، وقيل « لبزر جمهر »
ما أعجبُ الأشياءِ ؟ قال : نُجحُ الجاهلِ ، وإكداءُ (٤)
العاقِلِ . ودخلَ رجلٌ على عبدِ الله بنِ طاهرٍ فقالَ له :

(١) الجد هو الحظ (٢) فقد (٣) حاجته — مأربه (٤) اخفق

العاقِلِ وأكدى الشاعر إذا عى عن الشعر

أَيُّهَا الْأَمِيرُ مَا الَّذِي لَا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى عَزْمٍ وَلَا حَزْمٍ؟
 فَاسْتَمَهَلَهُ فِي جَوَابِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . فَعَادَ إِلَيْهِ بَعْدَهَا
 وَسَأَلَهُ . فَقَالَ لَهُ : الدَّوْلَةُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ وَمَا أَخْرَجَ
 هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنْكَ إِلَّا الدَّوْلَةُ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ فِي مَثْوَرِ
 الْحِكْمِ : الْحِظُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ .

وَالْإِقْدَامُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا الْإِقْدَامُ عَلَى
 اجْتِلَابِ الْمَنَافِعِ . وَالثَّانِي الْإِقْدَامُ عَلَى دَفْعِ الْمَضَارِّ .
 فَأَمَّا الْإِقْدَامُ عَلَى اجْتِلَابِ الْمَنَافِعِ ، فَضَرَبَانَ .
 أَحَدُهُمَا اسْتِضَافَةٌ^(١) مُلْكٍ . وَالثَّانِي اسْتِزَادَةٌ مَوَادٍّ ،
 فَأَمَّا اسْتِضَافَةُ الْمُلْكِ ، فَتَكُونُ بِالْحَزْمِ وَالْعَزْمِ
 إِذَا اقْتَرْنَا بِرَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ ، وَلَآنُ تَكُونُ بِالِاغْتِيَالِ

« التَمِسُوا الرِّزْقَ فِي خَبَايَا الْأَرْضِ » . يَعْنِي الزَّرْعَ
وَلَأَنَّ تَسْتَمِدَّ فَرْعًا دَارًا يَعْمُ خَيْرُهُ ؛ أَوْلَى مِنْ أَنْ
تَجْتَثَّ أَصْلًا مُنْقَطِعًا يَعْمُ ضَرَرُهُ ، فَلَا نَفَادَ لِدَارٍ (١) ،
وَلَا لُبَّ لِئِنْقِطِعَ ، وَمَا يُفْسِدُهُ إِلَّا الْمُبَادَرَةُ قَبْلَ
أَوَانِهِ ، وَالْعَجَلَةُ قَبْلَ زَمَانِهِ ، وَقَدْ قِيلَ فِي أَمْثَالِ
الْحَكَمِ : الْحُظُوظُ مَرَاتِبُ ، فَلَا تَعْجَلْ عَلَى ثَمَرَةٍ
لَمْ تُدْرِكْ ، فَإِنَّكَ تَنَالُهَا فِي أَوَانِهَا عَذْبَةً ، وَالْمُدَبِّرُ
لَكَ أَعْلَمُ بِالْوَقْتِ الَّذِي تَصْلُحُ فِيهِ ، فَتَقِ بِخَيْرَتِهِ
لَكَ ، وَلَا تَحْمِلْ حَوَائِجَ عُمْرِكَ كُلِّهِ ، عَلَى يَوْمِكَ
الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ؛ فَيَضِيقَ عَلَيْكَ ، وَيَشْغَلَكَ الْقُنُوطُ
عَنْ تَدْيِيرِكَ ، فَلْيَحْذَرِ الْعَجَلَةَ ، فَيَرَاهُ النَّاسُ مُسِيئًا ،

(١) الذي يجود ويدر

بِتَفْرِيطِكَ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، وَمُسْتَدْرِكًا لِتَقْصِيرِكَ فِي
 الْإِنْتِهَاءِ ، فَجَبَرْتَ إِسَاءَتَكَ بِإِحْسَانِكَ ، وَمَحَوْتَ
 قَبِيحَكَ بِجَمِيلِكَ ، وَإِنْ كَانَ حُدُوثُهُ مِنْ غَيْرِكَ ،
 كَانَتْ جَرِيرَةٌ^(١) الْإِسَاءَةِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ حَمْدُ الْإِحْسَانِ
 لَكَ ، وَبَانَ بِكَ سُوءُ أَثَرِهِ ، وَبَانَ بِهِ جَمِيلُ أَثَرِكَ .
 وَقَدْ رَوَى عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الْخَيْرُ كَثِيرٌ ،
 وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ » فَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : خَيْرٌ مِنْ الْخَيْرِ
 فَاعِلُهُ ، وَشَرٌّ مِنْ الشَّرِّ فَاعِلُهُ .

وَأَمَّا الْفَصْلُ الرَّابِعُ : وَهُوَ الْحَذَرُ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ وَالْحَذَرَ
 وَأَنْوَاعَهُ

ثَائِرٌ بِطَوَارِقِهِ^(٢) ، وَمُنَافِرٌ^(٣) بِنَوَائِبِهِ ، يَغْدُرُ إِنْ

(١) جناية (٢) أحداثه ونوبه (٣) بجانب نفور

وَفِي ، وَيَقْتُلُ إِنْ هَفَا . وَلِذَلِكَ قِيلَ فِي مَشْهُورِ
 الْحِكْمِ : الدُّنْيَا مُرْتَجَعَةٌ ^(١) الْهَبَةِ ، وَالذَّهْرُ حَسُودٌ
 لَا يَأْتِي عَلَى شَيْءٍ إِلَّا غَيْرَهُ . وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ :
 أَصَابَ الدُّنْيَا مَنْ حَذَرَهَا ، وَأَصَابَتْ الدُّنْيَا مَنْ أَمِنَهَا .
 وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : أَحْذَرُوا الْجُدِيدِينَ ،
 فَلِلْأَقْدَارِ أَوْقَاتٌ تُغْضِي عَنْهَا الْأَبْصَارُ ، فَإِذَا صَادَفَتْ
 طَوَارِقَهُ غَرًّا مُسْتَرْسِلًا ، صَارَ هَدَفًا لِسَهَامِهَا الصَّوَابِ ،
 وَغَرَضًا لِلْمُنَافِرَةِ الْحَوَادِثِ وَالنَّوَابِغِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ : مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْحَذَرِ وَالِإِحْتِرَاسِ ،
 وَبَنَى أَمْرَهُ عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ ، زَالَ عَنْهُ الْعِزُّ ، وَاسْتَوَلَى
 عَلَيْهِ الْعَجْزُ ، وَإِنْ قَدَّمَ لِطَوَارِقِهِ حَذَرَ الْمُتَيَقِّظِ ،

(١) الهبة المستردة بعد صيرورتها في قبضة الموهوب له

وَتَلَقَّاهَا بَعْدَ الْمُتَحَفِّظِ ، رَدَّ بَادِرَتَهَا بِعَزْمِ ذِي
حَزْمٍ ، قَدْ حَلَبَ أَشْطُرَ دَهْرِهِ ، وَقَامَ بِوَاضِحِ عُذْرِهِ .
وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

إِنَّ لِلدَّهْرِ صَوْلَةً فَاحْذَرْنَهَا

لَا تَبَيِّنَنَّ قَدْ أَمِنْتَ (١) الدُّهُورَا

شَمُّهُ هُوَ بَعْدَ حَذْرِهِ مُسْتَسَلِمٌ لِقَضَاءِ لَا يُرَدُّ ، وَقَدَرِ
لَا يُصَدُّ . وَقَدْ رَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « احْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا أَسْحَرُ
مِنْ هَارُوتَ وَمَارُوتَ » . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ :
مَنْ السَّعِيدُ ؟ ، قَالَ : مَنْ اعْتَبَرَ بِأَمْسِهِ ، وَاسْتَظْهَرَ
لِنَفْسِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

(١) جملة قد أمنت الدهورا حال من الضمير في تبيت

وَحَدَرْتُ مِنْ أَمْرِ فَرَّ بِجَانِبِي

لَمْ يَبْكِنِي وَلَقِيتُ مَا لَمْ أَحْذِرِ

وَالْحَذَرُ حَدٌّ يَقِفُ عِنْدَهُ ، إِنْ زَادَ عَلَيْهِ صَارَ

خَوْرًا^(١) ، كَمَا أَنَّ لِلْإِقْدَامِ حَدًّا ، إِنْ زَادَ عَلَيْهِ صَارَ

تَهَوْرًا ، وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْحُدُودِ نَقْصٌ فِي الْمَحْدُودِ ،

وَلَهُمَا زَمَانٌ ، إِنْ خَرَجَا عَنْهُ صَارَ الْحَذَرُ فَشَلًّا ؛ وَالْإِقْدَامُ

خُرُوقًا ، وَعَارُهُمَا مُعْتَبَرٌ بِحَزْمِ الْعَاقِلِ ، وَيَقْظَةُ الْفَطِنِ .

وَقَدْ قِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكْمِ : أَيْدِي الْعُقُولِ تُمْسِكُ

أَعْنَةَ الْأَنْفُسِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لِيَعْرِفَكَ

السُّلْطَانُ عِنْدَ افْتِتَاحِ التَّدْيِيرِ بِالْحَذَرِ ، وَعِنْدَ وَقُوعِ

الْأَمْرِ بِالْجِدِّ . وَالْحَذَرُ يَلْزَمُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ :

(١) ضعفاً وجبناً

أَحَدُهَا الْحَذَرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا فَرَضَ ، وَالثَّانِي
 الْحَذَرُ مِنَ السُّلْطَانِ فِيمَا فَوَّضَ ، وَالثَّلَاثُ الْحَذَرُ مِنَ
 الزَّمَانِ فِيمَا اعْتَرَضَ ، وَالرَّابِعُ الْحَذَرُ مِنْ غَلْبَةِ
 الْأَعْدَاءِ وَمَكْرِ الدُّهَاءِ^(١) .

فَأَمَّا الْحَذَرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَهُوَ عِمَادُ الدِّينِ ،
 الْبَاعِثُ عَلَى الطَّاعَةِ . وَالْحَذَرُ مِنْهُ ، هُوَ الْوُقُوفُ
 عَلَى أَوْامِرِهِ ، وَالْإِنْتِهَاءُ مِنْ زَوَاجِرِهِ ، فَيَعْمَلُ بِطَاعَتِهِ
 فِيمَا أَمَرَ ، وَيَنْتَهِي عَنْ مَعْصِيَتِهِ فِيمَا حَظَرَ ، فَلَنْ
 تَرَى قَلِيلَ الْحَذَرِ إِلَّا مُتَجَوِّزًا فِي دِينِهِ ، طَامِحًا فِي
 غُلُوبَائِهِ^(٢) ، لَا يَرَى رُشْدًا فِي الْعَاجِلِ ، وَهُوَ عَلَى
 وَعِيدٍ فِي الْآجِلِ ، مَعَ نُفُورِ النَّفْسِ مِنْهُ ، وَسِرَايَةِ

(١) جمع داهية وهو الرجل الماكر كثير الدهاء (٢) مغالاته

الذمّ فيه . وَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ الصُّحُفِ الْأُولَى :
 الْعِزَّةُ وَالْقُوَّةُ يُعْظَمَانِ الْقَلْبَ ، وَأَفْضَلُ مِنْهُمَا خَوْفُ
 اللَّهِ تَعَالَى ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ تَرُدَّعَهُ خَشْيَةُ اللَّهِ ، لَمْ يَخَفِ
 الْوَضِيعَةَ ، وَلَمْ يَحْتَجِ إِلَى نَاصِرٍ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ حَاوَلَ أَمْرًا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ كَانَ
 أَبْعَدَ لِمَا رَجَا ، وَأَقْرَبَ لِمَجِيءِ مَا اتَّقَى . وَقَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ : خَيْرُ الْأَخْلَاقِ أَعْوَنُهَا عَلَى الْوَرَعِ . وَقَالَ
 بَعْضُ السَّلَفِ : إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ
 مَشْوَاكَ . وَقَالَ الْبُحْتَرِيُّ :

يَا جَامِعًا مَانِعًا وَالذَّهْرُ يَرْمُقُهُ

مُفَكَّرًا أَيُّ بَابٍ فِيهِ يَطْرُقُهُ

جَمَعْتَ مَا لَا فَفَكَرْ هَلْ جَمَعْتَ لَهُ

يَا جَامِعَ الْمَالِ أَيَّامًا تُفَرِّقُهُ

وَأَمَّا الْحَذَرُ مِنَ السُّلْطَانِ ، فَهُوَ وَثَابٌ بِقُدْرَتِهِ ،
 مُتَحَكِّمٌ بِسَطْوَتِهِ ، يَمِيلُ بِهِ الْهَوَى فَيَقْطَعُ بِالظَّنِّ
 وَيُؤَاخِذُ بِالْأَرْتِيَابِ ، فَالثَّقَةُ بِهِ عَجْزٌ ، وَالِاسْتِرْسَالُ (١)
 مَعَهُ خَطَرٌ . وَقَدْ قِيلَ : ثَلَاثَةٌ لَا أَمَانَ لَهُمْ ؛
 السُّلْطَانُ وَالْبَحْرُ وَالزَّمَانُ . وَقِيلَ : إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ
 تَغَيَّرَ الزَّمَانُ ، وَالْحَذَرُ مِنْهُ فِي حَالَتِي السُّخْطِ وَالرِّضَا
 أَسْلَمَ ، لِأَنَّهُ يَسْتَدْنِبُ إِذَا مَلَ حَتَّى يَصِيرَ الْمُحْسِنُ

(١) اطلاق العنان للنفس في معاشرته أو مكلته وما أحسن ما قيل :

ومعاشرة السلطان شبه سفينة في البحر ترجف دائماً من خوفه
 إن أدخلت من مائه في جوفها أدخلها وماءها في جوفه

عِنْدَهُ كَالْمِسِيِّ ، فَاسْتَخْلَصَ رَأْيَهُ بِالنُّصْحِ وَاسْتَدْفَعَ (١)
 تَنْكُرَهُ (٢) بِالْحَذَرِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :
 اصْحَبِ السُّلْطَانَ بِثَلَاثٍ ؛ الْحَذَرِ ، وَرَفُضِ الدَّوْلَةَ ،
 وَالِاجْتِهَادِ فِي النُّصْحِ ، وَحَذَرُكَ مِنْهُ يَكُونُ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ :
 أَحَدُهَا : أَلَّا تَعْوَلَ عَلَى الثَّقَةِ فِي إِدْلَالٍ وَاسْتِرْسَالٍ ،
 فَمَا جَرَّتِ الثَّقَةُ إِلَّا نَدَمًا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا زِلْتُ أَسْمَعُكُمْ مِنْ وَائِقٍ خَجَلٍ

حَتَّى ابْتُلَيْتُ فَصِرْتُ الْوَائِقَ الْخَجِلَا

وَقَدْ قِيلَ : الْخُرْقُ . الدَّلَالَةُ (٣) عَلَى السُّلْطَانِ ، وَالْوَثْبَةُ

قَبْلَ الْإِمْكَانِ . فَاقْبِضْ نَفْسَكَ إِذَا قَدَّمَكَ ، وَتَوَاضَعْ

لَهُ إِذَا عَظَّمَكَ ، وَاحْتَشِمْهُ إِذَا آنَسَكَ ، وَلِنْ لَهُ إِذَا

(١) إُدْفَع (٢) تَغْيِرْهُ عَلَيْكَ (٣) الْاجْتِرَاءُ فِي ثِقَةٍ

خَاشَنَكَ ، وَاصْبِرْ عَلَى تَجَنُّبِهِ إِذَا غَالَطَكَ . فَهَوَ عَلَى
التَّجَنُّبِ (١) أَقْدَرُ ، فَكُنْ عَلَى احْتِمَالِهِ أَصْبَرَ ، فَرُبَّمَا
كَانَتْ مُجَامَلَتُهُ لَكَ مَكْرًا ، وَتَجَنُّبُهُ عَلَيْكَ عُذْرًا ، فَقَدْ
قِيلَ فِي بَعْضِ الصُّحُفِ الْأُولَى : حُبُّ الْمَلِكِ وَهَوَاهُ ،
يُشْبِهُ الطَّلَّ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى الْعُشْبِ . وَقَدْ قَالَتْ
حُكْمَاءُ الْهِنْدِ : مَثَلُ السُّلْطَانِ فِي قِلَّةِ وَفَائِهِ لِلْأَصْحَابِ ،
وَسَخَاءِ نَفْسِهِ عَنْهُمْ مَثَلُ الْبَغِيِّ (٢) ، وَالْمُكْتَبِ (٣) ،
كُلَّمَا ذَهَبَ وَاحِدٌ جَاءَ آخَرُ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ :
السُّلْطَانُ ذُو عُذْوَانٍ وَبِدْوَانٍ ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُ فِي إِظْهَارِ
تَنَكُّرِهِ عَلَيْكَ عُذْرًا . فَرُبَّمَا اعْتَرَفَ بِالْحَقِّ فَوَفَّى ،

(١) ادعاء ذنب لم يفعله المدعى عليه (٢) المومس - المرأة الساقطة

(٣) معلم الكتاب

وَرَقَّ بِالصَّبْرِ فَكَفَّ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ فِي أَمْثَالِ
 كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ : صَاحِبُ السُّلْطَانِ كِرَاكِبِ الْأَسَدِ
 يَخَافُهُ النَّاسُ ؛ وَهُوَ لِمَرَ كَوْبِهِ أَشَدُّ خَوْفًا . وَقَدْ
 رَوَى مُصْعَبُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنِ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « السَّعِيدُ مَنْ
 وَعِظَ بغيرِهِ » . وَقَالَ شَاعِرُهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :
 وَلَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْفُتُونَ فَإِنِّي

بِرَأْيِ الَّذِي لَا يَأْمَنُ الدَّهْرَ مُقْتَدِي
 وَالثَّانِي : فِي حِذْرِكَ مِنْهُ ؛ أَنْ تُسَاعِدَهُ عَلَى
 مَطَالِبِهِ ، وَتُؤَافِقَهُ عَلَى مَحَابِّهِ وَمَشَارِبِهِ ، وَلَا تُصَدِّهُ
 عَنْ غَرَضٍ ، إِذَا لَمْ يَقْدَحْ^(١) فِي دِينٍ وَلَا عِرْضٍ ،

(١) ينال منه

مِنْهَا . لَيْسَ سَهْلَ عَلَيْهِ إِقْلَاعُهُ عَنْهَا ؛ فَإِنْ سَاعَدَكَ
 عَلَيْهِ ، سَلِمَ دِينُكَ ؛ وَزَالَ شَيْنُكَ . وَقَدْ رَوَى
 أَبُو حَازِمٍ : عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَللَّهِ خَزَائِنُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
 مَفَاتِيحُهَا الرَّجَالُ ؛ فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ
 مَغْلَاقًا لِلشَّرِّ وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ مَغْلَاقًا
 لِلْخَيْرِ » . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

سَتَلِقَى الَّذِي قَدَّمْتَ لِلْخَيْرِ مُحْضَرًا

وَأَنْتَ بِمَا تَأْتِي مِنَ الْخَيْرِ أَسْعَدُ

وَإِنْ أَصَرَ عَلَيْهَا لَنْتَ فِي مُتَارَكْتِهِ ^(١) ، وَأُحْجِمْتَ

عَنْ مُسَاعَدَتِهِ ، وَهُوَ خَدَاعٌ يَتَدَلَّسُ ^(٢) بِالْمُغَالَطَةِ ،

(١) مخالفته في رأيه (٢) يعتد التدليس

وَيَخْفَى بِالْحَزْمِ ، فَاسْتَنْجِدَ فِيهِ عَقْلَكَ ، وَاسْتَعْمَلَ فِيهِ
 حَزْمَكَ ؛ لِتَسْلَمَ مِنْ تَنْكُرِهِ ؛ وَتَخْلُصَ مِنْ وِزْرِهِ .
 فَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
 « إِنْ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَبْدًا أَذْهَبَ
 آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ » .

وَالثَّلَاثُ : فِي حِذْرِكَ مِنْهُ أَنْ تَذُبَ (١) عَنْ نَفْسِهِ
 وَمُلْكِهِ بِمَا اسْتَطَعْتَ مِنْ مَالٍ وَنَفْسٍ ، فَإِنَّكَ عَنْ
 نَفْسِكَ تَذُبُ وَلَهَا تَرَبُّ ، لِأَنَّهُ لَا يَصْلُحُ حَالُكَ ؛
 مَعَ فَسَادِ حَالِهِ ، وَأَنْتَ فَرَعٌ مِنْ أَصْلِهِ ؛ وَهُوَ يَسْتَرْسِلُ
 لِثِقَتِهِ بِكَ ، وَيَسْتَسْلِمُ لِتَعْوِيلِهِ عَلَيْكَ ، فَقَابِلْ ثِقَتَهُ
 بِأَمَانَتِكَ ، وَاسْتِسْلَامَهُ بِكِفَايَتِكَ ، وَلَا تُلْجِئْهُ أَنْ

وَاعْلَمْ أَنَّ لِسُلْطَانِكَ عَلَيْكَ حُقُوقًا لَكَ عَلَيْهِ مِثْلُهَا ؛
 فَحُقُوقُهُ عَلَيْكَ ثَلَاثَةٌ : أَحَدُهَا قِيَامُكَ بِمَصَالِحِ
 مُلْكِهِ . وَهِيَ أَرْبَعٌ : عِمَارَةُ بِلَادِهِ ؛ وَتَقْوِيمُ أَجْنَادِهِ
 وَتَشْمِيرُ مَوَادِّهِ ؛ وَحِيَاطَةُ رَعِيَّتِهِ . وَالثَّانِي مِنْ حُقُوقِهِ
 عَلَيْكَ قِيَامُكَ بِمَصَالِحِ نَفْسِهِ وَهِيَ أَرْبَعٌ إِدْرَاكُ
 كِفَايَتِهِ ؛ وَتَحْمَلُ عَوَارِضِهِ ؛ وَتَهْدِيبُ حَاشِيَتِهِ ، وَاسْتِعْدَادُ
 مَا يَدْفَعُ بِهِ النَّوَائِبَ . وَالثَّلَاثُ مِنْ حُقُوقِهِ عَلَيْكَ ،
 قِيَامُكَ بِمُقَاوَمَةِ أَعْدَائِهِ ، وَذَلِكَ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ :
 تَحْصِينُ الثُّغُورِ ، وَاسْتِكْمَالُ الْعُدَّةِ ، وَتَرْتِيبُ
 الْعَسَاكِرِ ، وَتَقْدِيرُ الْحُدُودِ ، فَادِّ حُقُوقَ سُلْطَانِهِ ،
 وَوَفِّ شُرُوطَ ائْتِمَانِهِ ، وَاحْذَرِ بَادِرَةَ مُوَآخَذَتِهِ إِنْ
 قَصَّرْتَ ، وَسَطُوعَةَ ائْتِقَامِهِ إِنْ فَرَطْتَ ، فَقَدْ قِيلَ فِي

مَنْشُورِ الْحُكْمِ : مَنْ فَعَلَ مَا شَاءَ ، لَقِيَ مَا لَمْ يَشَأْ .
 وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : مَنْ أَوْلِعَ ^(١) بِبُحْبُوحِ الْمُعَامَلَةِ ،
 أُوجِعَ بِبُحْبُوحِ الْمُتَقَابَلَةِ . وَاعْلَمْ أَنَّ بَادِرَةَ الْإِنْتِقَامِ ،
 أَسْرَعُ مِنْ ظُهُورِ الْإِنْعَامِ ، لِأَنَّ الْإِنْتِقَامَ يَصْدُرُ عَنْ
 طَيْشِ الْغَضَبِ ؛ وَالْإِنْعَامَ يَصْدُرُ عَنْ أَنَاةِ الْكِرَمِ ،
 فَرُبَّمَا هَجَمَ الْإِنْتِقَامُ قَبْلَ الْحَذَرِ إِنْ تَمَّ عَلَى مُدَاوِمَةِ
 الْحَذَرِ . وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو زَيْدٍ الطَّائِيُّ :

وَالْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُجْتَمِعًا

وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلَهُ ^(٢) مَطْرَهُ

وَقَدْ قِيلَ فِي حِكْمِ الْفُرْسِ : مَا أضعَفَ طَمَعُ
 صَاحِبِ السُّلْطَانِ فِي السَّلَامَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ عَفَّ

(١) مال ميلا شديداً (٢) المطر الغزير

: مَن يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَهُوَ كَمَا أَنَّهُ يَدْعُوهُ سِوَى اللَّهِ عِزًّا

وَقَدِ انْفَرَقَ بَيْنَ الَّذِينَ هُمْ يَدْعُونَ فَادْعُوا اللَّهَ حِدَادًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَلِكُ

الْقَدِيمُ ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ

وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ

وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ

وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ

وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ

وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ

وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ

وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِيعٌ

يُنَبِّئِي لِلْوَزِيرِ أَنَّ يَكُونُ قَوِيَّ الْأَمْرِ : مَقْبُولَ
الْقَوْلِ ؛ يَمْنَعُهُ مَكَانَهُ مِنْكَ مِنَ الضَّرَاعَةِ لِغَيْرِكَ ،
وَتَبَعْتُهُ الثِّقَةَ بِكَ عَلَى بَدْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ ، وَيُسَجِّعُهُ
مَا يَعْرِفُ مِنْ رَأْيِكَ عَلَى مُقَاوَمَةِ أَعْدَائِكَ ، وَأَحْذَرُكَ
أَنْ تَنْزِلَ بِهَذِهِ الْمُنْزِلَةَ مِنْ سِوَاهُ مِنْ خَدَمِكَ .
وَالثَّانِي مِنْ حُقُوقِكَ عَلَيْهِ : أَنْ تَتَّقَ مِنْهُ بِأَرْبَعَةِ
أَشْيَاءَ . أَلَّا يُؤَاخِذَكَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ؛ وَلَا يَطْمَعَ فِي
مَالِكَ مِنْ غَيْرِ خِيَانَةٍ ، وَأَلَّا يُقَدِّمَ عَلَيْكَ مَنْ دُونِكَ .
وَلَا يُمَكِّنُ مِنْكَ عَدُوًّا . عَهْدَ مَلِكٍ إِلَى ابْنِهِ فَقَالَ :
إِنَّكَ لَنْ تَصِلَ إِلَى إِحْكَامِ مَا تُرِيدُهُ مِنْ تَدْبِيرِ
مُلْكِكَ إِلَّا بِمَعُونَةِ وُزَرَائِكَ وَأَعْوَانِكَ ، فَأَغْنِهِمْ عَلَى

طَاعَتِكَ بِبِأَشْرَتِكَ^(١) ، وَعَلَى مَعُونَتِكَ بِمُسَاعَدَتِكَ .
 وَالثَّالِثُ مِنْ حُقُوقِكَ عَلَيْهِ : أَنْ يَحْفَظَكَ فِي
 مَنَزَلَتِكَ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ : أَلَّا يَرْتَابَ بِبَاطِنِكَ ،
 وَظَاهِرِكَ سَلِيمٌ ، فَيُؤَاخِذَكَ بِالظَّنِّ ، وَيَعْجَزَ عَنْ
 دَفْعِهِ بِالْيَقِينِ ، فَلَيْسَ يُؤَاخِذُ بِضَمَائِرِ الْقُلُوبِ
 إِلَّا عِلَامُ الْغُيُوبِ . قِيلَ لِكِسْرَى بْنِ قُبَادَ :
 إِنَّ قَوْمًا مِنْ خَوَاصِّكَ قَدْ فَسَدَتْ سَرَائِرُهُمْ ،
 فَوَقَّعَ : أَنَا أَمْلِكُ الْأَجْسَادَ دُونَ النِّيَّاتِ ، وَأَحْكُمُ
 بِالْعَدْلِ لَا بِالرَّضَى ، وَأَفْحَصُ^(٢) عَنِ الْأَعْمَالِ لَا عَنِ
 السَّرَائِرِ . وَالثَّانِي أَلَّا يَسْتَبَدِّلَ بِكَ وَنَظَرَكَ مُسْتَقِيمٌ ،
 فَتَقَلَّ ثِقَّتُكَ ، وَيَضْعُفَ نَشَاطُكَ ، وَلَا تَجِدَ مِنْ

(١) المزاولة من غير واسطة (٢) افتش واتقب

نَفْسِكَ نُهُوضًا بِمَا كَلَّفَكَ ؛ فَإِنَّ دَوَاعِيَ^(١) الطَّبَعِ
 أَبْلَغُ مِنْ مَصْنُوعِ التَّكْلِيفِ ؛ وَقَدْ اتَّخَذَكَ لِاسْتِقَامَةٍ
 وَجَدَهَا بِكَ ، فَإِذَا أَضَاعَ حَقَّكَ بِالْأُسْتِبْدَالِ ظَلَمَ
 نَفْسَهُ وَكَانَ مِنْ غَيْرِكَ عَلَى خَطَرٍ . وَقَدْ قَالَ كِسْرَى :
 الْوَزَارَةُ أَبْعَدُ الْأُمُورِ مِنْ أَنْ تَحْتَمِلَ غَيْرَ أَهْلِهَا ،
 لِأَنَّ الْوَزِيرَ مِنَ الْمَلِكِ ، بِمَنْزِلَةِ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ
 وَقَلْبِهِ ، لِأَنَّهُ مُغْلَقُ الْأَبْوَابِ ، مَسْتُورٌ عَنِ الْأَبْصَارِ
 لِيَحْفَظَهُ فِي أَمْوَالِهِ ، وَيَسْتُرُ خَلَّةَهُ فِي أَعْمَالِهِ ،
 وَحَقِيقٌ بِمَنْ كَانَ بِهِدِهِ الْمَنْزِلَةَ أَنْ يَكُونَ مُحْفُوظًا
 وَمَلْحُوظًا^(٢) . وَالثَّلَاثُ أَنْ لَا يُؤَاخِذَكَ بِدَرْكِ
 مَا جَرَّهُ الْقَضَاءُ وَسَاقَهُ الْقَدَرُ ؛ فَيَجْعَلَكَ غَرَضًا فِي

مُعَارَضَةَ خَالِقِهِ ، وَهَلْ أَنْتَ فِيهِ إِلَّا كَمِثْلِهِ فَكَيْفَ
تَكُونُ أَفْعَالُ اللَّهِ ذُنُوبًا لِعِبَادِهِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ
الْحُكَمَاءِ : الْأُمُورُ تُطَلَّبُ بِالْعَنَاءِ وَتُدْرِكُ بِالْقَضَاءِ .
وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَرَادَ
اللَّهُ تَعَالَى إِنْفَازَ قَضَائِهِ وَقَدَرَهُ سَلَبَ ذَوِي الْعُقُولِ
عُقُولَهُمْ ، حَتَّى يَنْفُذَ فِيهِمْ قَضَاؤَهُ وَقَدَرَهُ » . وَالرَّابِعُ :
أَنَّ لَا يُحْمَلُ مَا لَيْسَ فِي قُدْرَتِكَ ؛ وَالْأَيُّ يُكَلِّفُكَ
مَا لَيْسَ فِي طَاقَتِكَ ؛ فَلَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ،
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ دَوَاعِي التَّجَنُّيِّ وَمَبَادِي الشُّكْرِ .
قَالَ حَكِيمُ الرُّومِ : أَوَّلُ مَا يَبْتَدِي تَغْيِيرُ الْمَلِكِ فِي
الْعَيْنِ ، فَإِذَا زِدَادَ خَرَجَ إِلَى اللِّسَانِ ، فَإِذَا زِدَادَ
خَرَجَ إِلَى الْيَدِ . فَقَدْ وَضَحَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ مُقَابَلَةَ

حُقُوقِكَ عَلَيْهِ بِحُقُوقِهِ عَلَيْكَ . وَقَدْ قَالَ الْمُعْتَصِمُ :
 مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ بِمَا عَلَيْهِ أَدْرَكَهُ ، غَيْرَ أَنَّ حُقُوقَكَ
 عَلَيْهِ مَوْضُوعَةٌ عَلَى الْمُواخَذَةِ بِأَقْلَاهَا ، لِاسْتِطَالَتِهِ (١)
 عَلَيْكَ بِالْقُدْرَةِ ، وَقُصُورِكَ عَنْهُ بِالنِّيَابَةِ ؛ فَكُنْ
 عَلَى مَا اقْتَضَاهُ مَنَابُ الْوَزَارَةِ ، وَأَعْطِهِ مَا اسْتَحَقَّهُ
 بِسُلْطَانِ الْمَلِكِ ، فَيَنْجَحَ سَعْيُكَ لَهُ إِكْدَاءً (٢) سَعْيِهِ
 عَلَيْكَ . وَقَدْ وَصَفَ مُوبِدَانُ مُوبِدًا فِي كِتَابِ الْمُلُوكِ
 فَقَالَ : هُمْ ، أَعْيُنُهُمُ الْمَصُونَةُ عِنْدَهُمْ ، وَأَذَانُهُمْ
 الْوَاعِيَةُ ؛ وَالسِّنْتُهُمُ الشَّاهِدَةُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ
 أَسْعَدَ مِنْ وُزَرَاءِ الْمُلُوكِ ، إِذَا سَعِدَتِ الْمُلُوكُ ، وَلَا
 أَقْرَبَ إِلَى الْهَلَكَةِ مِنْ وُزَرَاءِ الْمُلُوكِ ، إِذَا هَلَكَتِ

الْمُلُوكُ ، فَتُرْفَعُ التُّهْمَةُ عَنِ الْوُزَرَاءِ إِذَا صَارَتْ
 نَصَائِحُهُمْ لِلْمُلُوكِ نَصَائِحُهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ ؛ وَيَعْظُمُ الْيَقِينُ
 بِهِمْ حِينَ صَارَ اجْتِهَادُهُمْ لِلْمُلُوكِ اجْتِهَادَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ ،
 فَلَا تُتَّهَمُ رُوحٌ عَلَى جَسَدٍ وَلَا يُتَّهَمُ جَسَدٌ عَلَى رُوحٍ ،
 لِأَنَّ زَوَالَ الْإِفْهِمَا^(١) زَوَالُ نِعْمَتَيْهِمَا ، وَالنِّتَامُ الْإِفْهِمَا
 صِلَاحُ صَاحِبَيْهِمَا .

وَأَمَّا حَذْرُكَ مِنَ الزَّمَانِ : فَإِنَّهُ يَتَقَلَّبُ بِالْأَوَانِهِ^(٢)
 وَيُنْخَشِنُ بَعْدَ لَيَانِهِ ، فَيَسْلُبُ مَا أُعْطِيَ ، وَيُفَرِّقُ
 مَا جَمَعَ . وَقَدْ رَوَى أَبُو حَازِمٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ
 رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَنَّهُ قَالَ : « انْظُرُوا دُورَ مَنْ تَسْكُنُونَ ، وَأَرْضَ

مَنْ تَزْرَعُونَ ، وَفِي طُرُقٍ مَنْ تَمْشُونَ . وَقَالَ
 بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الدُّنْيَا إِنْ بَقِيَتْ لَكَ لَمْ تَبْقَ لَهَا
 وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحُكْمِ : مَنْ عَتَبَ عَلَى الزَّمَانِ
 طَالَتْ مَعْتَبَتُهُ ، وَمَنْ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِلنَّوَابِ تَعَرَّضَتْ
 لَهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : إِنْ الدُّنْيَا تُقْبَلُ إِقْبَالَ
 الطَّالِبِ ؛ وَتُدْبَرُ إِدْبَارَ الْهَارِبِ ؛ لَا تَبْقَى عَلَى حَالَةٍ
 وَلَا تَخْلُو مِنْ اسْتِحَالَةٍ^(١) ؛ تُصْلِحُ جَانِبًا بِإِفْسَادِ
 جَانِبٍ ، وَتَسْرُ صَاحِبًا بِمَسَاءَةِ صَاحِبٍ ؛ فَالْكَوْنُ^(٢)
 فِيهَا خَطَرٌ ، وَالثَّقَّةُ بِهَا غَرَرٌ^(٣) . وَقَدْ قَالَ قَيْسُ
 ابْنِ الْخَطِيمِ :

(١) تغير (٢) الوجود فيها والعيش (٣) الفررُ التعرض للهلكة

وَمِنْ عَادَةِ الْإِيَّامِ أَنْ صُرُوفَهَا
 إِذَا سَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ سَاءَ جَانِبٌ
 وَحَذْرُكَ مِنْ زَمَانِكَ يَكُونُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ :
 أَحَدُهَا : أَلَّا تَثِقَ بِمُسَاعَدَتِهِ ، وَلَا تَرْكَنَ إِلَى
 مِيَّاسَرَتِهِ ، فَتَغْفَلَ عَنِ الْحَذْرِ وَالِاسْتِعْدَادِ ، فَرُبَّمَا
 انْعَكَسَ فَاْفْتَرَسَ ، وَخَافَضَ ^(١) فَاخْتَلَسَ . وَقَدْ
 قِيلَ لِلدَّهْرِ صُرُوفٌ ، لَسْتُ عَنْهَا بِمَصْرُوفٍ . قَالَ
 أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

إِنَّ الزَّمَانَ وَإِنَّ أَلَّا نَ لِأَهْلِهِ لِمُخَاشِنُ
 فَخُطُوبُهُ الْمُتَحَرِّكَاتُ كَأَنَّ سَوَاكِنُ
 وَالْوَجْهَ الثَّانِي : أَنْ تَنْتَهَرَ فُرْصَةَ مُكْنَتِكَ .

بِفَعْلِ الْجَمِيلِ وَغَرَسِ الصَّنَائِعِ ، وَإِسْدَاءِ الْعَوَارِفِ (١)
 لَتَكُونَ لَكَ ذُخْرًا فِي النَّوَائِبِ ، وَخَلْفًا فِي الْعَوَاقِبِ
 وَلَا يُلْهِيكَ اسْتِكْفَاؤُكَ عَنِ الْإِسْتِظْهَارِ ، وَلَا يَمْنَعُكَ
 اسْتِغْنَاؤُكَ عَنِ الْإِسْتِكْثَارِ . فَقَدْ قِيلَ : الْمَرْءُ ابْنُ
 يَوْمِهِ ، فَلَيْتَنَبَّهُ مِنْ نَوْمِهِ . وَرُويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ .
 شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ
 قَبْلَ عُدْمِكَ (٢) ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ
 قَبْلَ مَوْتِكَ » . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ سَلْمٍ :
 إِنَّمَا الدُّنْيَا هِبَاتٌ وَعَوَارٍ مُسْتَرَدَّةٌ
 شِدَّةٌ بَعْدَ رَخَاءٍ وَرَخَاءٌ بَعْدَ شِدَّةٍ

وَالْوَجْهُ الثَّلَاثُ : أَنْ تَكْفَ نَفْسَكَ عَنِ الْقَبِيحِ
وَتَقْبِضَ يَدَكَ عَنِ الْإِسَاءَةِ ؛ لِتُكْفِيَ رَصَدَ التَّرَاتِ (١)
وَعَوَائِلَ الْهَفَوَاتِ ، فَتَأْمَنَ مِنْ وَجَلِكَ ؛ وَتَسْلَمَ مِنْ
زَلَّكَ . وَلَا تَتَطَاوَلَ بِالْقُدْرَةِ ، فَتَغْفَلَ وَأَنْتَ مَطْلُوبٌ ،
وَتَأْمَنَ وَأَنْتَ مَسْلُوبٌ . رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا »
وَقِيلَ فِي بَعْضِ الصُّحُفِ الْأُولَى : وَيَلُ لِلْأَثْمَةِ
لِأَنَّ الشَّقَاءَ لَا زِمَ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ وَفَاتِهِمْ ، وَالْأَبُ
الْأَثِيمُ يَلْعَنُهُ بَنُوهُ إِذَا كَانُوا صَالِحِينَ ، لِأَنَّهُمْ يُعَيِّرُونَ
بِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : بِاعْتِرَاكِ الشَّرِّ يَعْتَزِلُكَ
وَبِالنَّصْفَةِ (٢) يَكْثُرُ الْوَاصِلُونَ . وَقَالَ مُضَرَّسُ بْنُ رَبِيعٍ :
وَهُوَ مِنْ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ :

(١) التارات ج ترة وهي النار (٢) العدل

وَلَا تُضِيعُ حَظَّكَ فِيهَا ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنْهَا ،
وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ . رَوَى عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « النَّاسُ غَادِيَانِ ،
فَغَادٍ نَفْسَهُ فَمَعَتِقُهَا ، وَمُوثِقٌ نَفْسَهُ فَمُوثِقُهَا » .
رَوَى أَبُو مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ : « عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ . قَالُوا : فَإِنْ
لَمْ يَجِدْ . قَالَ : يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ . قَالُوا :
فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ . قَالَ : يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ
الْمُنْكَرِ . قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ : قَالَ . يُمَسِّكُ
عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ »

وَأَمَّا الْحَذَرُ مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ : فَلِإِنَّ الْإِنْسَانَ

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَا أَدَبَ إِلَّا بِعَقْلِ ، وَلَا
 عَقْلَ إِلَّا بِأَدَبٍ ، وَمَثَلُهُمَا كَمَثَلِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ،
 فَالْجَسَدُ بِغَيْرِ رُوحٍ صُورَةٌ ، وَالرُّوحُ بِغَيْرِ جَسَدٍ
 رِيحٌ ، فَإِذَا اجْتَمَعَا قَوِيًّا فَهَيَا وَأَهْيَا ، فَإِذَا اظْفَرَكَ (١)
 الزَّمَانُ بِمَنْ تَكَامَلَتْ فُضَائِلُهُ ، وَتَهَدَّيَتْ خَصَائِلُهُ ،
 فَاتَّخَذَهُ ذَخِيرَةَ نَوَائِبِكَ ، وَعُدَّةَ شِدَائِدِكَ ، تَجِدُ
 كَفِيلَ صِلَاحِهَا ، وَزَعِيمَ (٢) نَجَاحِهَا . قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
 لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ يُجَالِسُ ؟
 قَالَ : مَنْ يَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ ، وَيُذَكِّرُكُمْ
 اللَّهُ رُؤْيَيْتَهُ ، وَيُرَغِّبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ

وَالطَّوْرُ الثَّانِي : شَرِيْرٌ جَاهِلٌ يَضُرُّ بَشَرَهُ وَيُضِلُّ

(١) أنالك الظفر (٢) خليف بنجاحها ومنه قوله تعالى وأنا به زعيم

، فَاحْتَذِرْ مَخَالَطَتَهُ فَهِيَ أَعْمُ مِنَ السُّمِّ ، وَأَنْفَذْ
فَتَّحِرْ بِجَهْلِكَ مُنْتَبِهِرٌ ، يَضْعُفُ أَنْ تُورِكَ ،
يُؤْتِي أَنْ سُورِكَ ؛ فَكَفِّ شَرَّهُ بِالْأَعَادِ ،
بِالْمُقَرَّبِ ، فَيُحِصِّكَ بِضَرَرِي شَرِّهِ
. وَقَدْ قِيلَ فِي مَثُورِ الْحِكْمِ : مِنَ الْجَهْلِ
ذَوِي الْجَهْلِ . وَقِيلَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِ
إِسْرَائِيلَ : ابْعُدْ عَنِ الْجَاهِلِ لِتَجِدَ الرَّاحَةَ ،
حَمَلَ الرَّمْلِ وَالْمَلِيحِ وَالْحَدِيدِ أَسْهَلُ مِنْ
مَعَ الرَّجُلِ الْجَاهِلِ ؛ وَضَرَرُ الْجَهْلِ أَعْمُ
ضَرَرِ الشَّرِّ ؛ لِأَنَّ قَانُونَ الشَّرِّ مَعْلُومٌ . وَقَانُونَ
غَيْرِ مَعْلُومٌ . وَقَدْ قِيلَ : الْجَاهِلُ مُفْرَطٌ
مُفْرَطٌ .

وَالطَّوْرُ الثَّلَاثُ : خَيْرٌ جَاهِلٌ يُسَالِمُ بِخَيْرِهِ
 وَيُضِلُّ بِجَهْلِهِ ، فَقَارَنَهُ إِنْ شِئْتَ لِخَيْرِهِ وَلَا
 تَسْتَعْمَلُهُ لِجَهْلِهِ ، لِتَكُونَ بِخَيْرِهِ مَوْسُومًا^(١) ،
 وَمِنْ جَهْلِهِ سَلِيمًا . فَقَدْ قَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ : لِكُلِّ
 شَيْءٍ لُبَابٌ ، وَلِبَابُ النُّفُوسِ الْأَلْبَابُ .

وَالطَّوْرُ الرَّابِعُ : شَرِيرٌ عَاقِلٌ وَهُوَ الدَّاهِيَةُ
 الْمَكْرُ ، يُسْتَعْمَلُ فِي الْخُطُوبِ إِذَا حَزَبَتْ عَلَى
 حَذَرٍ مِنْ مَكْرِهِ وَيُتَارَكُ فِي الدَّعَةِ عَلَى اسْتِدْفَاعِ
 شَرِّهِ . وَقَدْ رَوَى عَاصِمٌ عَنْ ذَرِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ »

وَمِثْلُ هَذَا يُسْتَكْفَى بِمَوْؤُونَةٍ تَمُدُّهُ ؛ وَمُرَاعَاةِ
 تَرْضِيهِ ، فَإِنَّهُ كَالسَّبْعِ الضَّارِي ، إِنْ أَجَعْتَهُ هَاجَ ؛ وَإِنْ
 أَشْبَعْتَهُ لَانَ ، لِيَكُونَ مَذْخُورًا ^(١) لِلْحَاجَةِ . فَإِنَّ لِلزَّمَانِ
 خُطُوبًا ^(٢) لَا تُدْفَعُ إِلَّا بِسِرَارِ أَهْلِهِ . كَمَا قَالَ حُذَيْفَةُ
 ابْنُ الْيَمَانِ لِرَجُلٍ : أَيَسْرُكَ أَنْ تَغْلِبَ شَرَّ النَّاسِ ؟
 قَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَغْلِبَهُ حَتَّى تَكُونَ شَرًّا مِنْهُ .
 فَتُعِدُّهُ لِخُطُوبِ الشَّرِّ إِذَا طَرَقَتْ ، فَإِنَّهُ بِهَا أَخْبِرُ ؛
 وَعَلَى دَفْعِهَا أَقْدَرُ ؛ وَلِأَهْلِهَا أَقْهَرُ ؛ فَإِنَّ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ
 يُفْلَحُ ^(٣) . وَيُسْتَكْفَى إِلَى جَنْبِهَا بِمَا يَدْفَعُ بَادِيَةَ شَرِّهِ ؛
 وَيَقْطَعُ غَائِلَةَ مَكْرِهِ ؛ وَإِنْ كَانَتْ ضَرَاوَةً ^(٤) الشَّرِّ

(١) المذخور : المدخر لنوائب الدهر (٢) خطوب : جمع خطب

وهو الشأن صغر أو عظم (٣) يفلح : أى يشق (٤) ضراوة

الشر : اعتياده

أَجْذَبَ ، فَطَبَاعُ النُّفُوسِ أَغْلَبُ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ : مُخَالَطَةُ الْأَشْرَارِ خَطَرٌ ، وَالصَّبْرُ عَلَى صُحْبَتِهِمْ
 كَرُّ كُوبِ الْبَحْرِ الَّذِي مَنْ سَلِمَ بِيَدِنِهِ مِنْ التَّلَفِ فِيهِ ،
 لَمْ يَسَلِّمْ بِقَلْبِهِ مِنَ الْحَذَرِ ^(١) مِنْهُ . فَإِنْ وَجَدْتَ مِنْ
 هَذَا الدَّاهِيَةِ فُتُورًا فِي هِمَّتِهِ ، وَقُصُورًا فِي مَنَّتِهِ ؛
 كَانَتْ سَرَايَةَ مَكْرِهِ أَنْزَرَ ؛ وَتَأْثِيرُهُ فِي الْخُطُوبِ أَيْسَرَ .
 وَإِنْ كَانَ عَالِي الْهِمَّةِ قَوِيَّ الْمُنَّةِ ، يَتَطَاوَلُ إِلَى مَعَالِي
 الْأُمُورِ ، كَانَتْ سَرَايَةَ مَكْرِهِ أَوْفَرَ ، وَتَأْثِيرُهُ فِي
 الْخُطُوبِ أَكْثَرَ . فَاعْطِهِ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَمْرِيهِ مِنْ
 الْحَذَرِ وَالشُّكُونِ ؛ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ هِمَّتُهُ ، وَتَبَعَتْ
 عَلَيْهِ مَنَّتُهُ ، لِيَكُونَ قَانُونُكَ مُسْتَقِيمًا ؛ وَمِنْ دَهَاءِ

(١) الحذر: الخوف

مَكْرَهُ سَلِيمًا ؛ لَا يَنَالُكَ خَوْرٌ^(١) مِنْ سَرْفٍ^(٢) ، وَلَا
 اسْتِرْسَالٌ مِنْ تَقْصِيرٍ ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا .
 فَهَذَا تَفْصِيلٌ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْعَقْدُ وَالْحُلُّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

*

* *

وَأَمَّا تَفْصِيلُ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ التَّقْلِيدُ وَالْعَزْلُ ؛
 وَهُوَ الشَّطْرُ الثَّانِي . فَالتَّقْلِيدُ عَلَى ضَرْبَيْنِ : تَقْلِيدُ
 تَقْرِيرٍ ؛ وَتَقْلِيدُ تَدْيِيرٍ . فَأَمَّا تَقْلِيدُ التَّقْرِيرِ فَهُوَ
 فِيمَا يَسْتَأْنِفُ إِنْشَاءً قَوَاعِدِهِ ، وَيَبْتَدِئُ تَقْرِيرَ رُسُومِهِ ،
 وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :

أَحَدُهَا : أَنْ يَكُونَ فِي خَاصِّ يَقْدِرُ الْوَزِيرُ عَلَى
 مُبَاشَرَتِهِ ، فَالْوَزِيرُ أَخْصُّ بِتَقْرِيرِهِ وَأَحَقُّ بِتَنْفِيذِهِ .

(١) الخور : ضعف العزيمة

(٢) السرف : الأغفال والخطأ

وتجاوز الحد

لطف علی حل (۱)

وَأَلْفَيْتُمْ فِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَارُ
وَأَلْفَيْتُمْ فِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَارُ

كَانَ كَذَا

وَأَلْفَيْتُمْ فِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَارُ
وَأَلْفَيْتُمْ فِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَارُ

عَنْ حَقِّهَا وَخُرُوجِهِ مِنْ أَهْلِهَا . وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ
 مَا سِوَاهَا بِاخْتِلَافِ الْوَلَايَاتِ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ
 مُسْتَحَقَّةً فِي جَمِيعِهَا . وَقَدْ قَالَ كَسْرَى إِبْرَوِيزُ :
 مَنْ اعْتَمَدَ عَلَى كُفَاةِ الشُّوءِ ، لَمْ يَخْلُ مِنْ رَأْيِ
 فَاسِدٍ ، وَظَنَّ كَاذِبٍ ، وَعَدُوٌّ غَالِبٍ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ : لَا تَسْتَكْفِينَنَّ مَخْدُوعًا عَنْ عَقْلِهِ ،
 وَالْمَخْدُوعُ مَنْ بَلَغَ بِهِ قَدْرٌ لَا يَسْتَحِقُّهُ ، وَأُثِيبَ
 ثَوَابًا لَا يَسْتَوْجِبُهُ

وَأَمَّا تَقْلِيدُ التَّدْيِيرِ : فَهُوَ النَّظَرُ فِيهَا اسْتَقْرَّتْ^(١)
 رُسُومُهُ ، وَتَمَهَّدَتْ^(٢) قَوَاعِدُهُ وَهُوَ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ
 الْوَزِيرِ وَبَيْنَ النَّاطِرِ فِيهِ : لَكِنْ يَخْتَصُّ الْوَزِيرُ

(١) استقرت : أى ثبتت (٢) تمهدت : تاملت

بِمِرَاعَاتِهِ ، وَالنَّاطِرُ بِمُبَاشَرَتِهِ . وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا
تَدْبِيرُ الْأَجْنَادِ ، وَالثَّانِي تَدْبِيرُ الْأَمْوَالِ .

فَأَمَّا تَدْبِيرُ الْأَجْنَادِ فَلَا يَسْتَعْنِي الْوَزِيرُ عَنْ تَقْلِيدِ
سَفِيرٍ^(١) فِيهِ ؛ وَإِنْ كَانُوا يُبَلِّغُونَهُ لِيَحْفَظَ بِالسَّفِيرِ
حِشْمَةَ وَزَارَتِهِ ؛ وَلَا يَقِفَ أَغْرَاضَ أَجْنَادِهِ وَقَدْ
انْصَانَ^(٢) عَنْ لَفْظِ كَلَامِهِمْ وَجَفْوَةً^(٣) صِبَاعِهِمْ .
وَالْأَغْلَبُ عَلَى تَدْبِيرِهِمْ ، الرَّأْيُ وَالسِّيَاسَةُ فَيُعْتَبَرُ فِي
الْمُخْتَارِ لِهَذَا التَّقْلِيدِ سِتَّةُ شُرُوطٍ : أَحَدُهَا الْهَيْبَةُ^(٤)
الَّتِي تَقُودُهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَقُومُ بِتَدْبِيرِ ذَوِي
سَطْوَةٍ^(٥) فَاحْتِاجَ مَعَهُمْ إِلَى قُوَّةِ الْهَيْبَةِ : وَالثَّانِي

(١) السفير : الرسول (٢) حفظ (٣) الجفوة : شدة الطبع
وخشوته (٤) الهيبة : الجلال والوقار (٥) السطوة : الحول والثقة

أَنْ يَكُونَ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَالسِّيَاسَةِ ؛ لِيَقُودَهُمْ
 بِرَأْيِهِ إِلَى الصَّوَابِ وَتَقْفَهُمْ سِيَاسَتُهُ عَلَى الإِسْتِقَامَةِ :
 وَالثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ مُتَوَصِّلاً إِلَى اسْتِعْطَافِ الْقُلُوبِ
 وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ ؛ لِيَسْلَمُوا مِنْ اخْتِلَافٍ أَوْ مُنَافَرَةٍ :
 وَالرَّابِعُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَجْنَادِ ، مُنَاسَبَةٌ فِي
 الطَّبَاعِ وَمُشَاكَلَةٌ فِي الأَخْلَاقِ ، يَمْتَزِجُونَ بِهَا فِي
 المُوَافَقَةِ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهَا بِالمُبَایِنَةِ : وَالخَامِسُ أَنْ
 يَكُونَ سَلِيمَ البَاطِنِ صَحيحَ المُعْتَقَدِ ، لِأَنَّهُ يَصِيرُ
 أَخْصَّ بِهِمْ ، وَيَصِيرُونَ أَطْوَعَ لَهُ : وَالسَّادِسُ مَا اخْتَلَفَ
 بِاخْتِلَافِ الحَالِ ، فَإِنْ كَانَ فِي زَمَانِ السَّلْمِ اعْتَبَرَ فِيهِ
 الأَنَاةُ ^(١) وَالسُّكُونُ ، وَإِنْ كَانَ فِي زَمَانِ الحَرْبِ

(١) الأناة : التروى والطمأنينة

اعتبر فيه الإقدام^(١) والسطوة؛ ليكون مطبوعاً^(٢)
على ما يضاهاى حال زمانه . فقد قيل : خير
السجايأ^(٣) ما وافق الحاجة . فإذا ظفر بمن
استكملها - وبعيد أن يظفر به إلا أن يعان
بالتوفيق - وجب تقليده؛ ولزمت مناصفته^(٤)
في الحقوق التي له وعليه ليدوم ويستقيم .
وقد قيل في منشور الحكم : من قضيت واجبه
أمنت جانبه . وقيل : أغن من وليته عن الخيانة ،
فليس يكفيك من لم تكفه

وأما تدبير الأموال : فالوزير يَصَانُ عَنْ مُبَاشَرَتِهَا

(١) الإقدام : عدم التقهر والمراد الشجاعة (٢) المطبوع :

المصقول والمراد المشاكلة (٣) السجايأ جمع سجية : وهى الصفة أو الخلة

(٤) المناصفة : المساعدة والمشاركة

وَإِنَّمَا يَحْفَظُ دَخْلَهَا بِالْهَيْبَةِ وَالِاسْتِظْهَارِ ؛ وَيَضْبُطُ
خَرَجَهَا بِالْحَاجَةِ وَالِاضْطِرَارِ . وَلِلتَّقْلِيدِ عَلَى كُلِّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا شُرُوطٌ

فَأَمَّا شُرُوطُ التَّقْلِيدِ عَلَى مُبَاشَرَةٍ دَخْلَهَا ؛ فَخَمْسَةٌ
شُرُوطٍ : أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ مَطْبُوعًا عَلَى الْعَدْلِ ،
لِيُنْصَفَ وَيُنْتَصَفَ : وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ مُتَدِينًا بِالْأَمَانَةِ
لِيَسْتَوْفِيَ وَيُؤَفِّيَ : وَالثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ كَافِيًا ، لِيَضْبُطَ
بِكِفَايَتِهِ وَلَا يَضِيعَ بِعَجْزِهِ : وَالرَّابِعُ أَنْ يَكُونَ
خَيْرًا بِعَمَلِهِ ؛ يَعْرِفُ وُجُوهَ مَوَارِدِهِ ، وَأَسْبَابَ
زِيَادَتِهِ : وَالثَّامِسُ أَنْ يَكُونَ رَفِيقًا بِمُعَامَلَتِهِ غَيْرِ
عَسُوفٍ^(١) وَلَا أَخْرَقٍ^(٢) . حُكِيَ أَنَّ الْإِسْكَانْدَرَ

(١) العسف : الظلم . والعسوف من بلغ من الظلم غايته

(٢) الأخرق : الأحمق ومن لا يحسن التصرف

كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ لِيَسْتَشِيرَهُ فِي عُمَالِهِ . فَكَتَبَ
إِلَيْهِ : مَنْ كَانَ لَهُ عَيْدٌ فَأَحْسَنَ سِيَّاسَتَهُمْ فَوَلَّهُ
الْجُنْدَ . وَمَنْ كَانَتْ لَهُ ضَيْعَةٌ ^(١) فَأَحْسَنَ تَدْوِيرَهَا
فَوَلَّهُ الْخَرَاجَ . وَوَصَفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ زِيَادًا
فَقَالَ : كَانَ يَجْمَعُ جَمْعَ الذَّرَّةِ ^(٢) ، وَيَحْنُو حُنُوَ الْأُمِّ
الْبَرَّةِ ^(٣) . وَهَذِهِ أَحْسَنُ سِيرَةٍ لِعَامِلٍ ، وَالْأَطْفُ حَالَةَ
لِلْمُعَامِلِ ، يَحْظَى بِهِ مَنْ وَوَلَّاهُ وَيَسْعَدُ بِهِ مَنْ وَوَلَّى
عَلَيْهِ ، وَبِمِثْلِهَا يَعْمُ الصَّلَاحُ وَتَتِمُّ الْإِسْتِقَامَةُ .

وَأَمَّا شُرُوطُ التَّقْلِيدِ عَلَى مُبَاشَرَةٍ خَرَجَهَا بَعْدَ
الْأَمَانَةِ الَّتِي هِيَ مَشْرُوطَةٌ فِي كُلِّ وِلَايَةٍ ، فَمُعْتَبَرَةٌ

(١) الضيعة : العقار والأرض المغلة (٢) الذرة : النملة الصغيرة

(٣) البرة : الرحمة التي تعطف وتشفق على أولادها

فِيهِ حَتَّى لَا يُفْضَى إِلَى سَرْفٍ وَلَا تَقْصِيرٍ ، وَالثَّالِثُ
 اسْتِصْلَاحُ الْأَثْمَانِ وَالْأَجُورِ فِي غَيْرِ تَحْيِيفٍ (١)
 وَلَا غَبْنٍ (٢) .



العزل

وَأَمَّا الْعَزْلُ فَضَرْبَانِ :
 أَحَدُهُمَا : مَا كَانَ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ فَهُوَ خَارِجٌ
 عَنِ السِّيَاسَةِ . لِأَنَّ لِلْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ أَسْبَابًا إِذَا
 تَجَرَّدَتْ عَنْهَا كَانَ الْفِعْلُ عَبَثًا (٣) ، وَالْكَلَامُ لَعْوًا (٤)
 لَا يَقْتَضِيهِ رَأْيٌ حَصِيفٌ (٥) ، وَلَا تُوجِبُهُ سِيَاسَةٌ
 لَيْبٍ . وَقَدْ قِيلَ : الْعَزْلُ أَحَدُ الطَّلَاقِينَ . فَكَمَا

(١) التحيف : الجور (٢) الغبن : الظلم (٣) العبث :
 الخطأ (٤) اللغو : عديم الفائدة (٥) الحصيف : المستحکم

أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ الطَّلَاقُ لِغَيْرِ سَبَبٍ كَذَلِكَ لَا يَحْسُنُ
 الْعَزْلُ لِغَيْرِ سَبَبٍ . وَإِذَا لَمْ يَثِقِ النَّاطِرُ بِاسْتِدَامَةِ
 نَظَرِهِ مَعَ الْإِسْتِقَامَةِ ، عَدَلَ عَنْهَا إِلَى النَّظَرِ لِنَفْسِهِ ،
 فَعَادَ الْوَهْنُ^(١) عَلَى عَمَلِهِ ، وَمَا يَكُونُ هَذَا الْعَزْلُ
 إِلَّا عَنْ فَشَلٍ أَوْ مَلَلٍ^(٢) . وَقِيلَ : لَيْسَ جَزَاءُ مَنْ
 سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ حَسُنَ
 وَدَادَهُ قَبِحَ اسْتِفْسَادُهُ .

وَالضَّرْبُ الثَّانِي : أَنْ يَكُونَ الْعَزْلُ لِسَبَبٍ دَعَا
 إِلَيْهِ . وَأَسْبَابُهُ تَكُونُ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَوْجُهٍ . أَحَدُهَا
 أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ خِيَانَةً ظَهَرَتْ مِنْهُ ، فَالْعَزْلُ مِنْ
 حُقُوقِ السِّيَاسَةِ مَعَ اسْتِرْجَاعِ الْخِيَانَةِ وَالْمُقَابَلَةِ عَلَيْهَا

(١) الوهن : الضعف (٢) الملل : الضجر والسآمة

بِالزَّوْاجِرِ الْمُقَوِّمَةِ ، وَلَا يُؤَاخَذُ فِيهَا بِالظُّنُونِ وَالتَّهْمِ .
 فَقَدْ قِيلَ : مَنْ يَخُنُ يَهِنُ . وَالْوَجْهُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ
 سَبَبُهُ عَجْزُهُ وَقُصُورَ كِفَايَتِهِ ، فَالْعَمَلُ بِالْعَجْزِ مُضَاعٌ .
 وَقَدْ قِيلَ : الْعَجْزُ نَائِمٌ وَالْحَزْمُ يَقْظَانُ . وَهُوَ نَقْصٌ
 فِي الْعَاجِزِ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبًا فَلَا يَحُوزُ فِي السِّيَاسَةِ
 إِقْرَارُهُ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي عَجَزَ عَنْهُ ، ثُمَّ رُوِيَ عَجْزُهُ
 بَعْدَ عَزْلِهِ . فَإِنْ كَانَ لِثِقَلِ مَا تَقَلَّدَهُ مِنَ الْعَمَلِ ، جَازَ
 أَنْ يُقَلَّدَ مَا هُوَ أَسْهَلُ . وَإِنْ كَانَ لِقُصُورِ مُنْتَهَى ،
 وَضَعِيفِ حَزْمِهِ ، لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِتَقْلِيدِهِ وَلَا عَمَلِهِ .
 وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ
 أَنَّهُ قَالَ : لَا تُلْزِمُوا أَنْفُسَكُمْ حَقًّا مَنْ لَمْ يُلْزِمِ
 نَفْسَهُ حَقًّا . وَالْوَجْهُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُ اخْتِلَالِ

الْعَمَلُ مِنْ عَسْفِهِ أَوْ مِنْ خُرْقِهِ ؛ فَهَذَا الْعَمَلُ زَائِدٌ
 عَلَى الْكِفَايَةِ وَخَارِجٌ عَنِ السِّيَاسَةِ ، وَالْوَزِيرُ الْمُقَلَّدُ
 فِيهِ بَيْنَ خِيَارَيْنِ : إِمَّا أَنْ يَعْزِلَهُ بغيرِهِ ، وَإِمَّا أَنْ
 يَكْفَهُ عَنْ عَسْفِهِ وَخُرْقِهِ إِنْ كَفَّ (١) ؛ وَيَجُوزُ أَنْ
 يَكُونَ مَرْصِدٌ (٢) التَّقْلِيدِ مَا تَدْعُو السِّيَاسَةُ فِيهِ إِلَى
 الْعُسُوفِ لِمَنْ شَاقَّ (٣) وَنَافَرَ . فَقَدْ قِيلَ : لِكُلِّ
 بِنَاءٍ أُسٌّ (٤) ، وَلِكُلِّ تُرْبَةٍ غَرْسٌ . وَالْوَجْهُ الرَّابِعُ
 أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ انْتِشَارَ الْعَمَلِ بِهِ مِنْ لِينِهِ وَقِلَّةِ
 هَيْبَتِهِ ، فَهَذَا السَّبَبُ مُوهِنٌ لِلْسِّيَاسَةِ . وَالْوَزِيرُ
 فِيهِ بَيْنَ خِيَارَيْنِ . إِمَّا أَنْ يَعْزِلَهُ بِمَنْ هُوَ أَقْوَى
 وَأَهْيَبُ ، وَإِمَّا أَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِ مَنْ تَكَامَلُ بِهِ

(١) أى إن قدر (٢) المرصد الطريق . والمكان الذى يرصد فيه

العدو (٣) الشاق : المخالف والعاصى (٤) أصل وأساس

الْقُوَّةُ وَالْهَيْبَةُ ، وَخِيَارُهُ فِيهِ مُعْتَبَرٌ بِالْأَصْلَحِ .
 وَيَجُوزُ أَنْ يُقْلَدَ بَعْدَ صَرْفِهِ مَا لَا يَسْتَضِرُّ فِيهِ
 بِضَعْفِهِ . وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ
 وَجْهَهُ : لَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ ^(١) مَهِينٍ ^(٢) وَلَا فِي صَدِيقٍ
 ضَنِينٍ ^(٣) . وَالْوَجْهُ الْخَامِسُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ فَضْلَ
 كِفَايَتِهِ وَظُهُورَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ فِيمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ
 عَمَلِهِ ، فَهَذَا أَجْمَلُ وَجُوهِ الْعَزْلِ ، وَلَيْسَ بِعَزْلٍ فِي
 الْحَقِيقَةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ نَقْلٌ مِنْ عَمَلٍ إِلَى عَمَلٍ هُوَ
 أَجْلٌ مِنْهُ ، فَصَارَ بِهَذَا الْعَزْلِ زَائِدَ الرُّثْبَةِ . وَقَدْ
 قَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : النَّاسُ فِي الْعَمَلِ رَجُلَانِ ؛ رَجُلٌ
 يَجِلُّ بِهِ الْعَمَلُ لِفَضْلِهِ وَرِيَاسَتِهِ . وَرَجُلٌ يَجِلُّ

(١) المعين : المساعد (٢) مهين : محقر (٣) ضنين : متهم

بِالْعَمَلِ لِنَقْصِهِ وَدَنَاءَتِهِ^(١) . فَمَنْ جَلَّ بِهِ الْعَمَلُ
 ازْدَادَ تَوَاضُعًا وَيُسْرًا ، وَمَنْ جَلَّ بِالْعَمَلِ ازْدَادَ
 بِهِ شَرَفًا وَكِبْرًا . وَالْوَجْهُ السَّادِسُ أَنْ يَكُونَ
 سَبَبُهُ وُجُودَ مَنْ هُوَ أَكْفَأُ مِنْهُ ، فَيُرَاعَى حَالُ
 الْأَكْفَاءِ . فَإِنْ كَانَ فَضْلُ كِفَايَتِهِ مُؤَثِّرًا فِي زِيَادَةِ
 الْعَمَلِ بِهِ كَانَ مِنْ لَوَازِمِ السِّيَاسَةِ ، وَلَمْ يَسْغُ فِيهَا
 إِقْرَارُهُ عَلَى عَمَلِهِ . وَإِنْ لَمْ يُوَثِّرْ فِي زِيَادَةِ الْعَمَلِ
 كَانَ عَزْلُ النَّظِيرِ مِنْ طَرِيقِ الْأَوْلَى فِي تَقْدِيمِ
 الْأَكْفَاءِ ، وَتَخْيِيرِ الْأَعْوَانِ . وَإِنْ جَازَ فِي السِّيَاسَةِ
 إِقْرَارُ النَّظِيرِ عَلَى عَمَلِهِ لِنَهْوِضِهِ بِهِ . وَقَدْ قِيلَ :

(١) الدناءة : خسة النفس

إِذَا ذَهَبَ الْمُمَيِّزُ هَلَكَ الْمُبَرِّزُ . وَالْوَجْهُ السَّابِعُ
 أَنَّ يَكُونُ سَبَبُهُ أَنْ يَخْطُبَ عَمَلَهُ مِنَ الْكُفَاةِ مَنْ
 يَبْدُلُ زِيَادَةً فِيهِ ؛ فَلَا يَجُوزُ عَزْلُهُ بِيَدِ الزِّيَادَةِ
 حَتَّى يَكْشِفَ عَنْ سَبَبِهَا ، فَرُبَّمَا يُخْرِجُهُ بِهَا الْبَاذِلُ
 لِرَغْبَةٍ فِي الْعَمَلِ ، أَوْ لِعِدَاوَةٍ فِي الْعَامِلِ . فَإِنْ لَمْ
 يَظْهَرْ لَهَا بَعْدَ الْكَشْفِ مُوجِبٌ لَمْ يَجْزُ فِي السِّيَاسَةِ
 عَزْلُهُ بِهَذَا الْبَدْلِ الْكَاذِبِ . وَكَانَ الْبَاذِلُ جَدِيرًا
 بِالْإِبْعَادِ لِابْتِدَائِهِ بِالْأَفْعَالِ . فَإِنْ ظَهَرَ مُوجِبُ
 الزِّيَادَةِ لَمْ يَخْلُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : أَحَدُهَا أَنْ
 يَكُونَ لِتَقْصِيرِ النَّاطِرِ ، فَيَجِبُ عَزْلُهُ ، وَالْوَزِيرُ
 بَعْدَ عَزْلِهِ بَيْنَ خِيَارَيْنِ : إِمَّا أَنْ يُقَلَّدَ الْبَاذِلَ ،
 أَوْ يُقَلَّدَ غَيْرَهُ مِنَ الْكُفَاةِ : وَالْقِسْمُ الثَّانِي أَنْ

يَكُونُ مُوجِبًا فَضْلَ كِفَايَةِ الْبَاذِلِ ، فَيَجِبُ عَزْلُهُ
بِالْبَاذِلِ دُونَ غَيْرِهِ : وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ
سَبَبًا عَسْفَ الْبَاذِلِ وَخُرْقَهُ ؛ فَلَا يَحْجُزُ فِي السِّيَاسَةِ
عَزْلُ النَّظِيرِ وَلَا تَقْرِيبُ الْبَاذِلِ ، فَرَبَّمَا مَالَ إِلَى
الزِّيَادَةِ مَنْ تَعَاَصَى عَنِ الْعَزْلِ فَعُزِلَ ، وَقُلْدَ فَصَارَ
هُوَ الْعَاسِفَ الْمُجَازِفَ . وَالْوَجْهُ الثَّامِنُ أَنْ يَكُونَ
سَبَبُهُ أَنَّ النَّظِيرَ مُؤْتَمَنٌ ، فَيَخْطُبُ عَمَلَهُ ضَامِنٌ ؛
فَتَضْمِينُ الْأَعْمَالِ خَارِجٌ عَنِ قَوَانِينِ السِّيَاسَةِ
الْعَادِلَةِ ، لِأَنَّ الْمُؤْتَمَنَ عَلَيْهَا إِذَا كَانَ كَافِيًا اسْتَوْفَى
مَا وَجِبَ ، وَكَفَّ عَمَّا لَمْ يَجِبْ ، وَهَذَا هُوَ الْعَدْلُ .
وَالضَّامِنُ إِنْ ضَمِنَهَا بِمِثْلِ ارْتِفَاعِهَا لَمْ يُؤْتَرَّ ،
وَإِنْ ضَمِنَهَا بِأَكْثَرِ مِنْهُ تَحَكَّمَ فِي عَمَلِهِ ، وَكَانَ بَيْنَ

عَسْفٍ أَوْ هَرَبٍ : كَأَنَّهُ ضَمِنَ لِيَغْنَمَ لَا لِيَغْرَمَ .
 حُكِيَ أَنَّ الْمَأْمُونَ : عَزَمَ عَلَى تَضْمِينِ السَّوَادِ وَعِنْدَهُ
 عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْعَنْبَرِيُّ الْقَاضِي . فَقَالَ لَهُ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ دَفَعَهَا إِلَيْكَ
 أَمَانَةً ، فَلَا تُخْرِجْهَا مِنْ يَدِكَ قِبَالَةَ (١) . فَعَدَلَ
 عَنِ الضَّمَانِ .

فَهَذَا تَفْصِيلُ مَا تَعَلَّقَ بِوَزَارَةِ التَّفْوِيضِ مِنْ
 عَقْدٍ وَحَلٍّ وَتَقْلِيدٍ وَعَزْلِ .

وَأَمَّا وَزَارَةُ التَّنْفِيدِ : فَهِيَ أَخْصَى ، لِقُصُورِهَا
 عَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ وَزَارَةُ التَّفْوِيضِ وَاخْتِصَاصُهَا
 مِنْ عُمُومِ التَّفْوِيضِ بِأَرْبَعَةِ قَوَانِينِ :

(١) القبالة : الرهن

الفصلُ الأوَّلُ مِنْ قَوَائِنِهَا : السَّفَارَةُ بَيْنَ
 الْمَلِكِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، لِأَنَّ الْمَلِكَ مُعَظَّمٌ بِالْحِجَابِ
 مَصُونٌ عَنِ الْمُبَاشَرَةِ بِالْخَطَابِ ، فَاقْتَضَى أَنْ يُخْتَصَّ
 بِسَفِيرٍ مُحْتَشِمٍ^(١) وَوَزِيرٍ مُعَظَّمٍ ، يُطَاعُ فِيمَا يُورِدُهُ
 عَنْهُ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي ، وَيَهَابُ فِيمَا يَتَحَمَّلُهُ إِلَيْهِ
 مِنَ الْمَطَالِبِ وَالْمُبَاغِي ؛ لِيَكُونَ لِلْمَلِكِ لِسَانًا نَاطِقًا
 وَأَذْنَاً وَاعِيَةً . وَهَذِهِ السَّفَارَةُ مُحْتَصَّةٌ بِخَمْسَةِ أَصْنَافٍ .
 أَحَدُهَا : السَّفَارَةُ بَيْنَ الْمَلِكِ وَأَجْنَادِهِ ، فَيَحْمِلُهُمْ
 عَلَى أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَيَتَنَجَّزُ لَهُمْ مِنَ الْمَلِكِ مَا
 اسْتَوْجَبُوهُ وَسَأَلُوهُ ؛ وَيَحْتَاجُ فِي سِفَارَتِهِ مَعَهُمْ إِلَى

(١) المحتشم : اسم فاعل من احتشم . وحشم الرجل خاصته الذين
 يفضيئون له من أهل أو عبيد أو جيران إذا أصابه أمر . وحشم الملك خاصته
 الذين يحتشمون المحارم ويتوقونها

الظُّلَامَةَ ، وَيَسْتَدْفِعُوا ذَلَّ الْإِسْتِضَامَةِ^(١) . وَالرَّابِعُ
السَّفَارَةُ فِي اسْتِيفَاءِ حُقُوقِ السُّلْطَنَةِ الَّتِي لِلْمَلِكِ وَعَلَيْهِ ،
مِنْ غَيْرِ مُبَاشَرَةٍ قَبْضٍ وَلَا تَنْقِيسٍ . وَيُحْتَاجُ فِي
هَذِهِ السَّفَارَةِ إِلَى الرَّهْبَةِ فِيمَا يَسْتَوْفِيهِ لِلْمَلِكِ ، وَإِلَى
اللُّطْفِ فِيمَا يَتَنَجَّزُهُ^(٢) مِنَ الْمَلِكِ . وَالْخَامِسُ السَّفَارَةُ
فِي اخْتِيَارِ الْعَمَالِ وَمُشَارَفَةِ الْأَعْمَالِ ، لِيُنْهِيَ حَالَ
مَنْ يَرَى تَقْلِيدَهُ أَوْ عَزْلَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُبَاشِرَ تَقْلِيدًا
وَلَا عَزْلًا ، لِأَنَّ التَّقْلِيدَ وَالْعَزْلَ دَاخِلٌ فِي وَزَارَةِ
التَّقْوِيضِ ، وَخَارِجٌ عَنِ وَزَارَةِ التَّنْفِيذِ ، وَالْمَلِكُ هُوَ
الَّذِي يَأْمُرُ بِالتَّقْلِيدِ أَوْ الْعَزْلِ إِنْ لَمْ يُبَاشِرْهُ ، وَشُرُوطُ
هَذِهِ السَّفَارَةِ : أَنْ يَكُونَ جَيِّدَ الْحَدْسِ^(٣) ، صَاحِحَ

(١) الضيم : الظلم والقهر . والمراد بالاستضمامة ههنا دفع ما نزل بهم
من الظلم والقهر (٢) يتنجزه : يطلب إنجازه (٣) الحدس : الفراسة .

الإختيار، قَلِيلَ الإِغْتِرَارِ ، عَارِفًا بِكِفَايَةِ الْعُمَالِ ،
وَمَقَادِيرِ الْأَعْمَالِ ، لِيُحْمَدَ إِخْتِيَارُهُ ، وَيَقَلَّ عِثَارُهُ

✱
✱ ✱

وَالْفَصْلُ الثَّانِي مِنْ قَوَائِنِ هَذِهِ الْوِزَارَةِ ، أَنْ
يُمَدَّ الْمَلِكُ بِرَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ مَعَ جَزَالَةِ (١)
رَأْيِهِ وَصِحَّةِ رَوِيَّتِهِ (٢) مَحْجُوبُ الشَّخْصِ عَنِ مُبَاشَرَةِ
الْأُمُورِ . فَصَارَ مَحْجُوبَ الرَّأْيِ عَنِ الْخِبْرَةِ بِهَا .
فاحتاج إلى بارز الشخص بالمباشرة ، ليكون بارز
الرأي بالخبرة . فليس الشاهد كالفائب ؛ ولا المخبر
كالعائين ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعَائِنَةِ » . وَالْوَزِيرُ أَخْصُ بِهِذِهِ

المشورة
والرأي

(١) جزالة الرأي : جودته ومئاته (٢) رويته : أي نظره وتفكيره

الْمُرْتَبَةِ ، فَكَانَ أَحَقَّ بِالرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ . وَذُكِرَ
 فِي كُتُبِ الْفُرْسِ : أَنَّ لِلْوَزِيرِ عَلَى الْمَلِكِ ثَلَاثًا :
 رَفَعَ الْحِجَابَ عَنْهُ ، وَاتَّهَمَ الْوُشَاةَ عَلَيْهِ ، وَإِفْشَاءَ
 السِّرِّ إِلَيْهِ . وَقِيلَ فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ : الْفِضَّةُ
 وَالذَّهَبُ يُثَبَّتَانِ الْقَدَمَ ، وَأَفْضَلُ مِنْهُمَا الْمَشُورَةُ الصَّالِحَةُ ،
 وَاللُّوزِيرُ أَنْ يَسْتَشِيرَ فِيمَا يُشَاوِرُ فِيهِ الْمَلِكُ إِذَا
 لَمْ يَكُنْ سِرًّا مَكْتُومًا . وَلَيْسَ لِغَيْرِ الْوَزِيرِ أَنْ
 يَسْتَشِيرَ فِيمَا يُسْتَشَارُ ، لَوْ قُوعَ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا مِنْ
 وَجْهَيْنِ . أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْوَزِيرَ مُحْتَصِيٍّ مِنْ مَصَالِحِ
 الْمَلِكِ بِمَا يَقْصُرُ عَنْهُ مَنْ عَدَاهُ ، فَلَزَمَهُ مِنْ
 الْإِسْتِظْهَارِ مَا لَا يَلْزِمُ مَنْ سِوَاهُ . وَالثَّانِي :
 أَنَّ اسْتِشَارَةَ الْوَزِيرِ عَائِدَةٌ إِلَى مَصَالِحِ الْمَلِكِ

فَعَمَّتْ ، وَاسْتِشَارَةَ غَيْرِهِ عَائِدَةً إِلَى رَأْيِهِ فَخَصَّتْ ،
 وَيُخْتَلَفُ أَهْلُ الشُّورَى بِاخْتِلَافِ الْأَرَبِ ^(١) الْمَقْصُودِ .
 كَمَا قَالَ الْحُكَمَاءُ : شَاوِرِ الشُّجَعَاءِ فِي أُولَى الْعَزْمِ ^(٢) ،
 وَالْجُبْنَاءِ فِي أُولَى الْحَزْمِ ^(٣) ؛ لِتَخْرُجَ مِنْ مَعْرَةٍ ^(٤)
 تَقْصِيرِ الْجَبَانَ ^(٥) ، وَتَهْوُرَ ^(٦) الشُّجَعَانَ ، وَيَتَخَلَّصَ
 لَكَ مِنَ الرَّأْيَيْنِ نَتِيجَةُ الصَّوَابِ . وَلِلْوَزِيرِ فِي
 الْمَشُورَةِ حَالَتَانِ . إِحْدَاهُمَا : أَنْ يَبْتَدِئَهُ الْمَلِكُ
 بِالِاسْتِشَارَةِ ، فَيَلْزِمُهُ أَنْ يُشِيرَ بِرَأْيِهِ فِيهَا سَوَاءً
 اخْتَصَّتْ بِمُلْكِهِ أَمْ تَعَدَّتْهُ إِلَى غَيْرِهِ . وَقَالَ

(١) الأرب : الحاجة (٢) العزم : الجد والثبات والصبر

(٣) الحزم : ضبط الأمر (٤) المعرة : المساءة والأمر الفحيح

(٥) الجبان : الضعيف الهيب كثير الخوف (٦) تهوور الرجل :

وقع في الأمر من غير مبالاة ولا روية

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : رَبِّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ
قَصْدَهُ ، وَأَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ . وَعَلَى الْوَزِيرِ فِيهَا
حَقَّانِ . أَحَدُهُمَا اجْتِهَادُ رَأْيِهِ فِي إِضْاحِ الصَّوَابِ .
وَالثَّانِي إِبَانَةُ صِحَّتِهِ بِتَعْلِيلِ الْجَوَابِ ، لِيَكُونَ مُحْتَجًّا
فِيكَفَى تَوْهْمِ الزَّلَلِ ، وَيَسْلَمَ مِنْ مَظْنَةِ الْإِرْتِيَابِ .
وَالْحَالُ الثَّانِيَةُ : أَنْ يَبْتَدِيَ الْوَزِيرُ بِالْمَشُورَةِ عَلَى
الْمَلِكِ ، فَلَهُ فِيهَا حَالَتَانِ . إِحْدَاهُمَا أَلَّا يَتَعَلَّقَ
بِمَشُورَتِهِ اجْتِلَابُ نَفْعٍ وَلَا اسْتِدْفَاعُ ضَرَرٍ ، فَهَذَا
تَجَوُّزٌ مِنَ الْوَزِيرِ وَتَبَسُّطٌ عَلَى الْمَلِكِ . إِنْ أَنْكَرَهُ
فَبِحَقِّهِ ، وَإِنْ أَحْتَمَلَهُ فَبِفَضْلِهِ . فَقَدْ قِيلَ : كَثْرَةُ
النُّصْحِ تَهْجِمُ (١) عَلَى سُوءِ الظَّنِّ . وَالثَّانِيَةُ أَنْ يَتَعَلَّقَ

(١) تثير سوء الظن

بِمَشُورَتِهِ اجْتِلَابُ نَفْعٍ وَاسْتِدْفَاعُ ضَرَرٍ، فَإِنْ اخْتَصَّ
 بِالْمَمْلَكَةِ كَانَ مِنْ حُقُوقِ الْوَزَارَةِ، وَإِنْ جَاوَزَهَا
 كَانَ مِنْ نَصَحِ الْوَزِيرِ. وَعَلَيْهِ أَنْ يَذْكَرَ سَبَبَ
 ابْتِدَائِهِ وَيُوضِّحَ صَوَابَ رَأْيِهِ، وَإِذَا اسْتَقَرَّ
 الْأَحْزَمُ^(١) عَلَى مَا اتَّخَذَهُ الرَّأْيُ لَزِمَهُ فِيمَا يُؤَدِّي بِهِ مِنْ
 الْإِسْتِشَارَةِ، وَيُبْدِي بِهِ مِنَ الْمَشُورَةِ أَنْ يَكْتُمَهُ عَنْ
 كُلِّ خَاصٍّ وَعَامٍّ لِأَمْرَيْنِ. أَحَدُهُمَا: أَنَّ الرَّأْيَ
 يَجِبُ أَنْ يَظْهَرَ بِالْأَفْعَالِ دُونَ الْأَقْوَالِ، لِأَنَّ ظُهُورَهُ
 بِالْفِعْلِ ضَرَرٌ، وَظُهُورُهُ بِالْقَوْلِ خَطَرٌ. وَقَدْ قِيلَ:
 مِنْ وَهْنِ^(٢) الْأَمْرِ إِعْلَانُهُ قَبْلَ إِحْكَامِهِ^(٣). وَالثَّانِي:
 أَنَّهُ مِنْ أَسْرَارِ الْمَلِكِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تُكْتَمَ فِي

(١) الأحزم: ضابط الرأي (٢) وهن الأمر: ضعفه

(٣) أحكم الأمر: أحسن تدبيره

الصدور ، وَتُصَانَ فِي الظُّهُورِ ، لِلْجَمْعِ بَيْنَ تَأْدِيَةِ
الْأَمَانَةِ ، وَطَلَبِ السَّلَامَةِ ، فَإِنَّ فِي إِفْشَاءِ أَسْرَارِ
الْمُلْكِ خَطَرًا بِهِ وَبِمَنْ أَفْشَاهَا . وَقَدْ قِيلَ : كَشَفُ
الْأَسْرَارِ مِنْ شِيمٍ ^(١) الْأَشْرَارِ . فَلِذَلِكَ قِيلَ :
الْوَاقِيَةُ ^(٢) خَيْرٌ مِنَ الرَّاقِيَةِ ^(٣) . وَلَقَلَّمَا تَعَفُّو الْمُلُوكُ
عَمَّنْ يُفْشِي أَسْرَارَهُمْ لَتَرُدُّهُ بَيْنَ خِيَانَةٍ وَجِنَايَةٍ .
وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِ فِيهَا إِنْ سَلِمَ أَنْ يَعْضَّ عَنْهُ فَيَذَلَّ ،
أَوْ يَخْفَى فَيَقِلَّ . وَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِ ^(٤)
بَنِي إِسْرَائِيلَ : لِسَانُ الْجَاهِلِ وَقَلْبُهُ وَاحِدٌ . وَقِيلَ
فِي مَثُورِ الْحَكْمِ : لِسَانُ الْجَاهِلِ مِفْتَاحُ حَتْفِهِ ^(٥) .

(١) شيم : جمع شيمة : وهي الخصلة
المشي في الأرض الغليظة والمراد المحافظة (٣) الراقية : المعودة
(٤) الأسفار : الكتب (٥) الحنف : الهلاك

وَلِذَلِكَ قِيلَ : صُدُورُ الْأَحْرَارِ قُبُورِ الْأَسْرَارِ . وَقَدْ يَسَعِدُ
بِكْتِمِ أَسْرَارِهِمْ مَنْ تَعَرَّى عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ ،
وَتَجَرَّدَ عَمَّا سِوَاهُ مِنَ الْوَسَائِلِ ، لِأَنَّهُ قَدْ صَارَ خَازِنًا
لِأَهْلِ الذَّخَائِرِ ، وَمُؤْتَمِنًا عَلَى أَنْفُسِ الْوَدَائِعِ ؛ إِذَا سَلِمَ
مِنَ الْإِذْلَالِ بِهَا . فَلَنْ تَزِلَّ الْأَقْدَامُ عِنْدَ الْمُلُوكِ
بِمِثْلِ الْإِذْلَالِ . وَقَلَّ مُدِلٌّ سَلِمَ مِنْ ذُلِّ . وَلَآنَ
تَزْدَادُ انْتِبَاطًا إِذَا بَسَطَهُ قَتَرْدَادٌ إِكْرَامًا أَوْ لَى
بِدَى الْحَصَافَةِ مِنْ ضِدِّهَا . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ بَسَطَهُ
الْإِذْلَالُ قَبَضَهُ الْإِذْلَالُ . وَقَدْ قِيلَ فِي مَثُورِ الْحِكْمِ :
إِذَا زَادَكَ الْمَلِكُ تَأْنِيْسًا ، فَزِدْهُ إِجْلَالًا .

*
* *

وَالْفَصْلُ الثَّلَاثُ مِنْ قَوَائِنِ هَذِهِ الْوَزَارَةِ : أَنْ

عناية
الوزير
بالمالك

يَكُونُ عَيْنًا لِلْمَلِكِ نَازِرَةً . وَأَذْنًا سَامِعَةً ، يُنْهَى مَا شَاهَدَ
عَلَى حَقِّهِ ؛ وَيُخْبَرُ بِمَا سَمِعَ عَلَى صِدْقِهِ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ سُوِّهُمَ
بِالْمُلْكِ وَمُيِّزَ بِالِاخْتِصَاصِ ، وَنُدِبَ لِلْمَصَالِحِ . فَلَزِمَ أَنْ
يَتَخَصَّصَ بِمَصَالِحِ الْمَلِكِ ؛ فَيَقُومَ مَقَامَهُ فِي مُشَاهَدَةِ
مَا غَابَ ، وَسَمَاعِ مَا بَعْدَ ، لِتَقَدُّمِهِ عَلَى مَنْ سِوَاهُ ، وَعَلَيْهِ
فِي ذَلِكَ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ . أَحَدُهَا : أَنْ يُدِيمَ الْفَحْصَ
عَنْ أَحْوَالِ الْمَمْلَكَةِ ، حَتَّى يَعْلَمَ مَا غَابَ كَعَلَمِهِ بِالْحَاضِرِ ؛
وَيَعْلَمَ مَا خَفِيَ كَعَلَمِهِ بِالظَّاهِرِ ؛ فَلَا يَتَدَلَّسَ عَلَيْهِ حَقٌّ
أَمْرٍ مِنْ بَاطِلِهِ ، وَلَا يَشْتَبِهَ عَلَيْهِ صِدْقُ قَوْلٍ مِنْ
كَذِبِهِ . فَقَدْ قِيلَ : الْحَقُّ أَبْلَجٌ ^(١) وَالْبَاطِلُ جَلِجٌ ^(٢) ،
فَإِنْ قَصَرَ فِيهَا حَتَّى خَفِيَتْ ، أَوْ اسْتَرْسَلَ فِيهَا حَتَّى

(١) بلج الحق : وضع وظهر . (٢) الباطل لجلج : خفي مستتر .

تَدَلَّسْتُ ، كَانَ مُوَآخِذَاً بِجُرْمِ التَّقْصِيرِ وَجَرِيرَةٍ (١)
الضَّرَرِ . وَالثَّانِي : أَلَّا يُعَجَّلَ مُطَالَعَةَ الْمَلِكِ بِهَا وَلَا
يُؤَخَّرَهَا . وَإِنْ جَازَ تَأْخِيرُ الْعَمَلِ بِهَا . لِأَنَّ عَلَيْهِ
الْإِنْبَاءَ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ . وَقَدْ قِيلَ فِي حِكْمَةِ
آلِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الَّذِي يَكْتُمُ جَهْلَهُ ؛ خَيْرٌ مِنَ
الَّذِي يَكْتُمُ حِكْمَتَهُ . وَإِذَا كَانَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ عَيْنِهِ
النَّاطِرَةِ وَأُذُنِهِ السَّامِعَةِ الَّتِي تَعَجَّلُ الْعِلْمَ بِهَا ، وَجَبَ
أَنْ يَجْرِيَ مَعَهُ عَلَى حُكْمِهَا ، لِيَسْتَدْرِكَ الْمَلِكُ مَا يَجِبُ
تَعَجِيلُهُ ، وَيُقَدِّمَ الرَّوِيَّةَ فِيمَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهُ ، فَإِنْ آخَرَ
الْوَزِيرُ إِعْلَامَ الْمَلِكِ بِهَا وَقَدْ حَسَمَ ضَرَرَهَا كَانَ لِلنَّصِيحَةِ
مُؤَدِّيًّا ؛ وَمِنَ الْمَلِكِ عَلَى وَجَلٍ (٢) . وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ خَالَفَ

وَزِيرَ التَّفْوِيضِ فِي قِيَامِهِ بِتَدْيِيرِهَا ، دُونَ الْمُطَالَعَةِ بِهَا ،
 لِأَنَّ ذَلِكَ مَقْصُورٌ عَلَى الْإِنِّهَاءِ ، وَذَلِكَ مَنْدُوبٌ لِلْعَمَلِ
 وَالثَّلَاثُ : أَنَّ يُوضَّحَ لَهُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَيُسَاوَى فِيهَا
 بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، وَلَا يُمَآئِلُ ^(١) قَرِيبًا وَلَا
 يَتَحَيِّفُ ^(٢) بَعِيدًا ، وَلَا يُعْظَمُ مِنَ الْأُمُورِ صَغِيرًا وَلَا
 يُصَغَّرُ مِنْهَا عَظِيمًا ، فَإِنَّ مَنْ خَافَ مِنْ صِغَارِ الْأُمُورِ
 أَنَّ تَصِيرَ كِبَارًا ، أَوْ مِنْ كِبَارِهَا أَنَّ تَعُودَ صِغَارًا ،
 أَخْبَرَ بِحَقَائِقِهَا فِي الْمَبَادِي مُخْبِرًا ، وَفِي الْغَايَاتِ مُشِيرًا ،
 فَإِنَّ أَخْبَرَ بِالْغَايَاتِ وَأَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِ الْمَبَادِي ،
 كَانَ تَدْلِيْسًا لِحَبْرِهِ بِمَشُورَتِهِ ، فَلَمْ يُوَدِّ الْأَمَانَةَ
 فِي خَبْرِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مُنَاصِحَتِهِ . فَكَانَ

(١) لا يميل لا يحابي (٢) التحيف : الجور

بِالْأَنْكَارِ حَقِيقًا وَبِالنِّدَمِ جَدِيرًا . وَقَدْ قِيلَ : رُبَّ
صَبَابَةٍ غُرِسَتْ مِنْ حَظَّةٍ ، وَحَرْبٍ جُنِيَتْ مِنْ لَفْظَةٍ .

*
* *

وَالْفَصْلُ الرَّابِعُ مِنْ قَوَائِنِ هَذِهِ الْوِزَارَةِ :
أَنْ يَفْتَدِيَ رَاحَةَ الْمَلِكِ بِتَعَبِهِ ، وَيَقِي^(١) دَعَتَهُ^(٢)
بِنَصَبِهِ^(٣) ، وَلَا يَغِيبَ إِذَا أُرِيدَ ، وَلَا يَسَامَ إِذَا أُعِيدَ ؛
لِأَنَّهُ لِسَانَ الْمَلِكِ إِذَا نَطَقَ ، وَعَيْنُهُ إِذَا رَمَقَ^(٤) ،
وَيَدُهُ إِذَا بَطَشَ ، فَلَا يَبْعُدُ عَنْ دُعَائِهِ ، وَلَا يَضْجَرُ
مِنْ نِدَائِهِ ، لِأَنَّ عَوَارِضَ الْمَلِكِ مِنْ هَوَاجِسِ^(٥)
أَفْكَارِهِ وَتَقَلُّبِ خَاطِرِهِ . وَقَدْ يَتَجَدَّدُ مَعَ الْأَوْقَاتِ
مَا لَا يَعْرِفُ أَسْبَابَهُ ، وَلَا تَتَعَيَّنُ أَوْقَاتُهُ . فَلْيَكُنْ

حرص
الوزير
على
مصالح
الملك

(١) يقى : يحفظ (٢) الدعة : الراحة (٣) النصب : التعب

(٤) رمق : نظر . (٥) الهواجس : الخواطر

عَلَى رَصَدٍ مِنْهَا حَتَّى لَا تَقِفَ بِهِ أَغْرَاضُ الْمَلِكِ ،
فَيُفْضَى إِلَى نُفُورٍ أَوْ ضَجَرٍ ، وَهُوَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا عَلَى خَطَرٍ . لِأَنَّهُ قَدْ يُؤَاخِذُ بِالْجَرِيرَةِ قَبْلَ
ظُهُورِهَا ؛ وَيُعَاقِبُ عَلَى الصَّغِيرَةِ مِثْلَ كَبِيرِهَا ، إِذَا
حَكَمَ بِالْهَوَى ، وَوَثَبَ ^(١) بِالْقُدْرَةِ . وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ
خَالَفَ وَزِيرَ التَّفْوِيضِ الَّذِي يَجُوزُ أَنْ يَتَأَخَّرَ بِمُبَاشَرَةِ
الْأُمُورِ ؛ عَنِ مُوَاصَلَةِ الْحُضُورِ . وَهَذَا الْوَزِيرُ
مَقْصُورٌ عَلَى الْحُضُورِ دُونَ الْعَمَلِ ، فَصَارَ هَذَا أَكْثَرَ
نَقْلًا ، وَذَلِكَ أَكْثَرَ عَمَلًا . وَرُبَّمَا مَلَ الْمُلَازِمَةُ
فَاعْقَبَتْهُ أَسْفًا إِذَا فَارَقَهَا ، لِأَنَّ فِي مُلَازِمَتِهِ لِلْمَلِكِ
نَصَبًا يَقْتَرِنُ بِعِزٍّ ، وَفِي مُتَارَكَتِهِ رَاحَةٌ تَوْوُلُ إِلَى

ذُلٌّ ، وَهُمَا مَا هُمَا فِي التَّبَايُنِ . فَلِيخْتَرَنَّ لِنَفْسِهِ مَا وَاقَفَهَا
 مِنْ عِزٍّ يَجْتَذِبُهُ بِالْكَدِّ^(١) ، أَوْ ذُلٍّ يُوْوَلُّهُ إِلَيْهِ
 بِالِدَّعَةِ . فَإِنَّهُ إِنْ صَبَرَ عَلَى إِعَادَةِ الْمَلِكِ ، ظَفَرَ بِإِرَادَتِهِ
 مِنَ الْمَلِكِ ، وَهُوَ عَلَى الضَّمَانِ إِنْ خَالَفَهَا . وَقَدْ قَالَ
 أَبُو شَرِيحَةَ : مَا اسْتُنْجِحَتْ الْأُمُورُ بِمِثْلِ الصَّبْرِ ،
 وَلَا اكْتَسَبَتْ الْبَغْضَاءُ بِمِثْلِ الْكِبْرِ . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ
 خَدَمَ السُّلْطَانَ خَدَمَهُ الْإِخْوَانُ . فَاطَّرَدَ عَلَى هَذَا
 التَّعْلِيلِ : أَنْ مَنْ تَنَكَّرَ لَهُ السُّلْطَانُ خَذَلَهُ الْإِخْوَانُ .
 لِأَنَّهُ مَتَّبِعٌ عَلَى تَحْكِيمِهِ ، وَمُسَاعِدٌ عَلَى تَوْهُمِهِ .

فَهَذَا مَا اخْتَصَّ بِقَوَانِينِ وَزَارَةِ التَّنْفِيدِ بَعْدَ
 مَا قَدَّمَناه مِنْ قَوَانِينِ وَزَارَةِ التَّفْوِيضِ ، ثُمَّ يَخْتَلِفَانِ

فِي أَصْلِ التَّقْلِيدِ مِنْ سِتَّةِ أَوْجُهٍ . أَحَدُهَا أَنَّ الْمَلِكَ
 يُقَلِّدُ وَزِيرَ التَّفْوِيضِ فِي حُقُوقِهِ وَحُقُوقِ رَعِيَّتِهِ ،
 وَيُقَلِّدُ وَزِيرَ التَّنْفِيذِ بِأَمْرِ الْمَلِكِ وَعَنْ رَأْيِهِ .
 وَالثَّانِي أَنَّ وَزَارَةَ التَّفْوِيضِ تَفْتَقِرُ إِلَى عَقْدٍ يَصِحُّ
 بِهِ نَفُوذُ أَفْعَالِهِ ؛ وَوَزَارَةُ التَّنْفِيذِ لَا تَفْتَقِرُ إِلَى عَقْدٍ ،
 لِأَنَّهَا فِيهَا مَأْمُورٌ بِتَّنْفِيذِ مَا صَدَرَ عَنْ أَمْرِ الْمَلِكِ .
 وَالثَّلَاثُ أَنَّ وَزِيرَ التَّفْوِيضِ مَأْخُوذٌ بِدَرْكِ^(١) مَا أَمْضَاهُ .
 وَالرَّابِعُ أَنَّ وَزِيرَ التَّفْوِيضِ لَا يَنْعَزِلُ إِلَّا بِالْقَوْلِ
 أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ دُونَ الْمُتَارَكَةِ ، لِأَنَّهُ قَدْ تَمَلَّكَهَا بِمُبَاشَرَةٍ
 الْأُمُورِ ؛ وَوَزِيرُ التَّنْفِيذِ يَنْعَزِلُ بِالْمُتَارَكَةِ ، لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ .
 وَالخَامِسُ أَنَّ وَزِيرَ التَّفْوِيضِ لَا يَنْعَزِلُ إِنْ كَفَّ وَتَرَكَ

(١) بدرك : يعلم

حَتَّى يَسْتَعْفِيَ الْمَلِكَ مِنْهَا ، لِأَنَّهُ مُسْتَوْدَعُ الْأَعْمَالِ .
 فَلَزِمَهُ رَدُّهَا إِلَى مُسْتَحَقِّهَا ، وَوَزِيرُ التَّنْفِيدِ يُجَوِّزُ
 أَنْ يَنْعَزَلَ بِعَزْلِ نَفْسِهِ بِالْكَفِّ وَالْمُتَارَكَةِ ، لِأَنَّهُ
 لَا شَيْءَ بِيَدِهِ . فَيُوْخَذُ بِرَدِّهِ . وَالسَّادِسُ أَنَّ
 وَزَارَةَ التَّفْوِيضِ تَفْتَقِرُ إِلَى كِفَايَةِ السِّيفِ وَالْقَلَمِ
 لِنُحُوضِهِ بِمَا أُوجِبَهُمَا ، وَوَزَارَةَ التَّنْفِيدِ غَيْرُ مُفْتَقِرَةٍ
 إِلَيْهِمَا لِقُصُورِهَا عَنْهُمَا ، وَإِنَّمَا يُعْتَبَرُ فِيهَا سِتَّةُ
 أَوْصَافٍ وَهِيَ مُعْتَبَرَةٌ فِي كُلِّ مُدَبِّرٍ ذِي رِيَاةٍ .
 وَهِيَ : الْأُبْهَةُ^(١) ، وَالْمَنَةُ ، وَالْهَمَّةُ^(٢) ، وَالْعِفَّةُ^(٣) ،
 وَالْمَرْوَةُ^(٤) ، وَجَزَالَةُ الرَّأْيِ^(٥) . وَقَدْ كَانَ أَكْثَرُ

(١) الأبهة : العظمة (٢) الهمة : قوة العزيمة (٣) العفة :
 عزة النفس (٤) المروءة : النخوة والشجاعة (٥) جزالة الرأي :
 جودته وامتاته

وَزَرَءِ الْفُرْسِ وَزَرَءِ تَنْفِيذٍ ؛ وَأَكْثَرُ وَزَرَءِ مُلُوكِ
 الْإِسْلَامِ وَزَرَءِ تَقْوِيضٍ . وَوَزَارَةٌ التَّفْوِيضِ
 اسْتِسْلَامٌ ، وَوَزَارَةٌ التَّنْفِيذِ اسْتِمْدَادٌ .

✱
 ✱ ✱

ثُمَّ تَشْتَرِكُ الْوَزَارَتَانِ بَعْدَ التَّمْيِيزِ فِي حُقُوقِ
 وَعُهُودٍ ، فَأَمَّا الْحُقُوقُ فَمَا نَبِيَةٌ . أَحَدُهَا : أَنْ يَكُونَ
 بِأَعْبَاءِ الْوَزَارَةِ نَاهِيًّا ، وَفِي مَصَالِحِ الْمَمْلَكَةِ
 رَاكِضًا^(١) ، يُقَدِّمُ حَظَّ الْمَلِكِ عَلَى حَظِّ نَفْسِهِ ، وَيَعْلَمُ
 أَنَّ صَلَاحَهُ مُقْتَرِنٌ بِصَلَاحِهِ ، فَلَنْ تَسْتَقِيمَ أَحْوَالُ
 الْوَزِيرِ مَعَ اخْتِلَافِ حَالِ الْمَلِكِ لِأَنَّ الْفُرُوعَ تَسْتَمِدُّ
 أَصُولَهَا ، وَلَوْ اسْتَقَامَتْ لَكَانَ مِثْلَهَا وَشِيكًا^(٢) .

(١) راکضا : مسرعا منجزاً (٢) الوشيك : القريب

وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْشُورِ الْحُكْمِ : لَا تُقِمُّ بَرَبِعَ (١)
 مُنْتَقِمٍ . وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ عَلَى الْكَدِّ وَالتَّعَبِ قَادِرًا ،
 وَفِي السُّخْطِ وَالرِّضَا صَابِرًا ، لَا يَنْفِرُ إِذَا أُوحِشَ ،
 فَإِنَّ نُفُورَهُ عَطَبٌ (٢) . وَلِيَتَوَصَّلَ إِلَى رَاحَتِهِ بِالتَّعَبِ
 وَإِلَى دَعَتِهِ بِالنَّصَبِ ؛ وَلِذَا قِيلَ : عِلَّةُ الرَّاحَةِ
 قَلَّةُ الْإِسْتِرَاحَةِ . وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ : أَتَيْبُ قَدَمِكَ ،
 فَكَمْ تَعِبَ قَدَمُكَ . فَإِنْ تَشَاغَلَ بِرَاحَتِهِ وَمَالَ إِلَى
 لَدَّتِهِ ، سَلِبَهَا بِالتَّنْكَرِ ؛ وَعَدِمَهَا بِالتَّغْيِيرِ ، فَضَاعَ
 وَأَضَاعَ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى خَطَرٍ ، وَقَدْ قِيلَ فِي
 مَنْشُورِ الْحُكْمِ : عَلَى خَطَرٍ مَنْ لَمْ يُخَاطِرْ ، فَكَيْفَ
 بِالْمُغْرُورِ الْمُخَاطِرِ ؟ وَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِ

بَنِي إِسْرَائِيلَ : الَّذِي يُحِبُّ الشَّهَوَاتِ يُبْغِضُ نَفْسَهُ .
 وَالثَّلَاثُ : أَنْ يَكُونَ لِإِحْسَانِ الْمَلِكِ شَاكِرًا ،
 وَإِلِسَاءَتِهِ عَازِرًا^(١) ، يَشْكُرُ عَلَى يَسِيرِ الْإِحْسَانِ ؛
 وَيَعْذِرُ فِي كَثِيرِ الْإِسَاءَةِ ، لِيَسْتَمِدَّ بِالشُّكْرِ إِحْسَانَهُ .
 وَيَسْتَدْفِعُ بِالْعُذْرِ إِسَاءَتَهُ . فَإِنْ عَدَلَ عَنْهُمَا كَانَ مِنْهُ
 عَلَى ضِدِّهِمَا . وَقَدْ قِيلَ : أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَنْعِ
 الْكَفُورُ^(٢) ، وَبِالصَّنِيعَةِ الشُّكُورُ . وَالرَّابِعُ :
 أَنْ يُظْهِرَ مَحَاسِنَهُ إِنْ خَفِيَتْ ، وَيَسْتُرَ مَسَاوِيَهُ^(٣) إِنْ
 ظَهَرَتْ ، لِأَنَّهُ بِمَحَاسِنِهِ مَعْلُومٌ مَوْسُومٌ ، وَبِمَسَاوِيهِ
 مَقْرُوفٌ^(٤) مَرَسُومٌ ، يُشَارِكُهُ فِي حَمْدِ مَحَاسِنِهِ ،

(١) عاذر : اسم فاعل من عذر : رفع عنه اللوم (٢) الكفور :

الجاحد للنعمة (٣) المساوي جمع سيئة . والسيئة : الزلة والذنب

(٤) المقروف : المذكور بالسوء .

وَيُؤَاخِذُ بِذَمِّ مَسَاوِيهِ . وَرُبَّمَا اسْتَرْسَلَ الْمَلِكُ لِثِقَتِهِ
 بِالْأَحْبَابِ فَارْتَكَبَ بِالْهُوَى مَا يُصَانُ عَنْ إِذَاعَتِهِ ،
 وَكَانَ الْوَزِيرُ أَحَقَّ بِسْتَرِهِ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ الْبَابُ الْمَسْلُوكُ
 إِلَيْهِ ، مُسَاتِرًا غَيْرَ مُجَاهِرٍ . فَقَدْ قِيلَ : النُّصْحُ بَيْنَ
 الْمَلِكِ تَقْرِيعٌ ^(١) . وَالْخَامِسُ : أَنْ يُخْلِصَ نِيَّتَهُ فِي
 طَاعَتِهِ ، وَيَكُونَ سِرُّهُ كَعَمَلِ نِيَّتِهِ ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ جَازِبَةٌ
 تَمْلِكُ أَعْيُنَ الْأَجْسَادِ ؛ فَإِنَّ اتَّفَقَا وَإِلَّا فَالْقَلْبُ أَغْلَبُ ،
 وَهُوَ إِلَى مُرَادِهِ أَجْذَبُ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا زُرْتُكُمْ عَمْدًا وَلَكِنَّ ذَا الْهُوَى

إِلَى حَيْثُ يَهْوَى الْقَلْبُ تَهْوَى بِهِ الرَّجُلُ

فَأَخْلِصْ قَلْبَكَ لِطِيعِكَ جَسَدُكَ ، وَأَحْسِنْ سَرِيرَتَكَ

لِتَحْسُنَ عَلَانِيَتِكَ ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ تَنِمُ^(١) عَلَى الضَّمَائِرِ
 قَهْتِكَ^(٢) أَسْتَارَهَا ؛ وَتُذِيعُ^(٣) أَسْرَارَهَا . وَقَدْ رَوَى
 مُجَاهِدٌ عَنِ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فِي ابْنِ^(٤) آدَمَ مُضْغَةٌ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ
 الْجَسَدُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ ، الْأَوْهَى الْقَلْبُ » .
 وَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ صُحُفِ بَنِي إِسْرَائِيلَ : قَلْبُ
 الْإِنْسَانِ يُغَيِّرُ وَجْهَهُ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا . وَالسَّادِسُ :
 أَلَّا يُعَارِضَ الْمَلِكَ فِيمَنْ قَرَّبَ فَاسْتَبَطْنَ^(٥) وَلَا
 يُمَارِيَهُ^(٦) فِيمَنْ حَطَّ وَرَفَعَ ، فَإِنَّهُ يُحْكَمُ بِقُدْرَتِهِ ،

(١) نَمَ : تَخْبَرُ وَتَنْبِيءٌ وَتَدَلُّ (٢) تَهْتِكُ : تَخْرُقُ . يُقَالُ هَتَكَ الرَّجُلُ

الْسِتْرَ وَنَحَوَهُ . خَرَقَهُ . وَالْمُرَادُ : فَتَكْشِفُ (٣) تَذِيعُ : تَفْشِي (٤) لَفْظُ

الْحَدِيثِ لَيْسَ كَمَا ذَكَرَ . بَلْ هُوَ : أَنْ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةٌ إِذَا صَلَحَتْ ، صَلَحَ

الْجَسَدُ كُلُّهُ الْخ (٥) اسْتَبَطْنَهُ : جَعَلَهُ بَطَاتِنَهُ (٦) يُمَارِيهِ : يُجَادِلُهُ

مِنَ الْمِرَاءِ وَهُوَ الْمَجَادَلَةُ

وَيَأْتَفُ^(١) مِنْ مُعَارَضَتِهِ ، فَرُبَّمَا انْقَلَبَ بِسَطْوَتِهِ
 إِذَا عُورِضَ ؛ وَمَالَ بِانْتِقَامِهِ إِذَا خُولِفَ ، فَبَوَادِرِ^(٢)
 الْمُلُوكِ تَسْبِقُ نَذِيرَهَا ، وَتُدْحِضُ^(٣) أَسِيرَهَا ، فَإِنْ
 سَلِمَ مِنَ الْخَطَرِ لَمْ يَسَلَمْ مِنَ الضَّجْرِ ، وَلَوْ سَلِمَ
 مِنْهُمَا - وَهُوَ نَادِرٌ - فَفَقَّتِ الْمُعَارِضُ^(٤) مَرْكُوزٌ
 فِي الْغَرَائِزِ ، وَكَفَى بِالْمَقْتِ عُقْبَى . وَقَالَ بَزْرُجَمَهُرُ :
 يَجِبُ لِلْعَاقِلِ أَلَّا يَجْزَعَ مِنْ جَفَاءِ الْوَلَاةِ وَتَقْدِيمِهِمْ
 الْجَاهِلَ عَلَيْهِ ، إِذْ كَانَتْ الْأَقْسَامُ لَمْ تُوضَعَ عَلَى
 قَدْرِ الْأَخْطَارِ ، فَإِنَّ حُكْمَ الدُّنْيَا أَلَّا تُعْطَى
 أَحَدًا مَا يَسْتَحِقُّهُ ، لَكِنْ تَزِيدُهُ وَتَنْقُصُهُ .

(١) يَأْتَفُ : يَسْتَكْفُفُ (٢) بَوَادِرُ : جَمْعُ بَادِرَةٍ : وَهِيَ مَا تَبَدَّرَ مِنْ
 الشَّخْصِ عِنْدَ حَدَثِهِ (٣) تَدْحِضُ : تَزِيلُ (٤) الْمُعَارِضُ : الَّذِي لَا يَسْتَقِيمُ
 وَلَا يَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ

وَالسَّابِعُ : أَنْ يَتَقَاصَرَ عَنْ مُشَاكَلَةِ الْمَلِكِ فِي
رُتْبَتِهِ ، وَيَقْبِضَ نَفْسَهُ عَنْ مِثْلِ هَيْئَتِهِ ؛ فَلَا
يَلْبَسُ مِثْلَ مَلَابِسِهِ ، وَلَا يَرْكَبُ مِثْلَ مَرَآكِبِهِ ،
وَلَا يَسْتَحْدِمُ مِثْلَ خَدَمِهِ ؛ فَإِنَّ الْمَلِكَ يَأْنَفُ إِنْ
مُوتِلَ ، وَيَنْتَقِمُ إِنْ شُوِكِلَ ؛ وَيَرَى أَنَّهَا مِنْ أَحْوَالِهِ
الْمُحْتَاجَةِ ، وَحِشْمَتِهِ الْمُسْتَبَاحَةِ ، وَلَيْسَتْ عِضُّ مِنْهَا
بِنِظَافَةِ لِبَاسِهِ وَجَسَدِهِ مِنْ غَيْرِ تَصْنُوعٍ ؛ فَإِنَّ النِّظَافَةَ
مِنَ الْمَرْوَةِ ، وَالتَّصْنُوعَ لِلنِّسَاءِ . لِيَكُونَ بِالسَّلَامَةِ
مَحْفُوظًا ، وَبِالْحِشْمَةِ مَلْحُوظًا . وَالثَّامِنُ : أَنْ يَسْتَوْفِيَ
لِلْمَلِكِ وَلَا يَسْتَوْفِيَ عَلَيْهِ ، وَيَتَأَوَّلَ لِلْمَلِكِ وَلَا
يَتَأَوَّلَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا أَرَادَ الْإِنْصَافَ كَانَ
عَلَيْهِ أَقْدَرُ ، وَإِنْ لَمْ يَرِدْهُ فَيَدُ الْوَزِيرِ مَعَهُ أَقْصَرُ ،

وَإِنَّمَا أَرَادَ الْوَزِيرَ عَوْنًا لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يُرِدْهُ عَوْنًا
عَلَى نَفْسِهِ ، فَإِنْ وَجَدَ إِلَى مُسَاعَدَتِهِ سَبِيلًا سَارَعَ إِلَيْهَا ،
وَإِنْ خَافَ ضَرَرَهَا وَانْتَشَرَ الْفَسَادُ بِهَا ، تَلَطَّفَ فِي
كَفِّهِ عَنْهَا إِنْ قَدَرَ ، وَإِنْ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ تَلَطَّفَ فِي
الْخَلَاصِ مِنْهَا إِنْ قَدَرَ ، وَلَا يَجْهَرُ بِالْمُخَالَفَةِ مَا كَانَ
عَلَى رَغْبَتِهِ فِي النَّظَرِ . سُئِلَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الرُّومِ :
عَنْ أَصْلِحِ مَا عُوْشِرَ بِهِ الْمُلُوكُ . فَقَالَ : قِلَّةُ الْخِلَافِ
وَتَخْفِيفُ الْمُتُونَةِ ، فَإِذَلِكَ لَمْ تَصْحَبِ الْمُلُوكُ إِلَّا عَلَى
اخْتِيَارِهِمْ ، وَلَمْ يَتَمَسَّكُوا إِلَّا بِمَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى
آرَائِهِمْ ، وَلَيْسَ لِمَنْ خَالَفَهُمْ حَظٌّ مِنْهُمْ ، وَإِنَّمَا كَانَ
عَلَى خَطَرٍ مَعَهُمْ ، وَإِذَا رُوِعِيَتْ أَحْوَالُ النَّاسِ وَجِدُوا
لَا يَأْتَلِفُونَ إِلَّا بِالْمُوَافَقَةِ ، فَكَيْفَ بِذَوِي الْقُدْرَةِ
مِنَ الْمُلُوكِ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

النَّاسُ إِنْ وَافَقْتَهُمْ عَذُبُوا
أَوْ لَا فَإِنَّ جَنَاهُمْ مِنْ
كَمْ مِنْ رِيَاضٍ لَا أُنَيْسَ بِهَا
تُرِكَتْ لِأَنَّ طَرِيقَهَا وَعُرُ
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : حِرْزُ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ :
أَلْفَةٌ تَجْمَعُهُمْ ، وَطَاعَةٌ تَمْنَعُهُمْ ، وَمَنَاصِحَةٌ تَنْفَعُهُمْ ،
فَإِيَّاهُمْ إِنْ تَفَرَّقُوا تَفَرَّقَتْ أُمُورُهُمْ ، وَإِنْ عُصُوا ظَهَرَ
نُفُورُهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يُنَاصِحُوا وَغَرَّتْ صُدُورُهُمْ .
فَأَمَّا الْعَهْدُ الْمُوقِفَةُ ، فَسَاقُولُ وَأَرْجُوَانُ يَقْتَرِنَ
بِالْقَبُولِ . إِجْعَلْ أَيُّهَا الْوَزِيرُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى سِرِّكَ
رَقِيبًا يَلَاحِظُكَ مِنْ زَيْغٍ فِي حَقِّهِ ، وَاجْعَلْ لِإِسْطَانِكَ
عَلَى خَلْوَتِكَ رَقِيبًا يَكْفُكَ عَنْ تَقْصِيرٍ فِي أَمْرِهِ ،

لِيَسْلَمَ دِينُكَ فِي حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَسْلَمَ دُنْيَاكَ فِي
 حُقُوقِ سُلْطَانِكَ ، فَتَسْعَدَ فِي عَاجِلَتِكَ وَآجِلَتِكَ ،
 فَإِنَّ تَنَاوِي اجْتِمَاعَهُمَا لَكَ ، فَقَدِّمَ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى
 حَقِّ الْمَلِكِ ، « فَلَا طَاعَةَ لِلْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » .
 وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
 « مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضْرَبَ بِأَخْرَتِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ
 أَضْرَبَ بِدُنْيَاهُ ؛ فَآثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى » . وَرَوَى
 عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ
 التَّمَسَّ رِضَا اللَّهِ بِسُخْطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
 وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ » وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كُلُّ
 أَمْرٍ يَجْرِي مِنْ عُمُرِهِ إِلَى غَايَةِ تَنْتَهَى إِلَيْهَا
 مُدَّةُ أَجَلِهِ ، وَتَنْطَوِي عَلَيْهَا صَحِيفَةُ عَمَلِهِ ، فَخُذْ

مِنْ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ ، وَقِسْ يَوْمَكَ بِأَمْسِكَ .
 وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَمَثَّلُ كَثِيرًا
 بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ :

إِنَّمَا النَّاسُ ظَاعِنٌ وَمُتَمِّمٌ
 فَالَّذِي بَانَ لِلْمُتَمِّمِ عِظَاهُ

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعِيشُ سَوِيًّا
 سَاهِرَ اللَّيْلِ عَامِلَ الْيَقْظَةِ
 فَإِذَا كَانَ ذَا حَيَاةٍ وَدِينٍ

حَاذَرَ الْمَوْتَ وَاسْتَحَى الْخَفْظَةَ

حَقٌّ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ : أَنْ تَكُونَ بِالرَّعِيَّةِ

خَبِيرًا . وَإِلَى أَحْوَالِهِمْ مُتَطَلِّعًا ؛ وَبِهِمْ عَلَى نَفْسِكَ
 وَعَلَيْهِمْ مُسْتَظْهِرًا ، لِأَنَّهِمْ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَسُوسُهُ أَوْ

تَسْتَعِينُ بِهِ لِتَعْلَمَ مَا فِيهِ مِنْ فَضْلٍ وَنَقْصٍ ، وَعِلْمٌ
 وَجَهْلٌ ، وَخَيْرٌ وَشَرٌّ ، وَتَتَحَرَّزُ مِنْ غُرُورِ الْمُتَشَبِّهِ ،
 وَتَدَلُّسِ الْمُتَصَنَّعِ ؛ فَتُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ حَقَّهُ ، وَلَا
 تُقْصِرُ بَدِي فَضْلٍ ، وَلَا تَعْتَمِدُ عَلَى ذِي جَهْلٍ .
 فَقَدْ قِيلَ : مِنْ الْجَهْلِ صُحْبَةُ ذَوِي الْجَهْلِ وَمِنْ الْمِحَالِ
 مُجَادَلَةُ ذِي الْمِحَالِ .

وَأَفْرَقَ بَيْنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ . فَإِنَّ ذَا الْخَيْرِ
 يَبْنِي ، وَذَا الشَّرِّ يَهْدِمُ . وَاحْذَرِ الْكَذُوبَ ؛ فَلَنْ
 يَنْصَحَكَ مَنْ غَشَّ نَفْسَهُ ، وَلَنْ يَنْفَعَكَ مَنْ ضَرَّهَا .
 وَقَدْ قِيلَ : مَنْ ضَيَّعَ أَمْرَهُ فَقَدْ ضَيَّعَ كُلَّ أَمْرٍ ، وَمَنْ
 جَهَلَ قَدْرَهُ جَهَلَ كُلَّ قَدْرٍ . وَلَا تَسْتَكْفِينَنَّ عَاجِزًا
 فَيُضَيِّعَ الْعَمَلَ ، وَلَا شَرِيحًا فَيُضْرِكَ بِاِحْتِجَانِهِ (١) .

(١) الاحتجان : من احتجن المال ضمه لنفسه

وَقَدْ قِيلَ : لِيُعَدَّ مِنَ الْبَهَائِمِ مَنْ لَمْ تَكُنْ غَايَتُهُ مِنَ
 الدُّنْيَا إِلَّا نَفْسُهُ . وَلَا تُعْنِ بِمَنْ لَا يُحَافِظُ عَلَى الْمُرُوءَةِ ؛
 فَقَلَّمَا تَجَدُّ فِيهِ خَيْرًا لِرُحْدِهِ فِي صِيَانَةِ نَفْسِهِ ، وَمِثْلَهُ
 إِلَى مُخُولِ الْقَدْرِ . وَبَعِيدٌ مِمَّنْ أَسْقَطَ حَقَّ نَفْسِهِ أَنْ
 يُقَوْمَ بِحَقِّ غَيْرِهِ . وَصَعْبٌ عَلَى مَنْ أَلْفَ إِسْقَاطَ
 التَّكْلِيفِ أَنْ يَحْوَلَ عَنْهُ . وَقَدْ قِيلَ فِي حِكْمِ الْهِنْدِ :
 ذُو الْمُرُوءَةِ يَرْتَفِعُ بِهَا ، وَتَارِكُهَا يَهْبِطُ ، وَالْأُرْتِقَاءُ
 صَعْبٌ ، وَالْأُنْحِطَاطُ هَيْئٌ ، كَالْحَجَرِ الثَّقِيلِ الَّذِي رَفَعَهُ
 عَسِيرٌ ، وَحَطَّهُ يَسِيرٌ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : أَحْسِنُ
 رِعَايَةَ ذَوِي الْحُرْمَاتِ ، وَأَقْبِلْ عَلَى أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ ،
 فَإِنَّ رِعَايَةَ ذَوِي الْحُرْمَةِ ، تَدُلُّ عَلَى كَرَمِ الشَّيْمَةِ ،
 وَالْإِقْبَالَ عَلَى ذَوِي الْمُرُوءَةِ ، يُعْرِبُ عَنْ شَرَفِ الْهِمَّةِ .

إِخْتَبِرْ أَحْوَالَ مَنْ اسْتَكْفَيْتَهُ لِتَعْلَمَ عَجْزَهُ مِنْ
 كِفَايَتِهِ ؛ وَإِحْسَانَهُ مِنْ إِسَاءَتِهِ ، فَتَعْمَلَ بِمَا عَلِمْتَ
 مِنْ إِقْرَارِ الْكَافِي ، وَصَرْفِ الْعَاجِزِ ، وَحَمْدِ الْمُحْسِنِ
 وَذَمِّ الْمُسِيءِ . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ اسْتَكْفَى الْكُفَاةَ ؛
 كُنِيَ الْعُدَاةَ ، فَإِنَّ التَّبَسُّتَ عَلَيْكَ أُمُورُهُمْ . أَوْهَنْتَ
 الْكَافِي ، وَسَلَّطْتَ الْعَاجِزَ ؛ وَأَضَعْتَ الْمُحْسِنَ ؛
 وَأَغْرَيْتَ الْمُسِيءَ . وَلَآنَ يُكُونُ الْعَمَلُ غَائِبًا
 فَيَنْصَرِفُ إِلَيْهِ فِكْرُكَ ، أَوْلَى مِنْ أَنْ يُبَاشِرَهُ عَاجِزٌ
 أَوْ خَائِنٌ فَيَقْبَحُ بِهِمَا أَثْرُكَ ، فَاحْذَرِ الْعَاجِزَ فَإِنَّهُ
 مُضَيِّعٌ ، وَتَوَقَّ الْخَائِنَ فَإِنَّهُ يَكْدَحُ لِنَفْسِهِ .
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا أَنْتَ حَمَلْتَ الْخَوْفَ أَمَانَةً

فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرًّا مُسْنَدٍ

أَقْتَصِرُ مِنَ الْأَعْوَانِ بِحَسَبِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِمْ ،

وَلَا تَسْتَكْثِرُ مِنْهُمْ لِتَكْثَرُ بِهِمْ ، فَلَنْ يَخْلُوَ

الِاسْتِكْثَارُ مِنْ تَنَافُرٍ يَقَعُ بِهِ الْخَلَلُ ، أَوْ ارْتِفَاقٍ

يَتَشَاكَلُ بِهِ الْعَمَلُ ، وَلِيَكُنْ أَعْوَانُكَ وَفَوْقَ عَمَلِكَ ،

فَإِنَّهُ أَنْظَمُ لِلشَّمْلِ (١) ، وَأَجْمَعُ لِلْعَمَلِ ، وَأَبْلَغُ لِلِاجْتِهَادِ ،

وَأَبْعَثُ عَلَى النُّصْحِ (٢) . أَنْشَدْتُ لِابْنِ الرَّوْبِيِّ :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ

فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصَّحَابِ

فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ

يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ

(١) الشمل : جمع ما تفرق (٢) النصح : الوعظ و إخلاص المودة

فَدَعَّ عَنْكَ الْكَثِيرَ فَكَمْ كَثِيرٍ
يُعَافُ وَكَمْ قَلِيلٍ مُسْتَطَابٍ
فَمَا اللَّجِجُ^(١) الْمِلَاحُ بِمُرُويَاتٍ
وَتَلَقَى الرَّيِّ فِي النُّطْفِ^(٢) الْعِذَابُ
هَدَّبَ نَفْسَكَ مِنَ الدَّنَسِ تَهَدَّبُ جَمِيعُ أَتْبَاعِكَ ،
وَنَزَهُ نَفْسَكَ عَنِ الطَّمَعِ ؛ تَنْزَهُ جَمِيعُ خُلَفَائِكَ .
وَتَوَقَّ الشَّرَّ فَلَنْ يَزِيدَكَ إِلَّا حِرْصًا إِنْ أُجْدَبْتَ ،
وَنَقْصًا إِنْ أَكْدَيْتَ ، وَهَمَا مَعْرَةٌ ذَوِي الْفَضْلِ ،
وَمَضْرَةٌ أَوْلَى الْحَزْمِ . وَقَدْ قِيلَ بِحَمْدِكَ لَا بِكُفْرِكَ .
وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

(١) اللجج : جمع لجة واللجة معظم الماء الملح . وخصه بعضهم بمعظم

البحر (٢) يقال نطف الماء والكوز إذا سال وقطر قليلا قليلا والمراد

الماء العذب قل أو كثير

« اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ؛ وَلَا يَزِدَادُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا
إِلَّا حِرْصًا ، وَلَا تَزِدَادُ مِنْهُمْ إِلَّا بُعْدًا » . وَقَالَ
مَحْمُودُ الْوَرَّاقُ :

لَا يَغْلِبَنَّكَ غَالِبُ الْحِرْصِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ النَّاسَ فِي نَقْصِ
إِلْبَسِ أَخَاكَ عَلَى تَصْنُوعِهِ
فَلَرُبَّ مُفْتَضِحٍ عَلَى النَّصِّ
مَا كَدَتْ أَفْحَصُ عَنْ أَخِي ثِقَّةً

إِلَّا عَدِمْتُ كَوَاعِبَ^(١) الْفَحْصِ
رُضْ نَفْسَكَ بِمُشَارَفَةِ الْأَعْمَالِ ، يَرْهَبُكَ جَمِيعُ
عَمَائِكَ ، وَتَنْتَظِمُ بِهِ جَمِيعَ أَعْمَالِكَ ؛ وَلَا تَكِلْ إِلَى

(١) الكواعب : جمع كاعب وهي التي تتأثبها حتى صار يشبه الكعب .
ومنه قوله تعالى : وكواعب أترابا

غَيْرِكَ مَا يَخْتَصُّ بِمُبَاشَرَتِكَ طَلَبًا لِلدَّعَاةِ ، فَتَعَزَّلَ عَنْهُ
نَفْسِكَ وَتَوَثَّرَ بِهِ غَيْرِكَ . فَتَكُونَ مِنْ وَفَائِهِ عَلَى
غَدْرٍ ، وَمِنْ نَفْسِكَ عَلَى تَقْصِيرٍ ؛ فَإِنَّ الْعُطْلَةَ عُقْلَةٌ (١)
وَالْجُودَادَ إِذَا وَقَفَ رَاكِضَتَهُ (٢) الْبَرَازِينَ (٣) . وَقَالَ
بِرُجْمِهِرٍ : إِنْ يَكُنِ الشُّغْلُ مَجْهَدَةً ؛ فَإِنَّ الْفَرَاعَ
مَفْسَدَةٌ . وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ : مَا زَانَكَ مَا أَضَاعَ
زَمَانَكَ ، وَلَا شَانَكَ ، مَا أَصْلَحَ شَانَكَ .

إِجْعَلْ زَمَانَ فَرَاعِكَ مَصْرُوفًا إِلَى حَالَتَيْنِ .
إِحْدَاهُمَا : رَاحَةٌ جَسَدِكَ ، وَإِجْمَامُ خَاطِرِكَ ، لِيَكُونَ

(١) العقلة : ما يعقل به الدابة كالغيد والعقال (٢) الركن : الضرب
بالرجل في الأرض . ومنه قوله تعالى : « اركض برجلك »
(٣) البرزون : الواحد من الخيل التركي . الذي يثقل ويعي عن المشي
والمراد : أن لا تهمل : فيسبقك من هو دونك

عَوْنًا لَكَ عَلَى نَظْرِكَ . رُوِيَ أَنَّ ابْنَ لِعُمَرَ بْنِ
عَبْدِ الْعَزِيزِ دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ . فَقَالَ : يَا أَبَتِ
تَنَامُ ؛ وَالنَّاسُ عَلَى بَابِكَ قِيْلِمٌ . فَقَالَ : يَا بُنَيَّ إِنَّ
نَفْسِي مَطِيئِي ، وَأَخَافُ أَنْ أَحْمِلَ عَلَيْهَا فَتَقْعُدَ بِي .
وَالْحَالُ الثَّانِيَةُ : أَنْ تُفَكِّرَ بَعْدَ رَاحَةِ جَسَدِكَ ،
وَإِجْمَامِ^(١) خَاطِرِكَ ، فِيمَا قَدَّمْتَهُ مِنْ أَعْمَالِكَ ، وَتَصَرَّفْتَ
فِيهِ مِنْ أَعْمَالِكَ ، هَلْ وَافَقْتَ الصَّوَابَ فِيهَا ،
فَتَجْعَلُهُ مِثَالًا تَحْتَذِيهِ ، أَوْ نَالَكَ فِيهَا زَلَلٌ فَتُسْتَدْرِكُ
مِنْهُ مَا أَمْكَنَ ، وَتَنْتَهِيَ عَنْ مِثْلِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ .
فَقَدْ قِيلَ : مَنْ فَكَّرَ أَبْصَرَ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :
مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ ، لَمْ تَنْفَعَهُ

(١) الاجمام : الراحة

المَوَاعِظُ، ثُمَّ اصْرِفْ فِكْرَكَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا تَسْتَقْبِلُهُ
 مِنْ أَفْعَالِكَ ؛ عَلَى أَىِّ تَمْضِيهِ ؟ وَمَاذَا تَفْعَلُ فِيهِ ؟
 فَنِي تَقْدِيمِ الْفِكْرِ عَلَى الْعَمَلِ ، إِحْتِرَازٌ مِنَ الزَّلَلِ ؛
 لِتَكُونَ عَلَى ثِقَةٍ مِنَ الصَّوَابِ ، فَإِنْ عَارَضَتْكَ
 الْأَقْدَارُ لَمْ تُتَلَمَّ . فَقَدْ قِيلَ : الْأُمُورُ إِذَا انْقَضَتْ ،
 كَالْكُورِ الْكَبِيبِ إِذَا انْقَضَتْ (١) . وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ :
 أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا

قَلِيلٌ إِذَا مَا الشَّيْءُ وَلَى فَأَذْبَرَا

إِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ عَلا ، وَوَطِّئْ كَنَفَكَ (٢)
 لِمَنْ دَنَا ، وَتَجَافَ عَنِ الْكِبَرِ تَمْلِكُ مِنَ الْقُلُوبِ
 مَوَدَّتَهَا ، وَمِنَ النَّفُوسِ مُسَاعَدَتَهَا . فَقَدْ رُوِيَ عَنِ

(١) انقضت : تساقطت (٢) الكنف : الناحية

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا وَحْدَةَ
 أُوحِشُ مِنَ الْعُجْبِ » وَقِيلَ لِحَكِيمِ الرُّومِ : مَنْ
 أَضِيقُ النَّاسَ طَرِيقًا وَأَقْلَهُمْ صَدِيقًا ؟ قَالَ : مَنْ عَاشَرَ
 النَّاسَ بِعُبُوسٍ وَجْهِهِ ، وَاسْتَطَالَ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ .
 وَلِذَلِكَ قِيلَ : التَّوَاضَعُ فِي الشَّرَفِ ، أَشْرَفُ مِنَ الشَّرَفِ .
 كُنْ شَكُورًا فِي النِّعْمَةِ ، صَبُورًا فِي الشَّدَةِ ،
 لَا تُبْطِرْكَ السَّرَّاءُ ، وَلَا تُدْهِشُكَ الضَّرَّاءُ ، لِتَتَكَافَأَ
 أَحْوَالُكَ ، وَتَعْتَدِلَ خِصَالُكَ ، فَتَسْلَمَ مِنْ طَيْشِ
 النَّظَرِ ، وَسَكْرَةِ الْبَطْرِ ، فَإِنَّهَا تَنْجَلِي عَنْ نَدَمِ
 أَوْ ضَرَرٍ . فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْعَاقِلُ
 لَا يَسْتَقْبِلُ النِّعْمَةَ بِبَطْرِ ، وَلَا يُودِّعُهَا بِجَزَعٍ :
 وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكْمِ : أُسْتَعْلَى بِشُكْرِ النِّعْمَةِ

عَنِ الْبَطْرِ^(١) بِهَا . وَقِيلَ فِي أَمْثَالِ الْهِنْدِ : الْعَاقِلُ
لَا يَبْطُرُ بِمَنْزِلَةٍ أَصَابَهَا وَلَا شَرَفٍ ، كَالْجَبَلِ الَّذِي
لَا يَتَزَلُّزَلُ وَإِنْ اشْتَدَّتِ الرِّيحُ ؛ وَالسَّخِيفُ تَبْطُرُهُ
أَذْنَى مَنْزِلَةٍ ؛ كَالْحَشِيشِ الَّذِي يُحَرِّكُهُ أَدْنَى رِيحٍ .
أَسْتَدِمُ مَوَدَّةً وَوَلِيَّكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَأَسْتَسِلُّ
سَخِيمَةَ^(٢) عَدُوِّكَ بَعْدَ الْإِحْتِرَازِ مِنْهُ ، وَدَاهِنُ^(٣)
مَنْ لَمْ يُجَاهِرْكَ بَعْدَاوَتِهِ ، وَوَيْقَاتِكَ بِمِثْلِهِ ، فَتُطْفِئُ
ثَائِرَةَ عَدَاوَتِهِ ، وَيَتَوَاطَأُ لَكَ بِمُجَامَلَتِهِ . قِيلَ لِبَعْضِ
الْحُكَمَاءِ : مَا الْحَزْمُ ؟ قَالَ : مُدَاجَاةُ^(٤) الْأَعْدَاءِ ،
وَمُؤَاخَاةُ الْأَكْفَاءِ .

(١) البطر : الطغي في النعمة والاشتر (٢) السخيمة : الضغينة

(٣) يقال داهن الرجل صاحبه : غشه وصانعه وأظهر خلاف ما أبطن

(٤) المداجاة : المداراة والمساترة

وَلَا تَعُوِّلْ عَلَى التُّهْمِ وَالظُّنُونِ ، وَأَطْرَحِ الشَّكَّ
بِالْيَقِينِ . فَقَدْ قِيلَ : لَا يُفْسِدُكَ الظَّنُّ عَلَى صَدِيقٍ
قَدْ أَصْلَحَكَ الْيَقِينُ لَهُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تَظُنُّ وَتَقْتَضِي
عَلَى الظَّنِّ أَرْدَتِكَ الظُّنُونُ الْكَوَاذِبُ
وَاخْتَبِرْ مَنْ اشْتَبَهَتْ حَالُهُ عَلَيْكَ ، لِتَعْلَمَ مُعْتَقَدَهُ
فِيكَ ، فَتَدْرِي تَصْنَعُهُ مِنْكَ ، فَإِنَّ الْأَلْسُنَ
لَا تَصْدُقُ عَنِ الْقُلُوبِ لِمَا يَتَصَنَّعُهُ الْمُدَاجِي ؛
وَيَتَكَلَّفُهُ الْمُدَاهِنُ . كَمَا قَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَثَمِ :

لِسَانِكَ لِي حُلُوٌّ وَنَفْسُكَ مَرَّةٌ
وَخَيْرُكَ كَأَمْرِ عَاةٍ فِي الْجَبَلِ الْوَعْرِ
وَشَهَادَاتُ الْقُلُوبِ أَصْدَقُ ، وَدَلَائِلُ النَّفْسِ أَوْثَقُ

وَقَدْ قِيلَ فِي مَثْوَرِ الْحُكْمِ : لِلْعَيْنِ سِرٌّ فِي عِلْمِ

مَا يُسَرُّ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ :

تَظَلُّ فِي عَيْنِهِ الْبُغْضَاءُ كَامِنَةً

فَالْقَلْبُ يَكْتُمُهَا وَالْعَيْنُ يُبْدِيهَا

وَالْعَيْنُ تَعْرِفُ فِي عَيْنِي مُحَدِّثَهَا

مَنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا

فَإِنْ وَقَفَتْ بِكَ الْحَالُ عَلَى الْإِرْتِيَابِ ، اعْتَقَدَتْ

الْمُودَّةَ فِي ظَاهِرِهِ ؛ وَأَخَذَتْ بِالْحَزْمِ فِي بَاطِنِهِ .

وَإِذَا أَقْنَعَكَ الْإِغْضَاءُ عَنِ الْإِخْتِبَارِ ؛ فَلَا تَتَخَطَّهْ ،

فَأَكْثَرُ الْأُمُورِ تَمْشِي مَعَ التَّعَافُلِ وَالْإِغْضَاءِ . وَقَدْ قَالَ

أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : مَنْ شَدَّدَ نَفْرًا ، وَمَنْ تَرَخَى تَأَلَّفًا ،

وَالشَّرْفُ فِي التَّعَافُلِ . وَلَقَلَّمَا جُوهَرَ الْمُغْضَى ، وَقُوطِعَ

الْمُتَغَافِلُ ؛ مَعَ انْعِطَافِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ ، وَمَيْلِ النُّفُوسِ
 إِلَيْهِ ، وَهَذَا مِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ وَحُسْنِ التَّوْفِيقِ .
 رَوَى مَعْمَرٌ عَنْ خَلَادِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
 خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ :
 « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَى اللَّهِ ؛ فَظَنْنَا أَنَّهُ يُسَمِّي
 رَجُلًا . فَقَالَ : أَحَبُّكُمْ إِلَى اللَّهِ أَحَبُّكُمْ إِلَى النَّاسِ .
 أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْغَضِكُمْ إِلَى اللَّهِ ؛ فَظَنْنَا أَنَّهُ يُسَمِّي رَجُلًا .
 فَقَالَ : أَبْغَضُكُمْ إِلَى اللَّهِ أَبْغَضُكُمْ إِلَى النَّاسِ » .
 شَاوَرٌ فِي أُمُورِكَ مَنْ تَثِقُ مِنْهُ بِثَلَاثِ خِصَالٍ :
 صَوَابُ الرَّأْيِ ؛ وَخُلُوصُ النِّيَّةِ ؛ وَكِتْمَانُ السِّرِّ .
 فَلَا عَارَ عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَشِيرَ مَنْ هُوَ دُونَكَ ، إِذَا
 كَانَ بِالشُّورَى خَبِيرًا . فَإِنَّ لِكُلِّ عَقْلٍ ذَخِيرَةً

مِنَ الرَّأْيِ ، وَحَظًّا مِنَ الصَّوَابِ ، قَتَزَدَادَ بَرَأْيِ
 غَيْرِكَ وَإِنْ كَانَ رَأْيُكَ جَزْءًا ، كَمَا يَزْدَادُ الْبَحْرُ بِمَوَادِّهِ
 مِنَ الْأَنْهَارِ وَإِنْ كَانَ غَزِيرًا . فَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : لَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقَ
 مِنَ الْمَشَاوَرَةِ . وَقَدْ يَفْضُلُ الْمُسْتَشِيرُ عَلَى الْمُسِيرِ ،
 وَيَظْفَرُ بِالرَّأْيِ الْمُسِيرِ ، لِأَنَّهَا ضَالَّةٌ يَظْفَرُ بِهَا مَنْ
 وَجَدَهَا مِنْ فَاضِلٍ وَمَفْضُولٍ . وَقَدْ رَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ
 عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « اسْتَرْشِدُوا
 الْعَاقِلَ تَرْشِدُوا ، وَلَا تَعْصُوهُ فَتَنْدَمُوا » . وَعَوَّلَ
 عَلَى اسْتِشَارَةِ مَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ وَخَبَرَهَا ؛ وَتَقَلَّبَ
 فِيهَا وَبَاشَرَهَا ، حَتَّى عَرَفَ مَوَارِدَهَا وَمَصَادِرَهَا ،
 فَلَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ خَيْرُهَا وَشَرُّهَا ، مَا لَمْ يُوهِنُهُ

ضَعْفُ الْهَرَمِ . كَالَّذِي حُكِيَ عَنْ أَكْثَمِ بْنِ صَيْفِيٍّ
 وَقَدْ سَأَلَهُ قَوْمُهُ بَنُو تَمِيمٍ عَمَّا دَهَمَهُمْ فِي حَرْبِ
 يَوْمِ الْكَلَابِ . وَقَالُوا : أَشْرَ عَلَيْنَا بِالرَّأْيِ ، فَإِنَّكَ
 شَيْخُنَا وَعَمِيدُنَا ، وَمَوْضِعُ الرَّأْيِ مِنَّا . فَقَالَ : إِنَّ
 وَهْنَ الْكِبَرِ قَدْ شَاعَ فِي جَمِيعِ بَدَنِي ، وَإِنَّمَا
 قَلْبِي بِضَعَّةٍ مِنِّي . وَلَيْسَ مَعِيَ مِنْ حِدَّةِ الذَّهْنِ مَا
 أَبْتَدِئُ لَهُ بِالرَّأْيِ ؛ وَلَكِنْ تَقُولُونَ وَأَسْمَعُ ؛ فَإِنِّي
 أَعْرِفُ الصَّوَابَ إِذَا مَرَّ . وَعَوَّلُ عَلَى ذَوِي الْأَسْنَانِ
 فَإِنَّ الْحِكْمَةَ مَعَهُمْ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :
 إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا الْأَحْدَاثُ دَبَّرَهَا
 دُونَ الشُّيُوخِ تَرَى فِي بَعْضِهَا خَلًّا

إِنَّ الشَّبَابَ لَهُمْ فِي الْأَمْرِ بَادِرَةٌ
 وَاللَّشْيُوخَ أَنَاةٌ تَدْفَعُ الزَّلَّالَةَ
 وَاعْدِلْ عَنِ إِشَارَةِ مَنْ قَصَدَ مُوَافَقَتَكَ مُتَابِعَةً
 لَهُوَكَ ، وَاعْتَمِدْ مُخَالَفَتَكَ انْحِرَافًا عَنكَ ، وَعَوَّلْ عَلَى
 مَنْ تَوَخَّى الْحَقَّ لَكَ وَعَدْلِيكَ . فَقَدْ قِيلَ فِي قَدِيمِ
 الْحِكْمِ : مَنِ اتَّمَسَ الرَّخْصَ مِنَ الْأَخْوَانِ فِي الرَّأْيِ ،
 وَمِنَ الْأَطِبَّاءِ فِي الْمَرَضِ ، وَمِنَ الْفُقَهَاءِ فِي الشُّبْهَةِ ،
 أَخْطَأَ الرَّأْيَ ، وَزَادَ فِي الْمَرَضِ ، وَاحْتَمَلَ الْوِزَرَ .
 وَلَا تُؤَاخِذْ مَنْ اسْتَشَرْتَ بِدَرْكِ الرَّأْيِ إِنْ زَلَّ ؛
 فَمَا عَلَيْهِ إِلَّا الْاجْتِهَادُ ، وَإِنْ حَجَزَتْهُ الْأَقْدَارُ عَنِ
 الظَّفْرِ . وَقَدْ قِيلَ فِي مَشْهُورِ الْحِكْمِ : مَنْ كَثُرَ
 صَوَابُهُ لَمْ يُطْرَحْ لِقَلِيلِ الْخَطَايَا .

اخْتَرُوا لِأَسْرَارِكُمْ مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ وَكِتْمَانِهِ ، وَتَسْلَمُ
 مِنْ إِذَاعَتِهِ وَإِدْلَالِهِ ، لَوْ قَدَرْتَ عَلَى الْأَلَّا تُوَدِّعَ
 سِرَّكَ غَيْرَكَ ، كَانَ أَوْلَىٰ بِكَ وَأَسْلَمَ لَكَ ، لِأَنَّكَ فِيهَا
 بَيْنَ خَطَرٍ أَوْ حَذَرٍ . وَقَدْ رَوَى عَطَاءٌ عَنْ عُمَرَ
 ابْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ
 بِكِتْمَانِهَا ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ » . وَقَدْ
 قِيلَ فِي مَنْشُورِ الْحَكَمِ : انْفَرِدْ بِسِرِّكَ وَلَا تُودِعْهُ
 حَازِمًا فَيَزِلَّ ، وَلَا جَاهِلًا فَيَخُونَ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ :
 مَنْ ارْتَادَ لِسِرِّهِ فَقَدْ أَدَاعَهُ .

تَثَبَّتْ فِيمَا لَا يُقَدَّرُ عَلَى اسْتِدْرَاكِهِ ، فَقَامَا تَعْقِبُ
 الْعَجَلَةَ إِلَّا نَدَمًا . رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ تَأَنَّى أَصَابَ أَوْ كَادَ ، وَمَنْ عَجَلَ أَخْطَأَ أَوْ كَادَ » . وَقِيلَ فِي حِكْمِ آلِ دَاوُدَ .
 مَنْ كَانَ ذَا ثُوْدَةٍ وَصِفَ بِالْحِكْمَةِ . وَقِيلَ فِي
 مَشْهُورِ الْحِكْمِ : أَنَاةٌ فِي عَوَاقِبِهَا دَرْكٌ ؛ خَيْرٌ مِنْ
 عَجَلَةٍ فِي عَوَاقِبِهَا فَوْتٌ .

وَقَدَّمَ مَا قَدَّرْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ ؛ فَقَلَّمَا يُعْقَبُ
 الذَّنْبُ إِلَّا نَدَمًا ، فَإِنَّ لِلْقُدْرَةِ غَايَةَ وَلِلْفُؤْذِ الْأَمْرِ
 نِهَايَةَ ، فَاعْتَنِمَهَا فِي مُكْتَنِكَ ، تَسْعُدْ بِمَا قَدَّمْتَهُ ،
 وَيَسْعُدْ بِكَ مَنْ أَعْنَتَهُ . فَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لِكُلِّ سَاعٍ غَايَةٌ ، وَغَايَةُ كُلِّ
 سَاعٍ الْمَوْتُ » . وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ : انْتَهَرُوا هَذِهِ الْفُرْصَ ، فَإِنَّهَا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ أَخَّرَ الْفُرْصَةَ عَنْ وَقْتِهَا ،
فَلْيَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ فَوْتِهَا . وَلِذَلِكَ قِيلَ : خَيْرُ الْخَيْرِ
أَوْحَاهُ^(١) . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَعَاجَزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعُهُ لِفُرْصَتِهِ

حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرُهُ عَاتَبَ الْقَدْرَا

وَقِيلَ فِي حِكْمِ الْفُرْسِ : لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ إِلَّا مَعَ
الْفِعْلِ ، كَمَا لَا خَيْرَ فِي الْمَنْظَرِ إِلَّا مَعَ الْمَخْبِرِ . وَقِيلَ
فِي أَمْثَالِ الْهِنْدِ : لَا يَتِمُّ حُسْنُ الْقَوْلِ إِلَّا بِحُسْنِ الْعَمَلِ ،
كَالْمَرِيضِ الَّذِي لَا يَبْرَأُ بِمَعْرِفَةِ الدَّوَاءِ حَتَّى يَتَدَاوَى .

أَحْذَرُ قُبُولَ الْمَدْحِ مِنَ الْمُتَمَلِّقِينَ^(٢) ؛ فَإِنَّ

النَّفَاقَ^(٣) مَرْكُوزٌ فِي طِبَاعِهِمْ ؛ وَيُدَاجُونَكَ بِهَيِّنٍ

(١) أوحاه : أسرعه وأعجله (٢) الملق : التلطف والمداراة (٣) النفاق :

إظهار الإيمان واطنان أى إخفاء الكفر . والمراد اظهار غير الحقيقة .

عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ نَفَقُوا عَلَيْكَ غَشَشْتَ نَفْسَكَ ؛
 وَدَاهَنْتَ حِسَّكَ ، وَصَحَّ فِيكَ مَا قِيلَ فِي مَثُورِ
 الْحَكَمِ : سُوقُ النِّفَاقِ دَائِمَةٌ النِّفَاقِ^(١) . وَقَالَ
 عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِرَوْحِ بْنِ زُبَيْعٍ :
 لَا تَغْتَابَنَّ عِنْدِي أَحَدًا ، فَإِنِّي لَا أَأْتَمِنُكَ عَلَى غَيْبِي ،
 وَلَا تُفْشِ لِي سِرًّا ، فَإِنِّي لَا أَتَقُ بِكَ فِي مَجْلِسِي ،
 وَلَا تُطْرِبْنِي^(٢) فِي وَجْهِ ، فَإِنِّي إِنْ قَبَلْتُهُ مِنْكَ
 غَبَنْتُ عَقْلِي ، وَإِنْ رَدَدْتُهُ عَلَيْكَ أَسَأْتُ عِشْرَتِي ،
 وَأَنْتَ أَعْرَفُ بِنَفْسِكَ مِنْ غَيْرِكَ فِيمَا تَسْتَحِقُّ بِهِ
 حَمْدًا أَوْ ذَمًّا ، فَفَاتِحُ نَفْسِكَ بِمَا فِيهَا ، فَإِنَّكَ أَعْلَمُ
 بِمَحَاسِنِهَا وَمَسَاوِيهَا . وَقَدْ قِيلَ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) النفاق : الرواج . يقال نفقت السوق : اذا قامت وراجت

(٢) تطربنى : لا تبالغ في مدحى

مِنَ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ : عَجِبْتُ لِمَنْ قِيلَ فِيهِ الْخَيْرُ
 وَلَيْسَ فِيهِ ، كَيْفَ يَفْرَحُ ؟ وَعَجِبْتُ لِمَنْ قِيلَ فِيهِ
 الشَّرُّ وَهُوَ فِيهِ ، كَيْفَ يَغْضَبُ ؟ وَقَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ : مَنْ مَدَحَكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ ، فَحَقِيقٌ^(١)
 أَنْ يَذُمَّكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ :
 مَنْ أَظْهَرَ شُكْرَكَ فِيمَا لَمْ تَأْتِ إِلَيْهِ .
 فَاحْذَرُهُ أَنْ يَكْفُرَ نِعْمَتَكَ فِيمَا أُسَدَيْتَ إِلَيْهِ ،
 فَفَوْضُ مَدْحِكَ إِلَى أَفْعَالِكَ ، فَإِنَّهَا تَمْدُحُكَ بِصِدْقٍ
 إِنْ أَحْسَنْتَ ، وَتَذُمَّكَ بِحَقِّ إِنْ أَسَأْتَ ، وَلَا تَغْتَرَّ
 بِمُخَادَعَةٍ^(٢) اللِّسَانِ الْكَذُوبِ . فَقَدْ قِيلَ : أَبْصُرْ

(١) حقيق : جدير (٢) المخادعة : مصدر من خادع خدع فلان

فلانا : اذا خناه وأراد به المكروه من حيث لا يعلم

النَّاسِ مِنْ أَحَاطَ بِدُنُوبِهِ ، وَوَقَفَ عَلَى عُيُوبِهِ . وَقَدْ
 قِيلَ فِي بَعْضِ الصُّحُفِ الْأُولَى : ثَمَارُ الْحُكَمَاءِ
 لِأَنْفُسِهِمْ . كَتَبَ حَكِيمُ الرُّومِ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِ :
 لَا تَرْغَبْ فِي الْكِرَامَةِ الَّتِي تَنَالُهَا مِنَ النَّاسِ كُرْهًا ؛
 وَلَكِنْ فِي الَّتِي تَسْتَحِقُّهَا بِحُسْنِ الْأَثْرِ وَصَوَابِ التَّدْبِيرِ .
 اعْتَمِدْ بِنَظَرِكَ أَحْمَادَ سُلْطَانِكَ ، وَشُكْرَ رَعِيَّتِكَ ،
 تَكُنْ أَيَّامَكَ سَعِيدَةً ؛ وَأَفْعَالُكَ مَحْمُودَةً ؛ وَالنَّاسُ
 بِكَ مَسْرُورِينَ ، وَلَكَ أَعْوَانًا مُسَاعِدِينَ ، وَيَبْقَى
 بَعْدَكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلُ ذِكْرِكَ ، وَفِي الْآخِرَةِ جَزِيلُ
 أَجْرِكَ ؛ وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ ضِدِّهَا ؛ فَيَعْدِلَ بِكَ إِلَى
 صِدِّهَا . فَإِنَّ الْوَلَايَاتِ كَالْمِحْكِ^(١) تُظْهِرُ جَوَاهِرَ

(١) المحك حجر يحك به الذهب

أَرْبَابَهَا . فَمِنْهُمْ نَازِلٌ مَرْدُولٌ^(١) ، وَصَاعِدٌ مَقْبُولٌ . رَوَى
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ : « أَحْسِنُوا جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَقَلَّمَا
زَالَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ » . وَكَذَلِكَ قِيلَ :
رُبَّمَا شَرِقَ^(٢) شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيهِ . وَتَعَرَّضَ رَجُلٌ
لِيَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ وَهُوَ عَلَى الْجِسْرِ بِكِتَابٍ
وَسَأَلَهُ أَنْ يَخْتِمَهُ . فَقَالَ : يَا غُلَامُ اخْتِمْ كِتَابَهُ
مَا دَامَ الطِّينُ^(٣) رَطْبًا . ثُمَّ أَنْشَدَ :

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُكَ فَاعْتَمِمْهَا
فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ^(٤) سَكُونٌ

- (١) مردول : اسم مفعول من رذل أو رذل : صار خسيساً رديئاً
(٢) شرق بالماء : غص به (٣) المراد بالطين ما يستعمل بدل الشمع
(٤) خافقة : اسم فاعل من خفق . يقال خفقت الريح اذا صوتت بهبوبها

وَلَا تَغْفُلْ عَنِ الْإِحْسَانِ^(١) فِيهَا
 فَمَا تَدْرِي السُّكُونُ مَتَى يَكُونُ
 إِذَا نِلْتَ مِنْ سُلْطَانِكَ حَظًّا ؛ وَأَوْجِبْتَ عَلَيْهِ
 مِنْ خِدْمَتِكَ حَقًّا ، فَلَا تَسْتَوْفِهِ . وَدَعْ لِنَفْسِكَ
 بَقِيَّةً يَذْخُرُهَا لَكَ ، فَيَرَاهَا حَقًّا مِنْ حُقُوقِكَ ؛ لِيَكُنْ
 كَفِيلَ أَدَائِهَا إِلَيْكَ ، فَإِنْ اسْتَوْفَيْتَهَا صِرْتَ إِلَى
 غَايَةِ لَيْسَ بَعْدَهَا إِلَّا النُّقْصَانُ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :
 إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَأَ نَقْصُهُ تَوَقَّعَ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ
 وَاعْلَمْ أَنَّكَ مَرَّصِدٌ لِجَوَائِجِ النَّاسِ ، لِأَنَّ بِيَدِكَ
 أَزِمَّةَ^(٢) الْأُمُورِ ، وَإِلَيْكَ غَايَةُ الطَّلَبِ ؛ فَكُنْ عَلَيْهَا

(١) الاحسان : صنع المعروف (٢) أزمة الامور : جمع زمام .
 وهو ما يزم به ويقال فلان يده أزمة الامور أى مقاليدها وجعل له الرأى
 الاعلى فيها . يتصرف فيها كما يشاء

صَبُورًا، تَكُنْ بِقَضَائِهَا شُكُورًا، وَلَا يُضْجِرُكَ طَالِبُهَا
 وَقَدْ أَمَّاكَ^(١)، وَلَا تَنْفِرْ عَلَيْهِ إِنْ رَاجَعَكَ، فَمَا يَحِدُ
 النَّاسُ مِنْ سُؤَالٍ بُدَأَ . وَلَخَيْرٌ دَهْرُكَ أَنْ تُرَى
 مَرْجُوعًا^(٢)، وَأَنْشِدْتُ لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ دُرَيْدٍ رَحِمَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى :

لَا تُدْخِلَنَّكَ ضَجْرَةٌ مِنْ سَائِلٍ
 فَلَخَيْرٌ دَهْرُكَ أَنْ تُرَى مَسْئُولًا
 لَا تَجْبِهَنَّ بِالرَّدِّ وَجْهَ مُؤَمِّلٍ
 فَبَقَاةُ عِزِّكَ أَنْ تُرَى مَأْمُوعًا
 وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ صَائِرٌ
 خَبْرًا فَكُنْ خَبْرًا يُرَى وَحَمِيلًا

(١) أمَّاك : جعلك ملكا عليه (٢) مرجو : مؤمل .

وَ قِيلَ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى : الْقَلْبُ الضَّيِّقُ ، لَا تَحْسُنُ
 بِهِ الرِّيَاسَةَ ؛ وَالرَّجُلُ اللَّيِّمُ ، لَا يَحْسُنُ بِهِ الْغِنَى ؛
 وَلَئِنْ كَانَتْ الْحَوَائِجُ كَالْمَغَارِمِ لِمَنْ اسْتَثْقَلَهَا ، فَهِيَ
 مَغَانِمٌ لِمَنْ وَفَّقَ لَهَا ، وَلَيْسَ بَغْرَمٌ ^(١) مَا عَادَ بِنِعْمٍ ^(٢) ،
 وَلَا بِضَائِعٍ مَا اصْطُنِعَ فِي مَعْرُوفٍ . وَقَدْ رَوَى
 عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَا عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى
 عَبْدٍ إِلَّا عَظُمَتْ مُؤْنَةٌ ^(٣) النَّاسِ عَلَيْهِ ، فَمَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ
 مُؤْنَةَ النَّاسِ ، عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ . وَإِذَا
 جَعَلَتْ الْوَزَارَةُ غَايَاتِ الْأُمُورِ إِلَيْكَ مُنْتَهِيَةً ؛

(١) الغرم : ما ينوب الانسان في ماله من ضرر بغير جناية منه

(٢) الغنم : ما ناله المرء كسبا

(٣) المؤنة : العدة للامر . والمراد أنه احتمل مؤنتهم . وعالمهم .

وَحَوَائِجِ النَّاسِ عَلَيْكَ وَاقِعَةً ، وَالْقُدْرَةَ لَكَ مُسَاعِدَةً
 لِأَنْبَسَاطِ يَدِكَ . وَنُفُوزِ أَمْرِكَ ، صِرْتِ بِالتَّوَقُّفِ
 وَالْإِعْرَاضِ مُخَلًّا بِمُحَقِّقِ نَظَرِكَ ، وَاسِعًا عَلَى فَوْتِ
 فِطْنَتِكَ^(١) . وَقَدْ قَالَ بِهِرَامُ جَوْرُ فِي عَهْدِهِ إِلَى مُلُوكِ
 فَارِسَ : إِنَّكُمْ بِمَكَانٍ لَا مَصْرِفَ لِلنَّاسِ عَنْ حَوَائِجِهِمْ
 إِلَيْكُمْ ، فَلْتَتَسَّعِ صُدُورُكُمْ كَاتِّسَاعِ سُلْطَانِكُمْ .
 فَإِنَّ ذُخْرَكَ^(٢) بِاصْطِنَاعِهِ أَبْقَى ، وَدَفْعَكَ بِهِ عَنْ
 نِعْمَتِكَ أَوْقَى . وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ :

إِذَا جَدَّدَ اللَّهُ لِي نِعْمَةً

شَكَرْتُ وَلَمْ يَرِنِي جَاحِدًا

(١) الفطنة : الذكاء وسرعة الفهم . (٢) الذخر : ما ادخر من

وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ بِالْعَائِدِ

تِ عَلَى مَنْ يَجُودُ بِهَا عَائِدًا

أَيًّا جَامِعَ الْمَالِ وَفَرَّتَهُ

لِغَيْرِكَ إِذْ لَمْ تَكُنْ خَالِدًا

فَإِنْ قُلْتَ أَجْمَعُهُ لِلْبَيْنِ

بَيْنَ فَقَدَ أَفْقَرَ الْوَالِدِ الْوَالِدَا

وَإِنْ قُلْتَ أَخْشَى صُرُوفَ (١) الزَّمَا

نِ فَكُنْ مِنْ تَصَارِيْفِهِ وَاجِدًا

فَاجْعَلْ يَوْمَكَ أَسْعَدَ مِنْ أَمْسِكَ ، وَصَلِّحَ النَّاسِ

عِنْدَكَ بِصَلِّحِ نَفْسِكَ ، وَمِلْ إِلَى اجْتِدَابِ الْقُلُوبِ

بِالِاسْتِعْطَافِ ، وَإِلَى اسْتِمَالَةِ النُّفُوسِ بِالِانِّصَافِ ،

(١) صروف الزمان : تقلباته ونوائبه

تَجِدُهُمْ كُنُوزًا^(١) فِي شَدَائِدِكَ^(٢) ، وَحِرْزًا فِي نَوَائِبِكَ .
 وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ زَرَعَ خَيْرًا حَصَدَ أَجْرًا ،
 وَمَنْ اصْطَنَعَ حُرًّا اسْتَفَادَ شُكْرًا . وَقِيلَ فِي مَثُورِ
 الْحِكْمِ : خَيْرُ زَادِ الْقُدْرَةِ ، أُعْتِقَادِ الْمِنَنِ . قَالَ الشَّاعِرُ :
 حَصَادُكَ يَوْمًا مَا زَرَعْتَ وَإِنَّمَا

يَدَانِ امْرُؤٍ يَوْمًا بِمَا هُوَ دَائِنٌ

أَحْذَرُ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَتَوَقَّهَا ، وَرِقَّ لَهَا إِنْ
 وَاجَهَكَ بِهَا ، وَلَا تَبْعَثْكَ الْعِزَّةُ^(٣) عَلَى الْبَطْشِ ، فَتَزْدَادَ
 يَبْطُشُكَ^(٤) ظُلْمًا ، وَبِعِزَّتِكَ بَغِيًّا ، وَحَسَبُكَ بِمَنْصُورِهِ

(١) الكنز : المال المدفون تحت الأرض ويراد التمثيل . (٢) في

شدائدك : ما نالك من مكاره الدهر (٣) العزة : القوة والغلبة

(٤) البطش : العنف والاختد بشدة وسطو عليه .

عَلَيْكَ . وَرَوَى جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ
 رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَنَّهُ قَالَ : « اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ اللَّهُ حَقَّهُ ،
 وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمْنَعُ ذَا حَقٍّ حَقَّهُ » .

كُنْ لِلشَّهَوَاتِ عَزُوفًا^(١) تَنْفَكَ مِنْ أَسْرِهَا ،
 فَإِنَّ مَنْ قَهَرَتْهُ الشَّهْوَةُ كَانَ عَبْدًا لَهَا ، وَمَنْ
 اسْتَعْبَدَتْهُ الشَّهْوَةُ ذَلَّ بِهَا . رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « مَنْ اشْتَقَ إِلَى الْجَنَّةِ
 سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ ؛ وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ لَهَا
 عَنِ الشَّهَوَاتِ » وَقِيلَ لِبَعْضِ حُكَمَاءِ الرُّومِ :
 مَا الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ . قَالَ أَنْ يَغْلِبَ الْإِنْسَانَ شَهْوَتُهُ .

(١) العزوف : المنصرف عن الشيء وهو من باب عزف يعزف عزفا

وعزوفاً فهو عزوف عيوف

وَقِيلَ لَهُ : مَا الْفَرْقُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَلِكِ . قَالَ :
الْمَلِكُ عَبْدُ الشَّهَوَاتِ ، وَأَنَا مَوْلَاهَا .

فَكُنْ بِالزَّمَانِ خَيْرًا تَسْلَمُ مِنْ عَثْرَتِهِ ؛ فَإِنَّ
الِإِغْتِرَارَ بِهِ مُرْدٍ ، وَقَدَّمَ لِمَعَادِكَ ، لِيَبْقَى عَلَيْكَ
مَا ادَّخَرْتَهُ ؛ فَلَنْ تَجِدَ إِلَّا مَا قَدَّمْتَ ، وَإِنَّكَ
لَتُجَازَى بِمَا صَنَعْتَ ، وَاسْتَقِلَّ الدُّنْيَا تَجِدْ فِي نَفْسِكَ
عِزًّا ، فَتَرْضَى إِذَا سَخِطْتَ ، وَتُسَرَّ إِذَا حَزِنْتَ ،
فَلَنْ يَذِلَّ إِلَّا طَالِبُهَا ، وَأَنْ يَحْزَنَ إِلَّا صَاحِبُهَا .
وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
« أَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ أَكَبَّ عَلَى الدُّنْيَا بِفَقْرٍ لَا غِنَى
فِيهِ ، وَشُغْلٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ » . وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ
أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : احْذَرُوا الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا

غَدَارَةٌ مَكَارَةٌ خَتَّارَةٌ^(١) خَسَارَةٌ، تَسْتَنْكِحُ فِي كُلِّ
يَوْمٍ بَعْلًا، وَتَسْتَقْبِلُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَهْلًا، وَتُفَرِّقُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ شَمْلًا. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لِيَكُنْ
طَلَبُكَ لِلدُّنْيَا اضْطِرَارًا، وَفِكْرُكَ فِيهَا اعْتِبَارًا.
وَسَعْيُكَ لِمَعَادِكَ ابْتِدَارًا. وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ: طَالِبُ
الدُّنْيَا عَلِيلٌ، لَيْسَ يُرَوَى لَهُ غَلِيلٌ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

فَلَا جَزَعُ إِنْ رَابَ دَهْرُهُ بِصَرْفِهِ

وَبَدَّلَ حَالًا وَأَخْطُوبُ كَذَلِكَ

فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مُدَّةٌ سَوْفَ تَنْقُضِي

وَمَا الْمَالُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ

إِجْعَلْ صَلاَحَ عَمَلِكَ ذُخْرًا لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ، وَجَمِيلَ

(١) الختر: المكر والغدر وعليه فخرارة وخسارة الفاظ مترادفة

سِيرَتِكَ أَثْرًا مَشْكُورًا فِي النَّاسِ بَعْدَكَ ، لِتَقْتَدِيَ
بِكَ الْأَخْيَارُ ، وَنَزْدَجِرَ بِكَ الْأَشْرَارُ : تَكُنْ بِالثَّوَابِ
حَقِيقًا ؛ وَبِالْحَمْدِ جَدِيرًا . فَقَدْ قِيلَ : الْإِغْتِرَارُ
بِالْأَعْمَارِ ، مِنْ شَيْمِ الْأَعْمَارِ ^(١) ، فَلَنْ يَبْقَى بَعْدَكَ
إِلَّا ذِكْرُكَ فِي الدُّنْيَا ، وَثَوَابُكَ فِي الْآخِرَةِ ، فَاطْفِرَ
بِهِمَا ، وَاعْتَنِمَ بَقِيَّةَ عُمُرِكَ لهُمَا ، تَكُنْ سَعِيدًا فِيهِمَا ،
فَإِنَّ الدُّنْيَا كَأَحْلَامٍ نَائِمٍ ، يَسْتَحْلِيهَا فِي غَفْوَتِهِ ^(٢) ،
وَيَلْفِظُهَا بَعْدَ يَقْظَتِهِ . وَقَدْ قِيلَ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى :
أَحْرَصْ عَلَى الْأِسْمِ الصَّالِحِ ، فَإِنَّهُ لَا يَصْحَبُكَ غَيْرُهُ .
وَقَالَ الْجَاهِظُ : وُلِّتُ خِزَانَةَ كُتُبِ الرَّشِيدِ

(١) الأعمار : جمع عُمر وِعمر وِعمر : وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب

الأمور (٢) الغفوة والغفوة : النومة الخفيفة

وَتَصَفَّحْتُ كُتُبَهُ ، فَلَمْ أَجِدْ كَلِمَةً إِلَّا وَجَدْتُ لَهَا
 نَقِيضَةً ، إِلَّا كَلِمَاتٍ جَاءَتْ عَنْ فَيْلَسُوفِ الْعَرَبِ
 عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : قِيَمَةُ كُلِّ
 امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ ، وَمَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ ، وَلَنْ
 يَهْلِكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ ، وَكُلُّ مَا يُتَّصَرَفُ فِي الْأَوْهَامِ
 فَاللَّهُ بِخِلَافِهِ ، وَبِقِيَّةِ عُمَرِ الرَّجُلِ ، لَا ثَمَنَ لَهَا وَلَا
 قِيَمَةَ ، لِأَنَّهُ يُدْرِكُ بِهَا مَا فَاتَهُ ، وَيُحْيِي فِيهَا
 مَا أَمَاتَهُ .

فَاغْتَنِمْ أَيُّهَا الْوَزِيرُ بَقِيَّةَ أَيَّامِكَ ، بِأَجْمَلِ أَعْمَالِكَ ،
 وَاسْتَدْرِكْ فِيهَا مَا تَقَدَّمَ مِنْ سُوءِ آثَارِكَ ، وَكَفِّرْ
 بِهَا مَا أَسْلَفْتَ مِنْ فُجُورِكَ وَاعْتِرَارِكَ ؛ فَخَوَاتِيمُ
 الْأُمُورِ تُعْنَى مَا سَبَقَ ، حَتَّى تَتَنَاسَاهُ النُّفُوسُ ؛ وَتَتَغَاضَى

عَنْهُ الْعُيُونُ ، لِأَنَّهَا تَوَسَّلُ بِالْأَذُنِّ ، وَإِنْ جَلَّ
 مَا يَمْضِي ، وَإِذَا مَدَّتْكَ الْأَقْدَارُ بِالتَّوْفِيقِ ، وَغَالَبَكَ
 الْعَقْلُ بِالتَّلَافِي ، عَدَلْتَ وَاعْتَدَلْتَ . فَفَزْتَ فِي
 آخِرَتِكَ ، وَسَعِدْتَ فِي آجَلَتِكَ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا اسْتَوَدَعَ اللَّهُ أَحَدًا عَقْلًا
 إِلَّا اسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْمًا . فَإِذَا عَقَلَكَ عَقْلَكَ عَنِ
 الْبَاطِلِ فَأَنْتَ عَاقِلٌ » .

وَسَأَخِمْ تَحْذِيرَكَ وَإِنْدَارَكَ ؛ وَأَتَّبِعُ تَبْصِيرَكَ
 وَأَفْكَارَكَ ، بِمَا أَنْذَرَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 فَهُوَ أَوْعَظُ نَذِيرٍ ؛ وَأَبْلَغُ تَخْوِيفٍ وَتَحْذِيرٍ . رَوَى
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ عُمَيْرِ اللَّيْثِيِّ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانَ
 قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . « إِنَّ مِنْ

أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ أَمَاتُوا الصَّلَاةَ ،
 وَأَضَاعُوا الْأَمَانَةَ ، وَأَحْلَوْا الرَّبَّاءَ ، وَاسْتَخَفُّوا بِالِدِمَاءِ ؛
 وَبَاعُوا الدِّينَ بِالْدُنْيَا ، وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ ؛ وَعُطِّلَتِ
 الْحُدُودُ ؛ وَاتَّخَذُوا الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ ، وَاتَّخَذَتِ الْأَمَانَةُ
 مَغْنَمًا ؛ وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا ، وَكَانَ الْحِلْمُ ضِعْفًا^(١) ، وَالْوَالِدُ
 غَيْظًا ، وَغَاضَ الْكِرَامُ غَيْضًا ، وَفَاضَ اللَّثَامُ فَيْضًا ؛
 وَكَانَ الْأَمْرَاءُ فَجْرَةً ، وَالْوُزَرَاءُ كَذِبَةً ، وَالْأَمْنَاءُ خَوْنَةً ،
 وَالْقُرَّاءُ فَسَقَةً ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ ، وَتَشَبَّهَ
 الرَّجَالُ بِالنِّسَاءِ ، وَالنِّسَاءُ بِالرِّجَالِ ، وَكَذَبَ الصَّادِقُ ،
 وَصَدَقَ الْكَاذِبُ ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا .
 فَلْيَتَوَقَّعُوا نَزُولَ الْبَلَاءِ بِهِمْ .

(١) الضغث مصدر من ضغث الحديث خلطه

وَقَدْ أَوْجَزْتُ لَكَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ مَا إِنْ كَانَ عَمَلِكَ بِهِ
 مُحِيطًا ذَكَرَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ غَافِلًا عَنْهُ أَنْذَرَكَ ، وَإِنْ
 يَمُدُّكَ بِتَوْفِيقِهِ ، وَيُعِينِكَ عَلَى طَاعَتِهِ بِجُودِهِ آمِينَ .
 تَمَّ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ ،
 وَلَا حَوْلَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

الآن وَقَدْ طَالَعْنَاكَ بِمَا يَرَاهُ زَعِيمٌ مِنْ زُعَمَاءِ الرَّأْيِ
 عَمَّا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْوَزِيرُ ، لِتُقَارِنَهُ وَأَنْتَ
 ابْنُ الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ بِمَا تَشَاهِدُ وَتَرَى ، نَنْتَقِلُ بِكَ إِلَى
 مَقَالَةِ شَهَابِ الدِّينِ الْحَلَبِيِّ فِي هَذَا الصِّدَدِ بِمَا مُلَخَّصُهُ :

« وَمِمَّا يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَتَرَشَّحَ بِهِ لِلْكِتَابَةِ

قِرَاءَةُ مَا يَتَّفِقُ مِنْ كُتُبِ النَّحْوِ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا

الْمُقْصُودُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَحِيثٌ يَجْمَعُ بَيْنَ طَرَفِي
 الْكِتَابِ الَّذِي يَقْرَأُهُ وَيَسْتَكْمِلُ اسْتِشْرَاحَهُ ،
 وَيُكَبِّهُ عَلَى الْأِعْرَابِ وَيُلَازِمُهُ ، وَيَجْعَلُهُ دَابَّةً
 لِيَرْتَسِمَ فِي فِكْرِهِ ، وَيَدُورَ عَلَى لِسَانِهِ ، وَيَنْطَلِقَ بِهِ
 عِقَالُ قَلَمِهِ وَكَلِمَةُ ، وَيَزُولَ بِهِ الْوَهْمُ عَنْ سَجِيَّتِهِ ،
 وَيَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ عِبَارَتِهِ . فَإِنَّهُ لَوْ أَتَى مِنْ
 الْبَلَاغَةِ بِأَتَمِّ مَا يَكُونُ وَحَنٍّ ، ذَهَبَتْ مَحَاسِنُ مَا أَتَى بِهِ ،
 وَأَنْهَدَتْ طَبَقَةَ كَلَامِهِ ، وَأَلْقَى جَمِيعُ مَا يُحْسِنُهُ ،
 وَوَقَفَ بِهِ عِنْدَ مَا جِهَلُهُ . وَيَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ قِرَاءَةً
 مَا يُتَهَيَّأُ مِنْ مُخْتَصَرَاتِ كُتُبِ اللُّغَةِ كَالْفَصِيحِ

كتب
 اللغة

لِشَعْلَبَ ، وَكَفَايَةِ الْمُتَحَفِّظِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ
 الْأَلْفَاظِ ، لِيَتَّسِعَ عَلَيْهِ نِطَاقُ النُّطْقِ ، وَيَنْفَسِحَ لَهُ مَجَالُ

الْعِبَارَةِ ، وَيُنْفَتِحَ لَهُ بَابُ الْأَوْصَافِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَى
وَصْفِهِ مِنْ خَيْلٍ أَوْ سِلَاحٍ ، أَوْ حَرْبٍ أَوْ سَيْرٍ ، أَوْ قِتَالٍ
أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى وَصْفِهِ ، وَيُضْطَرُّ إِلَى نَعْتِهِ .

خطب
البلغاء

وَيَتَّصِلُ بِذَلِكَ حِفْظُ خُطْبِ الْبُلْغَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ
وغيرهم ، وَمُخَاطَبَاتِهِمْ وَمُحَاوَرَاتِهِمْ وَمُرَاجَعَاتِهِمْ ، وَمَا
ادَّعَاهُ كُلُّ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ أَوْ لِقَوْمِهِ ، وَمَا نَقَضَهُ عَلَيْهِ

خَصْمُهُ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْوَقَائِعِ بِنظائرها ،
وَتَلَقَّى الْحَوَادِثِ بِمَا شَاكَلَهَا ، وَالِاقْتِدَاءِ بِطَرِيقَةٍ مَنْ

فَلَجَّ عَلَى خَصْمِهِ ، وَاقْتِفَاءِ آثَارِ مَنْ اضْطُرَّ إِلَى عُدْرِ ،

أَوْ إِبْطَالِ دَعْوَى ، أَوْ إِثْبَاتِهَا فَلَحْنِ بِحُجَّتِهِ ، وَتَخَلُّصِ

بِلُطْفٍ مَأْخُذِهِ ، وَدِقَّةِ مَسْلِكِهِ ، وَحُسْنِ عِبَارَتِهِ . . .

فَانظُرْ فِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ ، وَالْحِفْظُ مِنْهُ ، وَالْإِكْتِثَارُ

مِنْ مُطَالَعَتِهِ ، مِمَّا يَشْحَذُ الْقَرَائِحَ ، وَيَفْتَقُ الْأَذْهَانَ
وَيَرْتَسِمُ فِي الْخَوَاصِرِ ، وَيَكْمُنُ فِي الْأَفْكَارِ ، حَتَّى
يَفِيضَ مَا غَاضَ مِنْهُ عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ ، وَيَبْدُو مِنْهُ
لِكُلِّ وَاقِعَةٍ مَنَوَالٌ يُنْسَجُ عَلَيْهِ ، وَمِثَالٌ يُنْظَرُ فِي
نَظَائِرِ الْأُمُورِ إِلَيْهِ .

أيام
العرب

سُمِّيَ النَّظْرُ فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَوَقَائِعِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ ،
وَتَسْمِيَةِ الْأَيَّامِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ ، وَمَعْرِفَةِ يَوْمِ كُلِّ قَبِيلَةٍ
عَلَى الْأُخْرَى ، وَمَا جَرَى بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَشْعَارِ
وَالْمُنَاقَضَاتِ . لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا يُسْتَشْهَدُ
بِهِ مِنْ وَاقِعَةٍ قَدِيمَةٍ ، أَوْ يَرِدُ عَلَيْهِ فِي مَكَاتِبَةٍ
مِنْ ذِكْرِ أَيَّامٍ مَشْهُورَةٍ ، أَوْ ذِكْرِ فَارِسٍ مُعَيَّنٍ ...
وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي نَظَائِرِهِ كَثِيرَةٌ ، فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ ،

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَارِفًا بِكُلِّ
يَوْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، عَالِمًا بِمَا جَرَى فِيهَا ، لَمْ يَدْرِ
كَيْفَ يُجِيبُ عَمَّا يَرِدُ إِلَيْهِ مِنْ مِثْلِهَا ، وَلَا مَا
يَقُولُ إِذَا سُئِلَ عَنْهَا ، وَحَسْبُهُ ذَلِكَ تَقْصَا فِي صِنَاعَتِهِ ،
وَقُصُورًا عَمَّا يَتَحَمُّ عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ ، وَحُسْنِ الْجَوَابِ
فِيهِ عِنْدَ السُّوَالِ عَنْهُ .

ثُمَّ النَّظَرُ فِي التَّوَارِيخِ وَمَعْرِفَةُ أَخْبَارِ الدُّوَلِ
مِنَ الْإِطْلَاعِ عَلَى سَيْرِ الْمُلُوكِ وَسِيَاسَاتِهِمْ ، وَذِكْرُ
وَقَائِعِهِمْ وَمَكَائِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ ، وَمَا اتَّفَقَ لَهُمْ مِنْ
التَّجَارِبِ الَّتِي بَلَغُوا بِهَا أَقْصَى الْمَآرِبِ ، وَغَدَتَ لِمَنْ
بَعْدَهُمْ كَالْمِرَاةِ الَّتِي تُصَوِّرُ لَهُمْ وَجُودَ التَّدْيِيرِ ، وَتُرِيهِمْ
مَا اسْتَتَرَ عَنْهُمْ مِنْ صَغِيرِ أحوَالِهِمْ وَالْكَبِيرِ .

النظر
في
التواريخ

فَإِنَّهُ قَدْ يُضْطَرُّ إِلَى السُّؤَالِ عَنِ أَحْوَالِ مَنْ سَلَفَ
 مِنْ أَوَّلِ الْعَصْرِ وَإِلَى الْآنِ ، وَيُسْتَحْبَبُ كَيْفَ كَانَ
 الْأَمْرُ بَيْنَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو ، وَكَيْفَ انْتَصَرَ فُلَانٌ عَلَى
 فُلَانٍ ، أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ فِي كِتَابٍ ذَكَرُ وَاقَعَةَ بَعَيْنَهَا ،
 أَوْ يُحْتَجُّ عَلَيْهِ بِصُورَةٍ قَدِيمَةٍ ، فَلَا يَعْرِفُ حَقِيقَتَهَا
 مِنْ مَجَازِهَا ، وَلَا صِدْقَهَا مِنْ مِثْلِهَا .

ثُمَّ حَفِظَ أَشْعَارَ الْعَرَبِ وَمُطَالَعَةَ شُرُوحِهَا
 وَاسْتِكْشَافَ غَوَامِضِهَا ، وَالتَّوَفَّرُ عَلَى مَا اخْتَارَهُ
 الْعُلَمَاءُ مِنْهَا : كَالْحِمَاسَةِ وَالْمُفْضَلِيَّاتِ وَالْأَصْمَعِيَّاتِ ،
 وَدِيْوَانَ الْهُذَلِيِّينَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . لِمَا فِي ذَلِكَ
 مِنْ غَزَارَةِ الْمَوَادِّ وَصِحَّةِ الْإِسْتِشْهَادِ ، وَكَثْرَةِ النَّقْلِ ،
 وَصَقْلِ مِرَاةِ الْعَقْلِ ، وَانْتِزَاعِ الْأَمْثَالِ ، وَالْأَخْذِ

حفظ
 أشعار
 العرب

فِي اخْتِرَاعِ الْمَعَانِي عَلَى أَصَحِّ مِثَالٍ ، وَالِاطِّلَاعِ عَلَى
 أُصُولِ اللُّغَةِ . وَشَوَاهِدِهَا ، وَالِاضْطِّلَاعِ مِنْ نَوَادِرِ
 الْعَرَبِيَّةِ وَشَوَارِدِهَا . وَقَدْ كَانَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ يَعْتَنُونَ
 بِذَلِكَ غَايَةَ الْإِعْتِنَاءِ ، فَذَكَرَ أَنَّ عُمَرَ كَانَ يُقَدِّمُ
 زُهَيْرَ بْنَ أَبِي سَلَمَى فِي الشُّعْرِ . فَقِيلَ لَهُ : بِمِ
 اسْتَحَقَّ ذَلِكَ عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ : كَانَ لَا يُعَاطِلُ بَيْنَ الْقَوْلِ ،
 وَلَا يَتَّبِعُ حُوشَى الْكَلَامِ ، وَلَا يَصِفُ الرَّجُلَ إِلَّا بِمَا
 يَكُونُ فِي الرَّجَالِ . فَإِذَا أَكْثَرَ الْمُتَرَشِّحُ لِلْكِتَابَةِ
 مِنْ حِفْظِ خِيَارِ الشُّعْرِ وَتَدَبَّرَ مَعَانِيَهُ ، يَسْهَلُ عَلَيْهِ حَلُّهُ ،
 وَظَهَرَتْ لَهُ مَوَاضِعُ الْإِسْتِشْهَادِ بِهِ ، وَسَاقَهُ الْكَلَامُ
 إِلَى إِبْرَازِ مَا فِي ذَخِيرَةِ حِفْظِهِ ، وَوَضَعَهُ فِي مَكَانِهِ

وَنَقَلَهُ فِي الْإِسْتِشْهَادِ أَوْ التَّضْمِينِ إِلَى مَا كَانَهُ
وُضِعَ لَهُ . . .

وَكَذَلِكَ حِفْظُ جَانِبٍ جَيِّدٍ مِنْ شِعْرِ الْمُحَدِّثِينَ ،
كَأَبِي تَمَّامٍ وَمُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ وَالْبُحْتَرِيِّ وَابْنِ الرَّومِيِّ
وَالْمُتَنَّبِيِّ ، لِلطَّفِ مَأْخَذِهِمْ ، وَدَوْرَانِ الصَّنَاعَةِ فِي كَلَامِهِمْ ،
وَدِقَّةِ تَوْلِيدِ الْمَعَانِي فِي أَشْعَارِهِمْ ، وَقُرْبِ أُسْلُوبِهِمْ
مِنْ أُسْلُوبِ الْخُطَابَةِ وَالْكِتَابَةِ ، وَخُصُوصًا الْمُتَنَّبِيِّ ،
الَّذِي كَانَهُ يُنْطِقُ عَنِ السِّنَةِ النَّاسِ فِي مُحَاوَرَاتِهِمْ ،
وَكَثَرَ الْإِسْتِشْهَادُ لِشِعْرِهِ ، حَتَّى قَلَّ مَنْ يَجْهَلُهُ ، وَحَتَّى
اِكْتَفَى بِالْبَيْتِ الْوَاحِدِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْقَصْدِ وَبُلُوغِ
الْغَرَضِ فِي الْجَوَابِ ، كَمَا كَتَبَ بَعْضُ مُلُوكِ الْعَرَبِ
إِلَى مَنْ كَرَّرَ كُتُبَهُ وَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ . يَقُولُ الْمُتَنَّبِيُّ :

وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةَ عِنْدَهُ،

وَلَا رُسُلُهُ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرَمَرَمُ

وَكَذَلِكَ النَّظْرُ فِي رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ دُونَ حِفْظِهَا،

لِمَا فِي النَّظْرِ فِيهَا مِنْ تَنْقِيحِ الْقَرِيحَةِ، وَإِرْشَادِ

الْخَاطِرِ، وَتَسْهِيلِ الطَّرُقِ، وَالنَّسْجِ عَلَى مَنَوَالِ الْمُجِيدِ

وَالْإِقْتِدَاءِ بِطَرِيقَةِ الْمُحْسِنِ، وَاسْتِجْلَاءِ مَا أَنْتَجَتْهُ

الْقَرَائِحُ مِنْ أَبْكَارِ الْأَفْكَارِ، وَاسْتِجْلَاءِ مَا رَوَّقَتْهُ

الْخَوَاطِرُ مِنْ حِيَاضِ الْأَلْفَاظِ وَاسْتِدْرَاكِ مَا فَاتَ

الْقَاصِرَ، وَالْإِحْتِرَازِ مِمَّا أَظْهَرَهُ النَّقْدُ، وَرَدِّ مَا بَهَّرَجَهُ

السَّبْكُ. فَأَمَّا النَّهْيُ عَنْ حِفْظِ ذَلِكَ، فَلِئَلَّا يَقِلَّ

الْخَاطِرُ عَمَّا فِي حَاصِلِهِ، وَيَسْتَنِدَ الْفِكْرُ إِلَى مَا فِي مُودَعِهِ،

وَيَكْتَفِي بِمَا لَيْسَ لَهُ ، وَيَتَلَبَّسَ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ
ثَوْبِي زُورٍ

الأمثال
العربية

وَكَذَلِكَ النَّظْرُ فِي كُتُبِ الْأَمْثَالِ الْوَارِدَةِ عَنِ
الْعَرَبِ نَظْمًا وَنَثْرًا ، كَأَمْثَالِ الْمِيدَانِيِّ ، وَالْفَضْلِ
ابْنِ سَلَمَةَ الضَّبِّيِّ ، وَحَمْزَةَ الْأَصْبَهَانِيِّ وَغَيْرِهِمْ ، وَأَمْثَالِ
الْمُحَدِّثِينَ ، الْوَارِدَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ ، كَأَبِي الْعَتَاهِيَّةِ ،
وَأَبِي تَمَّامٍ ، وَالْمُتَنَّبِيِّ ، وَأَمْثَالِ الْمُؤَلِّدِينَ ، وَالْأَمْثَالِ
الْمَوْضُوعَةِ عَلَى أَلْسِنِ الْحَيَّوَانِ لِلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ ،
لَيْسَتْ شَهَادَةً بِالْمِثْلِ فِي مَوْضِعِهِ ، وَيُورِدُهُ فِي مَكَانِهِ ،
وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ الْمَعْرِفَةِ بِأَصْلِهِ ، وَأَوَّلَ مَنْ أَرْسَلَهُ
مَثَلًا ، وَمَنْ اسْتَشْهَدَ بِهِ ، وَذَكَرَ سَبَبَهُ

التمثيل
بالشعر

وَأَمَّا التَّمثِيلُ بِالشُّعْرِ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ تَمَثَّلَ
يَوْمًا بِقَوْلِ النَّابِغَةِ الذُّيَّانِيِّ يَعْتَذِرُ إِلَى الْمُنْدَرِ
وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ

عَلَى شَعَثٍ . أَيُّ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبُ ؟

ثُمَّ قَالَ : لِمِنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ لَهُ : لِلنَّابِغَةِ .

فَقَالَ : ذَاكَ أَشْعَرُ شُعْرَائِكُمْ . وَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ

عَبَّاسٍ عَنْ شَيْءٍ فَأَجَابَهُ عَنْهُ ، فَأَعْجَبَهُ جَوَابُهُ فَقَالَ :

شِنْشِنَةٌ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمٍ . وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا تَمَثَّلَ

بِهِ الصَّحَابَةُ كَثِيرٌ .

الأحكام
السلطانية

وَكَذَلِكَ النَّظَرُ فِي الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ ، فَإِنَّهُ

قَدْ يُؤْمَرُ بِأَمْرٍ فَيَعْرِفُ بِهَا كَيْفَ يَخْلُصُ قَلْمُهُ

عَلَى حُكْمِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ مِنْ وِلَايَةِ الْقَضَاءِ ،

وَالْحِسْبَةُ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَهَذِهِ أُمُورٌ كَلِيَّةٌ لَا بُدَّ
 الْمُتَرَشِّحِ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ مِنَ التَّصَدِّي لِلِاطِّلَاعِ
 عَلَيْهَا ، وَالْإِكْبَابِ عَلَى مُطَالَعَتِهَا ، وَالِاسْتِكْتَارِ مِنْهَا .
 يُنْفَقُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَادِّ ، وَيَسْلُكُ فِي الْوُصُولِ إِلَى
 تِلْكَ الصَّنَاعَةِ بِذَلِكَ الْجَوَادِ ، وَإِلَّا فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ فِي
 وَادٍ وَالْكِتَابَةِ فِي وَادٍ .

وَأَمَّا الْأُمُورُ الْخَاصَّةُ الَّتِي تَزِيدُ مَعْرِفَتَهَا قَدْرَهُ ،
 وَيَزِينُ الْعِلْمُ بِهَا نَظْمَهُ وَنَثْرَهُ ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمُكْمَلَاتِ
 لِهَذَا الْفَنِّ وَإِنْ لَمْ يُضْطَرَّ إِلَيْهَا ذُو الذِّهْنِ الثَّاقِبِ ،
 وَالطَّبِيعِ السَّلِيمِ ، وَالْقَرِيحَةِ الْمُطَاوِعَةِ ، وَالْفِكْرَةِ
 الْمُنْفَعَةِ ، وَالْبَدِيهَةِ الْمُجِيبَةِ ، وَالرَّوِيَّةِ الْمُتَصَرِّفَةِ ،
 لَكِنَّ الْعَالِمَ بِهَا مُتَمَكِّنٌ مِنْ أَزِمَّةِ الْمَعَانِي ،

يَقُولُ عَنْ عِلْمٍ ، وَيَتَصَرَّفُ عَنْ مَعْرِفَةٍ ، وَيَنْتَقِدُ
بِحُجَّةٍ ، وَيَتَخَيَّرُ بِدَلِيلٍ ، وَيَسْتَحْسِنُ بِبُرْهَانٍ ،
وَيَصُوغُ الْكَلَامَ بِتَرْتِيبٍ .

علوم
البلاغة
المعاني
والبيان
والبديع

فَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ وَمَا
يُدْحَقُ بِهَا ، وَأَنَا أَشِيرُ الْآنَ إِلَى نُكْتٍ مِنْهَا ، تَدُلُّ
عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِ هَذَا الْعِلْمِ ، وَعِظَمِ الْفَائِدَةِ بِهِ ، وَأَنَّ
الْأَدِيبَ وَالْكَاتِبَ الْعَارِيَيْنِ مِنْهُ ، قَاصِرَانِ عَنْ أَدْنَى
رُتَبِ الْكَمَالِ ، يُخْبِرَانِ وَلَا يَدْرِيَانِ كَيْفَ يُجِيبَانِ .
فَلَوْ سُئِلَ أَحَدُهُمَا عَنْ عِلَّةٍ مَعْنَى اسْتِحْسَانِهِ ، أَوْ لَفْظٍ
اسْتَحْلَاهُ ، أَوْ تَرْكِيبٍ اسْتَجَادَهُ ، لَمْ يَقْدِرْ عَلَى
الْإِثْبَانِ بِدَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَتَحْكُمُ فِي الشُّعْرِ

ر وَمَا فِيكَ آتَةُ الْحُكْمِ

إِنَّ نَقْدَ الدِّينَارِ إِلَّا عَلَى الصَّيِّ

رِفِ صَعْبٌ فَكَيْفَ نَقْدُ الْكَلَامِ

قَدْ رَأَيْتَكَ لَسْتَ تَفْرِقُ فِي الْأَشْءِ

عَارِ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ

وَحَكَى الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ قَالَ :

رَكِبَ الْكِنْدِيُّ الْمُتَفَلِّسُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَقَالَ لَهُ :

إِنِّي أَجِدُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ حَشْوًا . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ :

فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَجَدْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : وَجَدْتُ الْعَرَبَ

تَقُولُ : عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ . ثُمَّ يَقُولُونَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ

قَائِمٌ ثُمَّ يَقُولُونَ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لِقَائِمٌ . فَقَالَ لَهُ : قَوْلُهُمْ

عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ سَائِلٍ . وَقَوْلُهُمْ

إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ ، جَوَابٌ لِلْمُتَرَدِّدِ . وَقَوْلُهُمْ : إِزْ

عَبَدَ اللهُ لِقَائِمِهِ، جَوَابٌ عَنْ إِنْكَارِ مُنْكَرِ قِيَامِهِ .
 فَمَا أَحَارَ الْمُتَفَلِّسُ جَوَابًا . فَإِذَا ذَهَبَ مِثْلُ هَذَا
 عَلَى الْكِنْدِيِّ فَمَا الظَّنُّ بغيرِهِ . وَإِنْ كَانَ مِنْ
 مَحَاسِنِ الْكَلَامِ مَا لَا يَحْكُمُ فِي امْتِزَاجِهِ بِالْقُلُوبِ
 غَيْرُ الذَّوْقِ السَّلِيمِ . كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ .

شَيْءٌ بِهِ قُتِنَ الْوَرَى غَيْرُ الَّذِي

يُدْعَى الْجَمَالَ وَلَسْتُ أُدْرِى مَا هُوَ

لِكِنَّ الْغَالِبِ فِي الْكَلَامِ يُعْلَمُ سَبَبُ تَحْسِينِهِ ،
 وَتَعَلُّلُ مَوَادِّ تَمْكِينِهِ ، وَيُجَابُ عَنِ الْعِلَّةِ فِي انْحِطَاطِهِ
 وَارْتِفَاعِهِ ، وَيُذَكَّرُ الْمَعْنَى فِي ارْتِقَائِهِ مِنْ حَضِيضِ
 الْقَوْلِ إِلَى يَفَاعِهِ .

أَمَّا وَقَدْ أَنْتَهَيْنَا مِنْ رِسَالَةِ الْمَأْوَرِدِيِّ وَمَقَالَةِ

شهاب الدين الحلبي ، فلننتقل بك إلى شيء
جدد لازم لك من قوانين الكتابة ، ذكرها
المهذب بن ممتي في كتابه «قوانين الدواوين» ،
وعلي بن خلف ، من مقرؤاتنا على الشيخ في
أخرى أيامه في كتاب «صبح الأعشى» قال :

*
* *

قال المهذب^(١) بن ممتي في كتابه «قوانين الدواوين» :
ينبغي أن يكون الكاتب أديباً ، حادّ الذهن ، قويّ
النفس ، حاضر الحس ، جيّد الحدس ، حلو اللسان ،
له جرأة يُثبت بها الأمور على حكم البديهة ،
وفيه ثوذة^(٢) يقف بها فيما لا يظهر له على حدّ

الصفات
العرفية

(١) راجع صبح الأعشى صفحة ٦٧ جزء ١ (٢) الثوذة :

الطمأنينة والثبات

الرَّوِيَّةُ ، شَرِيفَ الْأَنْفَةِ ، عَظِيمَ النَّزَاهَةِ ، كَرِيمَ
 الْأَخْلَاقِ ، مَأْمُونِ الْغَائِلَةِ^(١) ، مُؤَدَّبَ الْخُدَّامِ .
 قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الشَّيْبَانِيُّ : مِنْ صِفَةِ الْكَاتِبِ
 اعْتِدَالُ الْقَامَةِ ، وَصِغَرُ الْهَامَةِ ، وَخِفَةُ اللَّهَازِمِ^(٢) ،
 وَكَثَاثَةُ اللَّحْيَةِ ، وَصِدْقُ الْحَسِّ ، وَلُطْفُ الْمَذْهَبِ ،
 وَحَلَاوَةُ الشَّمَائِلِ ، وَخَطْفُ الْإِشَارَةِ ، وَمَلَاحَةُ
 الزِّيِّ . قَالَ : وَمِنْ حَالِهِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ بِهِ
 الْمَلْبَسُ ، نَظِيفَ الْمَجْلِسِ ، ظَاهِرَ الْمُرُوءَةِ ، عَطِرَ
 الرَّاحَةِ ، دَقِيقَ الدَّهْنِ ، حَسَنَ الْبَيَانِ ، رَقِيقَ
 حَوَاشِيِ اللِّسَانِ ، حَلْوَى الْإِشَارَةِ ، مَلِيحَ الْإِسْتِعَارَةِ ،
 لَطِيفَ الْمَسَلِكِ ، مُسْتَفْرَهَ^(٣) الْمَرْكَبِ ، وَلَا يَكُونَ

(١) الغائلة : مؤنث الغائل وهي الداهية والهلكة (٢) اللهازم جمع لهزيمة
 وهي عظم ناتئ في اللحي تحت الأذن (٣) مسفره المركب : جميل المركب

مَعَ ذَلِكَ فَضْفَاضَ الْجَبَّةِ^(١)، مُتَفَاوَتَ الْأَجْزَاءِ، طَوِيلَ
 اللَّحِيَّةِ، عَظِيمَ الْمَامَةِ، فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ
 لَا يَلِيْقُ بِصَاحِبِهَا الذِّكَاؤُ. وَالْفِطْنَةُ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ!
 وَشُمُولِ^(٢) كَأَنَّمَا اغْتَصَرُوهَا

مِنْ مَعَانِي شَمَائِلِ الْكُتَّابِ
 وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ الصُّورِي^(٣): «يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
 الْكَاتِبُ فَصِيحًا بَلِيغًا أَدِيبًا، سَنِيَّ الرَّثْبَةِ، قَوِيَّ
 الْحُجَّةِ، شَدِيدَ الْعَارِضَةِ^(٤)، حَسَنَ الْأَلْفَازِ؛ لَهُ
 مَلَكَةٌ يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى مَدْحِ الْمَذْمُومِ وَذَمِّ الْمَحْمُودِ»
 قَالَ الْمُهَذَّبُ بْنُ مَمَاتِي: «أَمَّا حُسْنُ الْهَيْئَةِ
 فَإِنَّهُ يَرْجِعُ فِي ذَلِكَ إِلَى مَا يَعَامَهُ مِنْ حَالِ مَخْدُومِهِ،

(١) وفي بعض النسخ (الجنة) (٢) التمول: الخمر (٣) نسبة الى
 صور من مدن البابليين (٤) العارضة: البيان واللسن والقدرة على الكلام

مِنْ إِثَارِهِ إِظْهَارَ نِعْمَتِهِ عَلَى مَنْ هُوَ فِي خِدْمَتِهِ
 أَوْ إِخْفَاءَهَا . قُلْتُ . وَهَذَا قَدْ يُخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ :
 مِنْ أَنَّهُ يُبَغَى أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ بِهِ الْمَلْبَسِ .
 وَبِالْجُمْلَةِ فَفَصَاحَةُ اللِّسَانِ ، وَقُوَّةُ الْبَيَانِ ، وَالتَّقَدُّمُ
 فِي صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ ، هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ الرَّجُلَ وَيُعْظِمُهُ
 دُونَ أَثْوَابِهِ الْبَهِيَّةِ ، وَهَيْئَتِهِ الزَّاهِيَةِ . بَلْ رُبَّمَا
 كَانَ التَّعْظِيمُ فِي الْفَضْلِ لِرِثِّ الْحَالَةِ الْمُنْحَطِّ الْجَانِبِ
 أَكْثَرَ ، وَتَرْجِيحُهُ عَلَى غَيْرِهِ أَقْرَبَ .

وَقَدْ قَالَ سَهْلُ بْنُ هَرُونَ كَاتِبُ الْمَأْمُونِ . وَهُوَ
 مِنْ أُمَّةِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ : « لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ خَطَبَا ،
 أَوْ تَحَدَّثَا ، أَوْ أُحْتَجَّ ، أَوْ وَصَفَا ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا جَمِيلًا

بِهَيَّا . وَلِبَاسًا نَبِيلاً^(١) ، وَذَا حَسَبٍ شَرِيفٍ ، وَكَانَ
 الْآخِرُ قَلِيلاً قَمِيئاً^(٢) ، وَبَازًا الْهَيْئَةَ دَمِيماً^(٣) ، وَخَامِلَ
 الذِّكْرِ مَجْهُولاً ، ثُمَّ كَانَ كَلَامَهُمَا فِي مِقْدَارٍ وَاحِدٍ
 مِنَ الْبَلَاغَةِ ، وَفِي ضَرْبٍ^(٤) وَاحِدٍ مِنَ الصَّوَابِ ،
 لَتَصَدَّعَ عَنْهُمَا الْجَمْعُ ، وَعَامَّتُهُمْ يَقْضَى لِلْقَلِيلِ الدَّمِيمِ
 عَلَى النَّبِيلِ الْجَسِيمِ ، وَلِلْبَازِ الْهَيْئَةَ عَلَى ذِي الْهَيْئَةِ ،
 وَيَشْغَلُهُمُ التَّعَجُّبُ مِنْهُ عَنْ مُنَاوَأَةِ صَاحِبِهِ ، وَلِصَارَ
 التَّعَجُّبُ عَلَى مُسَاوَاتِهِ لَهُ سَبَباً لِلتَّعَجُّبِ بِهِ ،
 وَالْإِكْتَارُ فِي شَأْنِهِ عِلَّةٌ لِلْإِكْتَارِ فِي مَدْحِهِ . لِأَنَّ
 النُّفُوسَ كَانَتْ لَهُ أَحْقَرَ ، وَمِنْ بَيَانِهِ أَيُّسَ ، وَمِنْ

(١) النبيل : النجابة والفضل والعدة والأهبة (٢) القمىء : الصغير
 وهى قماء وقمءاء (٣) الدميم : قبح الخلق وجمعه ديمام (٤) وفى
 بعض النسخ درب بالبدال المهملة

حَسَدِهِ أَبْعَدَ ، فَلَمَّا ظَهَرَ مِنْهُ خِلَافُ مَا قَدَّرُوهُ ،
وَتَضَاعَفَ حُسْنُ كَلَامِهِ فِي صُدُورِهِمْ ، كَبُرَ فِي
عُيُونِهِمْ ، لِأَنَّ الشَّيْءَ مِنْ غَيْرِ مَعْدِنِهِ أَغْرَبُ ، وَكُلَّمَا
كَانَ أَبْعَدَ فِي الْوَهْمِ كَانَ أَظْرَفَ ، وَكُلَّمَا كَانَ أَظْرَفَ
كَانَ أَعْجَبَ ، وَكُلَّمَا كَانَ أَعْجَبَ كَانَ أَبْدَعَ ، وَإِنَّمَا
ذَلِكَ كَنَوَادِرِ الصِّبْيَانِ وَمُلُجِ الْمَجَانِينِ ، فَإِنَّ اسْتِعْرَابَ
السَّامِعِينَ لِذَلِكَ أَعْجَبُ . وَتَعْجِبُهُمْ مِنْهُ أَكْثَرُ .
قَالَ : « وَالنَّاسُ مُوَكَّلُونَ بِتَعْظِيمِ الْغَرِيبِ
وَأَسْتِظْرَافِ ^(١) الْبَدِيعِ ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْمَوْجُودِ
الرَّاهِنِ ، وَلَا فِيمَا تَحْتَ قُدْرَتِهِمْ مِنَ الرَّأْيِ وَالْهَوَى ،
مِثْلُ الَّذِي مَعَهُمْ فِي الْغَرِيبِ الْقَلِيلِ ، وَفِي النَّادِرِ

(١) يقال استظرف الشيء : استحسنه

الشَّاذِّ ، وَعَلَى هَذَا السَّبِيلِ يَسْتَظَرِّفُونَ الْقَادِمَ إِلَيْهِمْ ،
وَيَرْحَلُونَ إِلَى النَّازِحِ عَنْهُمْ ، وَيَتْرُكُونَ مَنْ هُوَ
أَعْمُ نَفْعًا ، وَأَكْثَرُ فِي وُجُوهِ الْعِلْمِ تَصَرُّفًا ، وَأَخْفُ
مُؤْنَةً ، وَأَكْثَرُ فَائِدَةً .

النَّوعُ الْأَوَّلُ : حُسْنُ السَّيْرِ وَشَرَفُ الْمَذْهَبِ ،
وَلِدَلِكَ شُرُوطٌ وَلَوَازِمٌ ، مِنْهَا : اعْتِمَادُ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى
فِي الْأِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ ، وَالْإِظْهَارِ وَالْإِبْطَانِ ،
وَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا ، وَالِاسْتِنَادُ إِلَيْهَا فِي مَبَادِيءِ الْأُمُورِ
وَعَوَاقِبِهَا . فَإِنَّهَا الْعُرْوَةُ^(١) الَّتِي لَا تَنْفِصُمُ ، وَالْحَبْلُ
الَّذِي لَا يَنْصَرِمُ^(٢) ، وَالرُّكْنُ الَّذِي لَا يَنْهَدِمُ ، وَالطَّرِيقُ
الَّتِي مَنْ سَلَكَهَا أَهْتَدَى ، وَمَنْ حَادَ عَنْهَا ضَلَّ

آداب
الكتاب
نوعان

(١) المراد سبيل النجاة (٢) لا ينصرم : لا ينقطع

وَتَرَدَّى^(١) ؛ وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى شَرَائِعِ الدِّينِ الَّتِي فَرَضَهَا
 اللَّهُ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ ، وَالْحَذَرُ مِنَ الاسْتِخْفَافِ فِيهَا
 بِحَقِّهِ ، وَتَوْقِي غَضَبِهِ بِتَأْدِيبَتِهَا ، وَالِاسْتِجْنَانُ^(٢) مِنْ
 شِقَاءِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِتَوْقِيهَا^(٣) .

وَمِنْهَا : طَلَبُ الْأَجْرِ بِمَا يُبْنِيهِ مِنْ عِزِّ سُلْطَانِهِ ،
 وَيُجَدِّدِهِ مِنْ فَوَاضِلِ نِعَمَائِهِ ؛ وَهَذَا هُوَ أَصْحُ الْأَغْرَاضِ
 الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُقَدِّمَهُ عَلَى كُلِّ غَرَضٍ ،
 وَيَحْصُلَ مِنْهُ عَلَى السَّهْمِ الْوَافِرِ ، فَلَا خَيْرَ فِي دُنْيَا
 تَنْقَطِعُ السَّعَادَةُ عَنْهَا ، وَإِنَّمَا السَّعَادَةُ بَعْدَ الْمَوْتِ
 وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ ، وَمَنْ اخْتَارَ الْفَآئِي الْمُنْصَرِمَ عَلَى
 الْبَاقِي الدَّائِمِ ، فَقَدْ خَسِرَتْ صَفْقَتُهُ ، وَبَارَتْ تِجَارَتُهُ .

(١) تردى : هلك (٢) الاستجنان : الستر والوقاية (٣) وفي

بعض النسخ بتوفيتها وهو الأظهر

وَالطَّرِيقُ الْمَوْصَلُ إِلَى هَذَا الْمَقْصِدِ صَلَاحُ النِّيَّةِ
 فِيمَا يَتَوَلَّاهُ مِنْ أُمُورِ السُّلْطَانِ ، وَقَصْدُ النَّفْعِ الْعَامِّ لَهُ
 وَلِرَعِيَّتِهِ ، وَالِاجْتِهَادُ فِي إِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ ، وَالْأَخْذُ
 بِيَدِ الضَّعِيفِ ، وَالنَّفْعُ بِجَاهِهِ عِنْدَ سُلْطَانِهِ ، وَحَمْلُهُ عَلَى
 الْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ ، فَإِذَا تَوَخَّى ذَلِكَ فَازَ بِثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى ،
 وَقَضَى حَقَّ السُّلْطَانِ فِيمَا عَرَضَهُ لَهُ مِنَ الشُّكْرِ
 وَالْأَجْرِ ، وَقَابَلَ نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي أَقْدَرَهُ بِهَا عَلَى هَذِهِ
 الْأَفْعَالِ الْجَمِيلَةِ بِمَا يَرْتَبِطُهَا عِنْدَهُ ، وَيَسْتَقِرُّ بِهَا لَدَيْهِ .
 وَمِنْهَا : مُجَانَبَةُ الرَّيْبِ وَالتَّنَزُّهُ عَنْهَا ، وَالطَّهَارَةُ
 مِنْهَا ، فَإِنَّهَا تُسَخِطُ اللَّهَ تَعَالَى ، وَتَذْهَبُ بِمَهَابَةِ الْمَرْءِ ،
 وَتُسْقِطُهُ مِنَ الْعُيُونِ وَالْقُلُوبِ . وَأَحَقُّ مَنْ رَاعَى
 ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ مِنْ بَيْنِ أَتْبَاعِ السُّلْطَانِ أَهْلُ هَذِهِ

الصَّنَاعَةَ لِاخْتِصَاصِهِمْ بِهِ ، وَلُطْفِ مَنَزَلَتِهِمْ عِنْدَهُ .
 إِذِ الشُّهُورُ عِنْدَ نَقَاةِ الْآثَارِ ، أَنَّ الدِّينَ تَقَدَّمُوا
 مِنْ صُدُورِهَا وَمَشَايِخِهَا ، كَانُوا مِنْ جِلَّةِ (١) الْعُلَمَاءِ ،
 وَسَادَةِ الْفُقَهَاءِ ، وَأَفْضَلِ أَهْلِ الْوَرَعِ ، الْمُبْرِّئِينَ مِنَ
 الدَّنَسِ وَالطَّمَعِ ، الْمُتَمَيِّزِينَ عَلَى الْقُضَاةِ وَالْحُكَّامِ ،
 فِي الْإِسْتِقْلَالِ بِلُغُومِ الْإِسْلَامِ ؛ الْمُتَمَيِّزِينَ عَنْهُمْ
 بِفَضْلِ الْآدَابِ . وَرَوَايَةِ الْأَشْعَارِ ، وَالْعِلْمِ بِالْأَيَّامِ
 وَالسِّيَرِ ، وَالْإِرْتِيَاضِ بِآدَابِ الْمُلُوكِ وَعِشْرَتِهِمْ ،
 وَرُسُومِ صُحْبَتِهِمْ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْتَظِمُ فِي صِنَاعَتِهِمْ .
 فَقَدْ سَاوَوْهُمْ فِي عِلْمِ الدِّينِ ، وَفَاقَوْهُمْ فِيمَا تَقَدَّمَ
 ذِكْرُهُ مِمَّا لَا يُشَارِكُونَهُمْ فِيهِ . وَالسُّلْطَانَ وَالِدِينَ

(١) جِلَّةٌ : جَمْعُ جَلِيلٍ وَهُوَ الْعَظِيمُ

قَرِينَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ ، وَعَوْنَانِ عَلَى صَلاَحِ الْبِلَادِ
وَالْعِبَادِ ، فَلَا يَحْتَمِلُ السُّلْطَانُ مَا يُنْكِرُهُ الدِّينُ ،
لِأَنَّهُ تَابِعُهُ وَرَدِيْفُهُ

وَمِنْهَا : لَزُومُ الْعَفَافِ وَالصِّيَانَةِ فِيمَا يَتَوَلَّاهُ
لِلسُّلْطَانِ مِنْ أَعْمَالِهِ ، وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ أَشْغَالِهِ ،
وَالتَّعَفُّفُ عَنِ الْمَطَامِعِ الذَّمِيمَةِ ، وَالْمَطَاعِمِ الْوَخِيمَةِ ،
وَالتَّرَفُّعُ عَنِ الْمَكَاسِبِ اللَّئِيمَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْمَعُ
القُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْحُظُوءَةَ عِنْدَ السُّلْطَانِ ، وَجَمِيلَ
السِّيَرَةِ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ — حَتَّى إِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ قَدْ
تَقَدَّمَ بِهَا عِنْدَ السُّلْطَانِ الْمُتَخَلِّفُونَ فِي الْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ،
وَسَادُوا عَلَى مَنْ لَا يُقَارِبُونَهُ فِي غِنَاءٍ وَلَا كِفَايَةٍ ،
وَحَصَلُوا عَلَى الْأَحْوَالِ السَّنِيَّةِ ، وَالْمَنَازِلِ الْعَلِيَّةِ ؛

وَقُرْبَ بِهَا مَنْ كَانَ بَعِيداً عَلَى مَنْ كَانَ قَرِيباً ، وَمَنْ
 لَا مَكَانَةَ لَهُ وَلَا حُرْمَةَ ، عَلَى مَنْ لَهُ مَكَانَةٌ وَحُرْمَةٌ ،
 وَأَسْتَدْنِي لِأَجْلِهَا مَنْ لَا يَتَرَشَّحُ لِخِدْمَةِ السُّلْطَانِ .
 ثُمَّ الَّذِي يَلْزِمُهُ ، أَنْ يَعْتَمِدَ التَّمَسُّكَ بِالصِّيَانَةِ وَالْعَفَافِ
 الَّذِي عَلَيْهِ نِظَامُ مَعِيشَتِهِ ، وَالِازْتِفَاقَ فِيمَا يَحِلُّ
 وَيَطِيبُ لَهُ مِنْ جَاءِ خِدْمَتِهِ — فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ
 « إِلْزَمِ الصَّحَّةَ يَلْزِمُكَ الْعَمَلُ » . لَا أَنَّهُ يَمْتَنِعُ
 مِنَ الْمَنَافِعِ الَّتِي تَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ أَطْيَبِ الْمَكْسَبِ ،
 وَتَسْلَمُ مِنْ تَبَعَاتِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ ، وَتَخْلُصُ مِنْ
 قَبِيحِ الْأُحْدُوثَةِ وَإِطْلَاقِ أَلْسِنِ الْحَسَدَةِ بِالطَّعْنِ
 وَالتَّائِبِ ، وَيَنَالُ بِجَاهِ السُّلْطَانِ وَنُفُوزِ الْأَمْرِ مِنْ
 غَيْرِ خِيَانَةٍ لِلْمُؤْتَمَنِ ، وَلَا اسْتِكَاةٍ لِلرَّعِيَّةِ — فَإِنَّهُ

لَوْ لَا هَذِهِ الْمَنَافِعُ لَغَنَى الْإِنْسَانُ بِالْقَنَاعَةِ ، وَرَضِيَ
بِالْكَفَافِ ، وَسَلِمَ مِنَ الْمُخَاطَرَةِ بِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ فِي
سَلَامَةِ السُّلْطَانِ ، إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَسْتَفْرِغَ وَسْعَهُ
وَيُعْرِضَ نَفْسَهُ لِلْخَطَرِ فِيمَا لَا تَحْسُنُ لَهُ عَائِدَةٌ ،
وَلَا تَخْلُصُ مِنْهُ فَائِدَةٌ ، فِي جَاهٍ وَلَا مَالٍ . وَقَدْ عَلِمَ
مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ هَذِهِ الطَّبَقَةِ فِي سَائِرِ الدُّوَلِ ،
وَمَا حَصَلُوهُ مِنَ الذَّخَائِرِ ، وَاقْتَنَوْهُ مِنَ الْقُنْيَاتِ
النَّفِيسَةِ ، الَّتِي أَقْدَرْتُهُمْ عَلَى إِظْهَارِ مُرُوءَاتِهِمْ ،
وَإِتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ عِنْدَ الْأَحْرَارِ ، وَحِرَاسَةِ النِّعَمِ عَلَى
الدَّوَائِرِ ^(١) وَالْأَعْقَابِ . وَإِنَّمَا حَصَلُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ
حَيْثُ مَعْرِفَتُهُمْ بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ ، وَأَبْوَابِ
الْمُرَافِقِ ، لَا مِنْ اخْتِيَانَةِ وَذَمِيمِ الطَّعْمِ ^(٢) ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا

(١) الأظهر على الدراري (٢) لعله الطعم

فِي أَرْمِنَةٍ لَا يُغْضَى فِيهَا عَنْ مُتَكَسِّبٍ مِنْ رِشْوَةٍ ،
 وَلَا مُصَانَعَةٍ وَلَا اغْتِصَابٍ ، وَلَا سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ
 الظُّلْمِ وَإِنْ جَلَّتْ مَنَزَلَتُهُ ، وَعَظُمَتْ مَرْتَبَتُهُ ، وَمِنْهَا
 طَلَبُ الشَّنَاءِ وَالْحَمْدِ ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْمَقَاصِدِ السَّنِيَّةِ
 وَأَعْلَاهَا رُتْبَةٌ - لِأَنَّهُ يَتَلَوُ الْأَجْرَ فِي الْبَقَاءِ وَالذَّوَامِ ،
 وَكَلَّمَا كَانَتْ الْهِمَّةُ أَعْظَمَ وَأَشْرَفَ ، كَانَتْ إِلَيْهِ أَرْغَبَ ،
 وَبِهِ أَكْلَفَ ، وَلِفَضْلِ هَذَا رَغِبَ فِيهِ الْأَشْرَافُ وَعَلِيَّةُ
 النَّاسِ ، حَتَّى قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَاجْعَلْ لِي
 لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) . وَأَوْلَى النَّاسِ بِاقْتِنَاءِ
 ذَخَائِرِ الْحَمْدِ ، وَافْتِرَاضِ فَرَضِ الشُّكْرِ ، مَنْ عَرَّضَ
 اللَّهُ تَعَالَى جَاهَهُ ، وَطَوَّلَ يَدَهُ ، وَأَمَضَى عِنْدَ السُّلْطَانِ
 لِسَانَهُ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُخْتَارَ هَذِهِ الْمَكْرَمَةُ ، وَيَقُومَ

بِالنَّصِيبِ الْأَوْفَرَ مِنْهَا ، وَلَا يَبْخُلَ بِجَاهِهِ وَلَا مَالِهِ
 عَلَى قَاصِدٍ وَلَا مُؤَمِّلٍ ، وَلَا ذِي رَحِمٍ وَذِمَامٍ ، وَلَا
 يُضْجَعُ ^(١) فِي أَمْرِ بَطَانَتِهِ وَحَاشِيَتِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَلَا يُضِيقُ
 عَلَيْهِمْ مَعَ سَعْتِهِ ، وَلَا يُقْصِرُ بِهِمْ فِي كِفَايَتِهِ ،
 وَيَجْعَلُ اكْتِسَابَهَا بِجَاهِهِ وَمَالِهِ ، دُونَ أَمْوَالِ سُلْطَانِهِ ،
 فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُتَصَرِّفِينَ بَدَلُوا مَا أُؤْتِمِنُوا
 عَلَيْهِ فِي هَذَا الْغَرَضِ ، وَرَضُوا بِهِ أَهْلَ الشَّفَاعَاتِ
 وَالرِّسَائِلِ ، فَأَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ زَوَالَ النِّعَمِ ، وَسُقُوطَ الرُّتْبَةِ
 وَذَهَابِ الْمَالِ ، وَالْوَسْمِ بِمِيسَمِ الْخِيَانَةِ وَالْبُورَارِ إِلَى
 الْأَبَدِ ، وَلَا يُبَالِغُ فِي ابْتِنَاءِ الْمَعَالِي وَاقْتِنَاءِ الْمَحَامِدِ ،
 وَبَدَلِ الرَّغَائِبِ وَارْتِفَاعِ الْهَمَمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَخْتَصُّ
 بِالْمُلُوكِ ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ مِنْ كَاتِبٍ

وَلَا غَيْرِهِ الْإِقْدَامُ عَلَيْهِ مُفَاخِرًا وَلَا مُكَاتِرًا وَلَا
 مُقَابِلًا . فَيَكُونُ قَدَا مَلُورَهُ ، وَأَضَلَّ رُشْدَهُ ،
 وَتَعَرَّضَ لِلْعَطَبِ مَعَ سُلْطَانِهِ ، وَأَوْجَدَ الطَّرِيقَ إِلَى
 سُوءِ الظَّنِّ بِهِ ، وَفَوَّقَ سِهَامَ الْحَسَدَةِ إِلَيْهِ ، وَأَطْلَقَ
 أَسِنَّتَهُمْ بِالطَّعْنِ عَلَيْهِ ، وَرُبَّمَا آدَى بِهِ ذَلِكَ إِلَى
 سُقُوطِ الْمَنْزِلَةِ إِنْ سَامَتْ نَفْسُهُ .

وَمِنْهَا : الْاِقْتِصَادُ فِي طَلَبِ اللَّذَّةِ وَالِاِقْتِصَارُ مِنْ
 ذَلِكَ عَلَى مَا يُقِيمُ الْمُرُوءَةَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَخْلَاقِ
 وَأَشْرَفِهَا : بَأَنَّ يَكُونُ تَنَاوُلُهُمْ مَا يَتَنَاوَلُونَهُ مِنْ ذَلِكَ
 بِسُلُوكِ طَرِيقَةٍ مَحْمُودَةٍ ، يَظْهَرُ فِيهَا أَثَرُ التَّدْبِيرِ
 السَّدِيدِ ، وَالرَّأْيِ الْأَصِيلِ ، مِنْ غَيْرِ خُرُوجِ إِلَى
 الْاِقْبَالِ عَلَى اللَّذَاتِ . وَالِانْهِمَاقِ فِي الشَّهَوَاتِ .

فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُسْتَحْسِنٍ لِمَلِكٍ وَلَا سُوقَةٍ ، لِأَنَّهُ
 جَالِبٌ لِلْأَسْقَامِ ، قَاطِعٌ عَنِ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي يَجِبُ
 صَرْفُ الْعِنَايَةِ إِلَيْهَا فِي صَلَاحِ الْمَعَاشِ ، وَأَمْرِ الْآخِرَةِ ؛
 وَلَكِنْ لَا يُكَلِّفُ تَرْكَ اللَّذَاتِ مُجْمَلَةً — إِذْ لَا بُدَّ
 لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْ ذَوِي الرُّثْبَةِ الْعَلِيَّةِ مِنَ الْأَخْذِ
 بِنَصِيبٍ مِنْهَا ، لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ الطَّبَائِعُ مِنَ الْمِيلِ
 إِلَيْهَا ، وَالرَّغْبَةِ فِي الْإِسْتِمْتَاعِ بِالنِّعَمِ وَالْمَلَاذِّ ، وَلِكُلِّ
 مِنْهَا حَظٌّ يُضَاهِي رُثْبَتَهُ .

وَأَهْلُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لِاخْتِلَاطِهِمْ بِالْمُلُوكِ
 وَمُشَارَكَتِهِمْ لَهُمْ فِي آدَابِهِمْ ، لَا غِنَى بِهِمْ عَمَّا يُقِيمُ
 مَرُوءَاتِهِمْ مِنَ اللَّذَاتِ الْمُشَابِهَةِ لِأَقْدَارِهِمْ ، وَمَوَاضِعِهِمْ
 مِنَ السُّلْطَانِ .

النوعُ الثَّانِي : حُسْنُ العِشْرَةِ - الَّتِي هِيَ مِنْ
أَفْضَلِ الخَلَائِقِ الْمُتَوَجُّدَةِ فِي الغَرَائِزِ طَبَعًا وَالحَاصِلَةِ
بِالتَّخَلُّقِ تَكْسِبًا وَتَطَبُّعًا ، وَأَعُونَهَا بِمَصَالِحِ الحَيَاةِ
وَالْمَعَاشِ وَحُبَّةِ الخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ ، وَحُصُولِ الشَّاءِ
وَالشُّكْرِ وَالمُودَّةِ مِنْ الأَفْضَلِ الأَخْيَارِ ، وَكِفَايَةِ
الأَرَاذِلِ الأَشْرَارِ ، وَإِنْ لَمْ يَلْتَزِمَهَا الكَاتِبُ
طَوْعًا جَمَلَ عَلَيْهَا كَرَاهًا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَدَبَ المُعَاشِرَةِ عَلَى خَمْسَةِ أَضْرُبٍ .

الضَّرْبُ الأَوَّلُ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ خَلْفٍ : وَلَا يَقُومُ
بِأَدَابِهَا وَأَكْمَلِ رُسُومِهَا ، إِلَّا مَنْ عَلَتِ فِي الأَدَبِ
دَرَجَتُهُ ، وَسَمَتْ فِي رَجَاحَةِ العَقْلِ مَنْزِلَتُهُ ،

وَتَمَيَّزَ بِغَرِيْزَةٍ فَاضِلَةٍ وَأَدَبٍ مُّكْتَسَبٍ ، وَصَبَرَ
 عَلَى الْمَشَاقِّ فِي التَّحَلِّيِّ بِالْهَمَمِ الشَّرِيفَةِ ، وَالسُّمُوِّ إِلَى
 الْمَنَازِلِ اللَّطِيفَةِ ، مِنْ عِزِّ السُّلْطَانِ ، وَمُسَاعَدَةِ
 الزَّمَانِ ، وَتَمَكَّنَ مِنْ تَصْرِيفِ النَّفْسَيْنِ الْحَيَوَانِيَّةِ
 وَالشَّهْوَانِيَّةِ ، عَلَى أَغْرَاضِ النَّاطِقِيَّةِ وَمُطَاوَعَتِهَا ، وَأَخَذَهُمْ
 بِقَبُولِ مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ ، وَتَبَعَتْ عَلَيْهِ . لِأَنَّ صُحْبَا
 السُّلْطَانِ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَصَاحِبُهُ رَاكِبٌ خَطَرَ جَسِيمٌ
 بِتَمْلِيكِهِ نَفْسَهُ لِمُتَحَكِّمٍ فِي شَعْرِهِ وَبَشَرِهِ ، قَادٍ
 عَلَى نَفْعِهِ وَضُرِّهِ ، لَا يَرُدُّهُ عَنْ مُقَابَلَتِهِ عَلَى يَسِيرِ
 الْخِيَانَةِ بِكَبِيرِ النَّكَايَةِ ، إِلَّا مَا يُؤَمِّلُ مِنْ صَفْحِ
 وَمُسَامَحَتِهِ ، وَيَرْجُو مِنْ عَطْفِهِ وَرَأْفَتِهِ . وَأَوَّلُ مَا يَجِبُ
 عَلَى الْمُتَّصِلِ بِخِدْمَةِ السُّلْطَانِ ، النَّظَرُ فِي عَوَاقِبِ أُمُورِهِ

وَحِفْظُ نَفْسِهِ مِنْ جَرِيرَةٍ يَجْرُهَا عَلَيْهَا ، بِإِغْفَالِهِ فَرَضًا
 مِنْ فُرُوضِ طَاعَتِهِ ، وَتَضْيِيعِهِ الْمُحَافَظَةَ عَلَى حُقُوقِ
 خِدْمَتِهِ ، وَالْعِلْمُ بِأَنَّ لِكُلِّ مَصْحُوبٍ خُلُقًا يَغْلِبُ
 عَلَيْهِ ، وَيَرْجِعُ بِنَغْرِيزَةِ الطَّبَعِ إِلَيْهِ ، لَا يُمَكِّنُهُ النَّزُوعُ
 عَنْهُ وَلَا الْمَفَارَقَةُ لَهُ ، إِذَا الْإِنْتِقَالَ عَنِ الطَّبَاعِ ، شَدِيدُ
 الْإِمْتِنَاعِ ، فِي الْخُدْمِ وَالْأَتْبَاعِ . فَكَيْفَ الْمُلُوكُ
 وَالرُّؤَسَاءُ ، الَّذِينَ لَا يُقَابِلُونَ بِلَوْمٍ عَلَى خُلُقٍ مَذْمُومٍ ،
 بَلِ الْعَادَةُ جَارِيَةٌ فِي أَدَبِ خِدْمَتِهِمْ ، بِأَنَّ يُصَوِّبُوا
 مَا يَرَوْهُ كَبُونَهُ مِنْ خَطَا ، وَيُحَسِّنُوا مَا يُوَاقِعُونَهُ مِنْ قُبْحٍ .
 فَعَلَيْهِ أَنْ يَنْزِلَ عَنْ أَخْلَاقِهِ لِأَخْلَاقِ سُلْطَانِهِ ، وَمَا
 خَالَفَ سَجِيَّتَهُ فِي إِصْلَاحِ زَمَانِهِ ، وَأَنْ يَنْزِلَ عَنْ هَوَاهُ
 لِهَوَاهُ ، وَيَتَّبِعَ فِيمَا يَسْخَطُهُ وَيَأْبَاهُ ، مَا يُؤَثِّرُهُ

سُلْطَانُهُ وَيَرْضَاهُ . وَيَنْبَغِي أَلَّا يُعْرَضَ نَفْسَهُ لِمَا
يُسْقِطُ مَنَزَلَتَهُ ، وَيُفْسِدُ عَاقِبَتَهُ ، وَلَا يُوجِدُ لِلزَّمَنِ
طَرِيقًا إِلَى التَّنَكُّرِ لَهُ ، وَيُعِينُهُ بِتَفْوِيقِ سِهَامِهِ
وَالتَّصَدَّى لِمَوَاقِعِهَا . وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الزَّمَانَ وَإِنْ عَمَّ
بِنَوَائِبِهِ ، فَإِنَّهُ يَخْصُصُ صَاحِبَ السُّلْطَانِ مِنْهَا بِمَا يَزِيدُ
عَلَى نَصِيبِ غَيْرِهِ . وَمَنْ أَشَقَّ الْأَحْوَالِ أَنْ يُدْفَعَ
الْإِنْسَانُ إِلَى تَغْيِيرِ السُّلْطَانِ ، مَعَ كَوْنِ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ
شَيْئًا جَرَّهُ إِلَى نَفْسِهِ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ ، لِمَا يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ
فِي ذَلِكَ مِنْ مَرَارَةِ النَّكْبَةِ ، وَحَرَارَةِ الْمَغْبَةِ^(١) ،
وَتَقَرُّعِ مَنْ يُزْرِي عَلَى عَقْلِهِ ، وَيُؤَنِّبُهُ بِجَهْلِهِ ، ثُمَّ
إِنَّهُ يَلْزَمُهُ بَعْدَ الْإِحْتِيَاظِ فِيمَا تَقَدَّمَ عِدَّةُ خِصَالٍ أَيْضًا .

(١) المغبة : عاقبة الشيء

مِنْهَا الْإِخْلَاصُ وَهُوَ قِوَامُ الْأَمْرِ فِي الْمُصَاحَبَةِ ، فَإِنَّ
 مَنْ صَحِبَ سُلْطَانًا بِعَقِيدَةٍ مَدْخُولَةٍ فِي وِلَايَتِهِ ،
 مَشُورِيَةٍ فِي مَحَبَّتِهِ ، لَمْ يَنْتَظِمْ لَهُ وَلَا لِسُلْطَانِهِ أَمْرٌ : لِأَنَّ
 الضَّمَائِرَ الْمَذُوقَةَ ^(١) وَالنِّيَّاتِ السَّقِيمَةَ ، لَا بُدَّ أَنْ يُصْرَحَ
 بِمَا فِيهَا ، وَيُظْهَرَ مَا فِي دَخِيلَتِهَا ، وَإِذَا أُتِّضِحَ ذَلِكَ
 لِلْسُلْطَانِ لَمْ يَقْنَعْ إِلَّا بِاتِّلَافِ نَفْسِهِ ، وَإِذْهَابِ مُهْجَتِهِ .
 وَمِنْهَا النَّصِيحَةُ ، وَهِيَ تَرْبٌ ^(٢) الْإِخْلَاصِ . وَالطَّرِيقُ
 الْمُوَصِّلُ إِلَى التَّوْفِيقِ بِهَا ، أَنْ يُطَالَعَ السُّلْطَانُ بِكُلِّ
 مَا يَفْتَقِرُ إِلَى الْعِلْمِ بِهِ مِنْ خَاصِّ أُمُورِهِ وَعَامِّيَّاتِهَا ،
 وَعَلَى مَنْ أُسْتَخْلَصَهُ السُّلْطَانُ لِنَفْسِهِ ، وَأَتَمَّنَهُ عَلَى
 رَعِيَّتِهِ ، وَأَنْطَقَهُ بِلِسَانِهِ ، وَأَخَذَ وَأَعْطَى بِيَدِهِ ، وَأُورِدَ

(١) المذوقة : أى غير الخالصة . (٢) الترب : ما كان من سنك .

والمراد المساوية للإخلاص .

وَأَصْدَرَ بِرَأْيِهِ ، وَتَخَيَّرَهُ لِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ مِنْ بَيْنِ
 رُؤَسَاءِ دَوْلَتِهِ ، وَأَعْيَانَ مَمْلَكَتِهِ : أَلَّا يَسْتُرَ عَنْهُ دَقِيقًا
 وَلَا جَلِيلًا مِنْ أَحْوَالِ مَا فَوَّضَهُ إِلَيْهِ ، وَلَا يَقِفَ
 عَنْ إِنِّهَاءِ تَفَاصِيلِهِ وَجُمْلِهِ تَوْقِيًّا مِنْ لَوْمِ لَائِمٍ ،
 وَلَا يَحْمِلُهُ فَرْطُ النُّصْحِ لَهُ عَلَى الْإِضْرَارِ بِرِعِيَّتِهِ ،
 وَلَا الرَّغْبَةَ فِي إِثْبَاتِ حَقِّهِ عَلَى تَضْيِيعِ حُقُوقِهَا ،
 وَلَا الْقِيَامَ بِمَا يَجِبُ لَهُ دُونَ مَا يَجِبُ لَهَا ، فَإِنَّهَا
 بِهِ وَهُوَ بِهَا .

وَمِنْهَا الْاجْتِهَادُ فِيمَا يُبَاشِرُهُ مِنْ أَحْوَالِ سُلْطَانِهِ
 بِمَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ ، بِحَيْثُ لَا يُبْقَى فِي ذَلِكَ مُمَكِّنًا ،
 وَلَا يَدَعُ فِيهِ شَأوًا لِلْآحِقِّ .

وَمِنْهَا كِتْمَانُ السِّرِّ . وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَدَابِ

فِي صُحْبَةِ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ ، وَأَعْوَدَهَا بِالْفَلَاحِ عَلَى
 صَاحِبِهَا : لِأَنَّ كَثْرَةَ الْإِنْتِشَارِ الدَّاخِلِ عَلَى الدُّوْلِ ،
 إِنَّمَا تَوَجَّهَ بِتَفْرِيطِ بَطَائِنِهَا وَصَاحِبِهَا فِي أَسْرَارِهَا ،
 وَإِظْهَارِهِمْ مَا تَقَرَّرَ فِي أَذْهَانِ الْمُلُوكِ وَعَزَائِمِهِمْ
 قَبْلَ أَنْ يُظْهِرُوهُ ، فَيَجِدُ الْعَدُوُّ بِذَلِكَ الطَّرِيقِ إِلَى
 مُعَاجَلَةِ آرَائِهِمْ بِمَا يَنْقُضُهَا ، وَمُقَابَلَتِهَا بِمَا يُفْسِدُهَا .
 عَلَى أَنَّ إِفْشَاءَ السَّرِّ مِنَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي طُبِعَ أَكْثَرُ
 النَّاسِ عَلَيْهَا ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِقْلَاعِ عَنْهَا ،
 فَمَنْ عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ فَلْيَحْذَرْ مُعَامَلَةَ السُّلْطَانِ
 فِي أَسْرَارِهِ وَبَوَاطِنِ أُمُورِهِ ، وَلَا سِيَّامَا وَجِدَ
 مِنْهَا فِي بَابِ حُرُوبِهِ وَمَكَايِدِهِ ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ
 مِنْهُ عَلَى خِيَانَةٍ فِي السَّرِّ ، عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَكَةِ .

وَمِنْهَا : الشُّكْرُ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ وَاجِبًا عَلَى الْإِنْسَانِ
 مَعَ أَكْفَائِهِ وَأَنْظَرَاتِهِ ، فَإِنَّهُ مَعَ السُّلْطَانِ الَّذِي يَسْتَظِلُّ
 بِظِلِّهِ ، وَيَسْتَدِرُّ أَخْلَافَ فَضْلِهِ أَوْجَبٌ . إِذِ الْمَرْءُ قَدْ
 يَقْدِرُ عَلَى مُكَافَأَةِ عَارِفَةِ صَدِيقِهِ بِمَا يُضَاهِيهَا ، وَيَزِيدُ
 عَلَيْهَا ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مُكَافَأَةِ سُلْطَانِهِ إِلَّا بِشُكْرِ
 نِعْمَتِهِ ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى حُقُوقِ خِدْمَتِهِ . ثُمَّ الشُّكْرُ
 بِالْقَوْلِ يَرْتَفِعُ بَيْنَ الرَّئِيسِ وَالْمَرْءِ وَسِ ، وَالْخَادِمِ
 وَالْمُتَخَدِّمِ ، إِلَّا الْيَسِيرَ الَّذِي يَقْضَى بِهِ حَقُّ الْخِدْمَةِ .
 لِأَنَّ الْإِكْتَارَ مِنْهُ دَاخِلٌ فِي حُكْمِ الْمَلَقِ وَالشَّقِيلِ ،
 وَإِنَّمَا يَظْهَرُ شُكْرُ الْخَادِمِ مِنْ أَفْعَالِهِ .
 وَمِنْهَا الْوَفَاءُ . وَهُوَ مِنْ أَهَمِّ الْخِصَالِ الْإِلَازِمَةِ
 وَآكِدِهَا ، إِذْ هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى صَلَاحِ الْعِبَادِ ،

وَعِمَارَةَ الْبِلَادِ ، بَلْ هُوَ رَأْسُ مَالِ الْكَاتِبِ
 وَرَبْحُهُ وَدَوَامُ عَمَلِهِ ، وَالسَّبَبُ الَّذِي لِأَجْلِهِ تَرْتَبُّ
 السَّلَاطِينُ فِي صُحْبَتِهِ : لِأَنَّهُمْ مَا بَرِحُوا يُقَرَّبُونَ
 صَاحِبَ هَذِهِ الْخِصَاةِ ، وَيَرَوْنَهُ أَهْلًا لِلِاخْتِصَاصِ ،
 مَوْضِعًا لِلثِّقَةِ ، وَلَا أَسْوَأَ حَالًا مِمَّنْ نَزَلَ هَذِهِ
 الْمَنْزِلَةَ وَهُوَ بِمُخَالَفَتِهَا .

ثُمَّ الْوَفَاءُ . يَكُونُ بِإِظْهَارِ النَّصِيحَةِ ، وَبَدَلِ
 الْإِجْتِهَادِ ، وَقَصْدِ الْمُخَالَصَةِ ، وَمُقَابَلَةِ كُلِّ نِعْمَةٍ
 تَقَاضٍ عَلَيْهِ بِالنَّهْضَةِ فِيمَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ : لِيَدْعُو ذَلِكَ
 سُلْطَانَهُ إِلَى رَبِّ^(١) النِّعْمَةِ لَدَيْهِ ، وَإِقْرَارَهَا عَلَيْهِ .
 وَمِنْ شُرُوطِ الْوَفَاءِ أَنْ يَلْتَزِمَهُ صَاحِبُهُ لِسُلْطَانِهِ ،
 فِي حَالِ سَعَادَتِهِ ، وَإِقْبَالِ دَوْلَتِهِ ، وَفِي حَالِ تَوَلِّيِّهَا

(١) المراد تسميتها وزيادتها .

عَنْهُ وَعُطِّلَتْهُ . أَمَّا فِي حَالِ إِقْبَالِ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ
يَصْحَبُهُ بِقَلْبِهِ دُونَ بَدَنِهِ ، وَلَا يَتَطَلَّبُ صَاحِبًا غَيْرَهُ
يَنْتَقِلُ إِلَى مُصْحَبَتِهِ ، وَيَسْتَبْدِلُ بِخِدْمَتِهِ مِنْ خِدْمَتِهِ ،
وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ مَتَى وَجَدَ أَفْنَعَ مِنْهُ ، عَدَلَ
إِلَيْهِ ، وَلَا أَنْ يُرْتَّبَ لَهُ جِهَةٌ أُخْرَى يَجْعَلُهَا
مُقَدَّمَةً لِأَمْرِ يَتَرَقَّبُهُ : لِمَا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ
الْخُرُوجِ عَنْ حَدِّ الْإِخْلَاصِ الْمُقَدَّمِ وَجُوبِهِ .
وَأَمَّا فِي حَالِ أَنْصِرَافِ الدَّوْلَةِ عَنْ صَاحِبِهِ ، فَإِنَّهُ
لَا يُبَايِنُهُ مُبَايِنَةَ الْمُسَاعِدِ لِلزَّمَانِ عَلَيْهِ ، الْمُرَافِقِ
لِلْمَقَادِيرِ فِيهِ ، وَلَا يَخُونُهُ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ ، وَلَا
يُضِيعُ حُقُوقَهُ عِنْدَهُ وَصَنَائِعَهُ لَدَيْهِ ، وَلَا يَنْحَازُ بِكُلِّيَّتِهِ
إِلَى مَنْ أَقْبَلَتْ أُمُورُ السُّلْطَانِ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا

يَدُلُّ عَلَى خُبْتِ السَّجِيَّةِ وَمُقَابَلَتِهَا عَلَى الْإِحْسَانِ
 بِالْإِسَاءَةِ ، وَاسْتِعْمَالِ الْعُقُوقِ وَأَطْرَاحِ الْحُقُوقِ .
 وَمِنْهَا : مُجَانِبَةُ الْأِذْلَالِ ، إِذِ الدَّالَّةُ عَلَى السُّلْطَانِ
 وَالرَّئِيسِ مِنْ أَعْظَمِ مَصَارِعِ التَّلَفِ ، وَأَقْرَبِ الْأَشْيَاءِ
 إِلَى زَوَالِ النِّعَمِ ، وَلِأَجْلِهَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ مِنْ بَطَانَةِ
 السُّلْطَانِ وَخَاصَّتِهِ وَوُزَرَائِهِ ، وَفِي قِصَصِهِمْ عِبْرَةٌ
 لِمَنْ أَنْعَمَ النَّظَرَ فِي تَأْمُلِهَا . وَعَلَيْهِ أَنْ يُعَوَّلَ فِي
 الْأَعْتِدَادِ بِخِدْمَتِهِ وَنِصَاحِهِ لَهُ عَلَى اشْتِهَارِهَا وَظُهُورِهَا ،
 وَلَا يُفِيضَ فِي تَعْدِيدِهَا وَذِكْرِهَا ، وَلَا يُوَاصِلَ
 التَّثْقِيلَ بِأَغْرَاضِهِ وَالْإِلْحَافَ بِأَسْئَلَتِهِ ، وَلَا يُظْهِرَ
 التَّشْحُبَ عِنْدَ التَّقْصُرِ بِهِ ، وَلَا الْغَضَبَ اتِّكَالًا عَلَى
 سَالِفِ خِدْمَتِهِ ، وَقَلِيلِ حُرْمَةٍ ؛ وَأَنْ يَتَنَاسَى مَا أَسْلَفَهُ

مِنَ الْخِدْمَةِ وَالصُّحْبَةِ ، وَيَكُونُ فِي كُلِّ حَالٍ عَارِفًا
 بِعَوَارِفِهِ ، مُعْتَدًّا بِفَوَاضِلِهِ ، مُوجِبًا الْفُرُوضِ لَهُ
 لَا عَلَيْهِ ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ مَجْبُورٌ عَلَى أَنْفَةِ النَّفْسِ وَعِزَّتِهَا ،
 وَلَا يَحْتَمِلُ التَّنَازُلَ لِأَحَدٍ : لِتَنْزِيلِهِ الْكُلَّ مَنَازِلَ
 الْخِدْمِ وَالْأَرْقَاءِ ، وَاعْتِقَادِهِ أَنَّهُ سَبَبُ النِّعْمَةِ السَّابِغَةِ
 عَلَى الْكَافَّةِ ، وَثِقَتِهِ بِوُجُودِ الْعَوْضِ عَمَّنْ يَفْقِدُهُ مِنَ
 الْأَعْوَانِ وَالْأَصْحَابِ ، وَمُتَابَرَةِ النَّاسِ عَلَى خِدْمَتِهِ ،
 وَالِانْتِسَابِ ، إِلَى مُتَابَعَتِهِ لِمَا يَصِلُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْخُطْوَةِ ،
 وَيَنَالُونَهُ مِنَ الْجَاهِ وَالثَّرْوَةِ . وَإِنْ كَانَ فِي بَاطِنِ حَالِهِ
 عَلَى خِلَافِ مَا يُؤَثِّرُ ، أَظْهَرَ الشُّكْرَ وَالِاعْتِدَادَ ،
 وَتَلَطَّفَ فِي بُلُوغِ الْغَرَضِ بِأَحْسَنِ تَعْرِيبٍ ، وَلَمْ يُطْلِقْ
 قَلَمَهُ كَاتِبًا ، وَلَا لِسَانَهُ مُخَاطِبًا . فَإِنَّ ذَلِكَ إِزْرَابٌ عَلَى

هَمَّةُ الْمُصْحُوبِ ، وَدَلَالَةٌ عَلَى إِخْلَالِهِ بِتَفَقُّدِ الصَّاحِبِ ،
لَكِنْ يَذْكَرُ النِّعْمَةَ وَسُبُوغَهَا ، وَالْمِنَّةَ وَشُيُوعَهَا ،
وَيَسْأَلُ الزِّيَادَةَ فِيهَا وَمُضَاعَفَتَهَا . فَإِنَّ ذَلِكَ يَقْضَى
بِطُلُوعِ آمَالِهِ ، وَسَدَادِ أُمُورِهِ ، وَسَهْوَةِ مَطَالِبِهِ .
وَإِذَا زَادَهُ السُّلْطَانُ رَفْعَةً وَتَشْرِيفًا ، أُرْدَادَ لَهُ تَعْظِيمًا
وَتَوْقِيرًا . وَإِذَا بَسَطَ يَدَيْهِ انْقَبَضَ عَنْ كُلِّ
مَا يَشِينُهُ ، وَإِذَا خَصَّهُ بِأَثَرَةٍ وَتَقْرِيبٍ أَنْ يَزِيدَ
الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ بَشْرًا وَإِينًا ، وَإِنْ أَتَمَّهُ بِهَفْوَةٍ
لَمْ يَنْتَهَ فِي إِقَامَةِ الْعُذْرِ وَالْإِحْتِجَاجِ عَلَى بَرَاءَةِ السَّاحَةِ
إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى . بَلْ يَتَوَسَّطُ فِي ذَلِكَ وَيَسْأَلُ
مِنْ حُسْنِ الصَّفْحِ وَالْإِقَالَةِ وَجَمِيلِ التَّعْمُدِ وَالْعَفْوِ ،
مَا يَجْعَلُ لِلْإِحْسَانِ وَجْهًا ، وَلِتَعْقِبَهُ لِلسُّخْطِ سَبَبًا .

فَإِنَّهُ إِذَا صَدَعَ بِالْحُجَّةِ فِي بَرَاءَةِ السَّاحَةِ ، فَلَا وَجْهَ
لِمَعْدِرَتِهِ ، وَفِيهِ تَكْذِيبٌ لِرِئْسِهِ ، وَرُبَّمَا أَدَّى إِلَى
فَسَادٍ وَمُفَاقَمَةٍ .

وَمِنْهَا : التَّمَسُّكُ بِآدَابِ الْخِدْمَةِ بِالْمُواظَبَةِ عَلَيْهَا ،
وَصَرْفِ الْإِهْتِمَامِ إِلَيْهَا ، إِذْ هِيَ أَعْظَمُ الذَّرَائِعِ إِلَى
نَيْلِ الرُّتَبِ ، وَبُلُوغِ الْمَارِبِ ، وَالسَّبَبِ الَّذِي يُقَرِّبُ
الْبُعْدَاءَ ، وَيَرْفَعُهُمْ عَلَى أَهْلِ الْوَسَائِلِ وَالْحُرْمِ ، وَذَوِي
الْمَوَاتِ وَالْخُدَمِ ؛ وَيُعْمَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَيُصْمُّ
عَنْ كُلِّ طَعْنٍ . وَمَا نَالَ أَحَدٌ عِنْدَ السُّلْطَانِ مَرْتَبَةً إِلَّا
وَالْمُواظَبَةُ عَلَى خِدْمَتِهِ سَبَبُهَا ، وَالْمُواصَلَةُ مُوجِبُهَا ،
وَأَوْلَى النَّاسِ بِلُزُومِ السُّلْطَانِ كِتَابُهُ الَّذِينَ لَا غِنَى
بِهِ عَنْ حُضُورِهِمْ ، فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ، وَأَحْيَانٍ شُغْلُهُ

وَفَرَاغِهِ : لِأَنَّهُ رُبَّمَا بَدَّهَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِكْفَائِهِ إِيَّاهُ
وَأِسْنَادِهِ إِلَيْهِ ، وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ اسْتَدْعَى
مِنْ مَوْجِدَتِهِ ، وَاسْتَجَرَّ مِنْ لَأَمَّتِهِ ، مَا لَا يُزِيلُهُ الْعُذْرُ
إِلَّا فِي الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ . وَرُبَّمَا اضْطُرَّ لِعَيْبَتِهِ إِلَى إِحْضَارِ
مَنْ يَسْتَكْفِيهِ مَا عَرَضَ لَهُ ، وَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى اضْطِنَاعِهِ ،
وَتَصْيِيرِهِ فِي مَقَامِهِ ، وَإِنْ كَانَ لَا يُسَاوِيهِ فِي فَضْلٍ وَلَا
عِلْمٍ وَلَا غِنَاءٍ ، بِمُخَالَفِ مَا إِذَا وَجَدَهُ مُسَارِعًا إِلَى
أَمْثَلِهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ فِي حُظْوَتِهِ ، وَيَدْعُو إِلَى
اسْتِحْلَاصِ مَوَدَّتِهِ .

فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَخُصَّ سُلْطَانَهُ مِنْ زَمَانِهِ بِالْقِسْمِ
الْأَوْفَرِ ، وَالنَّصِيبِ الْأَغْزَرَ ، وَلَا يُؤَثِّرَ نَيْلَ لَذَّةٍ عَلَيْهِ ،
وَلَا يَبْلُوغَ وَطْرٍ إِذَا أَدَّى إِلَى تَنَكُّرِهِ ؛ فَإِنَّ اسْتِطَاعَ

أَنَّ يُوَافِقَهُ عَلَى وَقْتٍ يَفْرُضُهُ لَهُ يُتِمَّكِنُ فِيهِ مِنْ بُلُوغِ
 أَوْطَارِهِ ، وَالْوُصُولِ إِلَى مَقَاصِدِهِ كَانَ أَحْمَدَ لِعَاقِبَتِهِ .
 وَأَبْلَغَ لِقَصْدِهِ ، وَأَحْسَمَ لِأَسْبَابِ اللَّائِمَةِ فِي غَيْبَتِهِ ، وَلَا
 يَنْهَمِكُ فِي الْمَلَاذِّ انْهَمَاكَ الْآمِنِ ، بَلْ يَقِفُ عِنْدَ الْحَدِّ
 الَّذِي يُبْقِي فِيهِ فَضْلَةً لِعَوَارِضِ السُّلْطَانِ وَمُهْمَاتِهِ الْخَادِثَةِ
 فِي آنَاءِ اللَّيْلِ ، وَسَاعَاتِ النَّهَارِ ، فَإِنَّ تَعَبَهُ فِي
 صَلَاحِ زَمَانِهِ ، وَرَاحَةِ سُلْطَانِهِ ، مُسْتَبَقٌ لِنِعْمَتِهِ ،
 مُسْتَدْعٍ لَزِيَادَتِهِ ، وَلَا يَشْتَغِلُ بِكَبِيرِ الْأُمُورِ عَنْ
 صَغِيرِهَا ، وَلَا يَنْتَهِجُ بِمَا أَصْلَحَهُ مِنْهَا حَتَّى يَنْظُرَ
 فِي عَوَاقِبِهِ ، وَيَسُوسَ مَا رُدَّ إِلَيْهِ بِالسِّيَاسَةِ الْفَاضِلَةِ :
 فَيَلِينُ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَيَشْتَدُّ فِي غَيْرِ عُنْفٍ ،
 وَيَعْفُو عَنْ غَيْرِ خَوْرٍ ، وَيَسْطُو مِنْ غَيْرِ جَوْرِ ،

وَيُقَرَّبَ بغيرِ تَدَلُّهِ ، وَيُبْعَدَ بغيرِ نُكْرِ ، وَيُخَصَّ
 فِي غيرِ مُجَازَاةٍ ، وَيَعْمَ فِي غيرِ تَضْبِيعٍ ، فَلَا
 يَشْتَقِي بِهِ الْمُحِقُّ ، وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا ، وَلَا يَسْعَدُ
 بِهِ الْمُبْطِلُ وَإِنْ كَانَ وَلِيًّا .

وَمِنْهَا : إِذَا حَضَرَ بَيْنَ يَدَيْ سُلْطَانِهِ أَوْ رَأْسِهِ
 فِي الْمَجْلِسِ الْخَاصِّ أَوْ الْعَامِّ أَنْ يَعْتَمِدَ مُقَابَلَتَهُ
 بِالْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، وَالتَّوْقِيرِ وَالْإِكْرَامِ ، وَلَا
 يَحْمِلُهُ تَأَكُّدُ الْخِدْمَةِ وَتَطَاوُلُ الصُّحْبَةِ عَلَى إِهْمَالِ
 ذَلِكَ بَلْ يَحْفَظُ رَسْمَهُ وَلَا يُغَيِّرُ عَادَتَهُ .

وَمِنْهَا : أَنْ يَتَخَيَّرَ لِحِطَابِهِ فِي الْأَغْرَاضِ وَالْأَوْطَارِ
 أَوْقَاتًا يَعْلَمُ خُلُوقَ سِرِّهِ فِيهَا ، وَفَرَاعَ بَالِهِ ، وَانْشِرَاحَ
 صَدْرِهِ ، وَارْتِفَاعَ الْأَفْكَارِ عَنْ خَاطِرِهِ : إِلَّا إِنْ كَانَ

مَا يُخَاصِبُهُ فِيهِ أَمْرًا عَائِدًا بِإِنْتِظَامِ سُلْطَانِهِ ، وَاسْتِقَامَةِ
 زَمَانِهِ ، دَاخِلًا فِي مَهَمَّاتِ أَعْمَالِهِ الَّتِي مَتَى أَخْرَجَهَا نُسِبَ
 إِلَى التَّقْصِيرِ ، فَيُقَدِّمُ الْكَلَامَ فِيهَا خَفًّا أَوْ ثَقُلًا . وَإِذَا
 خَاطَبَهُ رَئِيسُهُ مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ غَيْرِهِ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ
 فَعَلَيْهِ أَنْ يَرُوعِيَهُ عَيْنَهُ ، وَيُنْصِتَ إِلَيْهِ سَمْعَهُ ، وَيَشْغَلَ
 بِهِ فِكْرَهُ وَلَا يَسْتَعْمِلُهُ فِيمَا يَعُوقُهُ عَنْهُ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ
 مَا يُلْقِيهِ إِلَيْهِ ، وَيُجِيبَهُ عَنْهُ أَحْسَنَ الْجَوَابِ ،
 وَلَا يَلْتَفِتَ فِي حَالِ إِقْبَالِهِ عَلَيْهِ إِلَى غَيْرِهِ ، وَلَا يُصْنَعِ
 إِلَى كَلَامِ مُتَكَلِّمٍ ، وَلَا حَدِيثِ مُتَحَدِّثٍ ، حَتَّى
 لَوْ امْتَحَنَهُ بِاسْتِعَادَةٍ مَا فَاوَضَهُ فِيهِ وَجَدَهُ قَدْ أَحْرَزَ
 جَمِيعَهُ ، فَإِنَّ التَّقْصِيرَ فِي ذَلِكَ مِمَّا يُنْكَرُهُ الْمُلُوكُ
 وَالرُّؤَسَاءُ ، وَيَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى ضَعْفِ الْمُخَاطَبِ ،

وَإِنْ كَانَ فِيهَا خَاطَبَةٌ فِيهِ أَمْرٌ يَحْتَمِلُ التَّأخِيرَ بَادَرَ
 بِالْإِعْتِذَارِ عَنْهُ ؛ لِئَلَّا يُنْسَبَ إِلَى التَّقْصِيرِ بِتَأْخِيرِهِ
 عِنْدَ الْكَشْفِ عَنْهُ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا يُخَالِفُ
 الصَّوَابَ أَمْضَاهُ ؛ وَإِنْ تَعَذَّرَ السَّبِيلُ إِلَى فِعْلِهِ لَمْ
 يُظْهِرِ التَّقَاعُسَ عَنْهُ لِتَخَطُّبَتِهِ ، بَلْ يُقَابِلُهُ بِالِاسْتِصْوَابِ
 ثُمَّ يَتَلَطَّفُ فِي تَعْرِيفِهِ مَكَانَ الْخَطَا فِي مَا رَأَاهُ

وَمِنْهَا : أَنْ يَجْرِيَ فِي الْحَالِ فِي مَجَالِسِهِ عَلَى مَا
 يَعُودُ بِوَفَائِهِ وَإِرَادَتِهِ فَإِنْ مَالَ إِلَى الْإِنْبِسَاطِ أَطْلَقَ
 عِنَانَهُ فِيهِ إِطْلَاقَ الْمُتَجَنَّبِ لِلْهَجْرِ وَالْفُحْشِ وَرَفَتْ
 الْقَوْلَ تَابِعًا لِإِيثارِهِ ، قَاضِيًا لِأَوْطَارِهِ ، وَإِنْ أَظْهَرَ
 الْإِنْتِبَاضَ ذَهَبَ مَذْهَبُهُ فِي ذَلِكَ ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ
 يُخَالَفَهُ فِي حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ ، فَإِنْ مِنْ شُرُوطِ هَذِهِ

الخِدْمَةِ أَنْ يَتَصَرَّفَ صَاحِبُهَا فِي كُلِّ مَا يُصَرَّفُ
 فِيهِ ، وَيُسْرِعَ الْإِتْقِيَادَ إِلَى كُلِّ مَا يُدْعَى إِلَيْهِ ؛
 وَلَا يُكْتَرَمَنَ الدُّعَاءَ لِرَبِّيسِهِ وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَالشُّكْرَ
 عَلَى مَا يُؤَلِيهِ مِنَ الْعَوَارِفِ ، فَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ يُسْتَثْقَلُ
 وَمِنْهَا : أَلَّا يَحْضُرَ سُلْطَانُهُ فِي مَلَابِسِهِ الَّتِي
 جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ يَتَفَرَّدَ بِهَا كَالْوَشِيِّ وَنَحْوِهِ ، إِلَّا أَنْ
 يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُشْرِفُهُ بِهَا ، وَأَنْ يَقْتَصِدَ فِي لِبَاسِهِ
 فَيَنْحَطَّ عَمَّا يَلْبَسُهُ سُلْطَانُهُ ، وَيَرْتَفِعَ عَمَّا يَلْبَسُهُ
 السُّوقَةُ ، وَيَصْرِفَ عِنَايَتَهُ إِلَى التَّنْظِيفِ وَالتَّعْطُرِ
 وَقَطْعِ الرَّاحَةِ الْكَرِيمَةِ مِنَ الْعَرَقِ وَغَيْرِهِ ، حَتَّى
 لَا تَقَعَ عَيْنُ رَبِّيسِهِ عَلَى دَنَسٍ فِي أَثْوَابِهِ ، وَلَا
 يَجِدَ مِنْهُ كَرِيهَ رَاحَةٍ فِي حَالِ دُنُوِّهِ مِنْهُ ؛ وَيُوَاصِلَ

اسْتِعْمَالَ الطَّيِّبِ وَالْبُخُورِ الْفَائِقِ ، وَالتَّضْمُّحِ بِالْمِسْكِ ،
فَإِنَّ الْمُلُوكَ تَرَى أَنَّ مَنْ أَغْفَلَ تَعَهُدَ نَفْسِهِ كَانَ
لِغَيْرِهَا أَشَدَّ إِغْفَالًا .

وَمِنْهَا : أَنْ يَتَجَنَّبَ التَّفَاصُحَ وَالتَّعَمُّقَ فِي مُخَاطَبَةِ
رَأْسِيهِ وَالِافْتِخَارَ عَلَيْهِ بِالْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ ؛ لِمَا فِي
ذَلِكَ مِنَ التَّرْفُوعِ عَلَيْهِ فِي الْكَلَامِ ، بَلْ يَجْعَلُ مَا
يُلْقِيهِ إِلَيْهِ ضِمْنَ الْفَاطِ تَدُلُّ عَلَى مَعَانِيهَا بِسُهُولَةٍ مَعَ
غَضٍّ مِنْ صَوْتِهِ ، وَخَفْضٍ مِنْ طَرَفِهِ ، وَسُكُونٍ مِنْ
أَعْضَائِهِ ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُتَسَامَحُ فِي الْإِثْيَانِ بِالْفَصَاحَةِ ،
وَالذَّهَابِ بِمَذْهَبِ الْجَزَالَةِ ، لِلْخُطْبَاءِ الَّذِينَ يُثْنُونَ عَلَى
الْمُلُوكِ فِي الْمَوَاقِفِ الْعَامَّةِ ضَرُورَةً اِحْتِيَاجِهِمْ إِلَى
اسْتِعْمَالِ الْفَاطِ تَقَعُ فِي الْأَسْمَاعِ أَحْسَنَ الْمَوَاقِعِ .

وَمِنْهَا : أَنَّهُ إِذَا تَمَيَّزَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَارْتَفَعَتْ
 رُتْبَتُهُ لَدَيْهِ أَنْ يُجْمَلَ الْقَوْلُ فِي خَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ ،
 وَيُحْسِنَ الْوَسَاطَةَ لِحَاشِيَّتِهِ وَرَعِيَّتِهِ ، وَيَتَجَنَّبَ الْقَدْحَ
 عِنْدَهُ فِي أَكْفَائِهِ وَنَظْرَائِهِ مِنْ بَطَانَتِهِ وَالْمُقَرَّبِينَ
 مِنْ حَضْرَتِهِ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ دَاعِيًا إِلَى مَحَبَّتِهِ وَالشَّاءِ
 عَلَيْهِ مُكَافَأَةٌ لَهُ ، وَإِمْسَاكِ الْأَلْسُنِ عَنِ الطَّعْنِ فِيهِ .
 وَمِنْهَا : أَنْ يُبَادِرَ إِلَى الْمَشُورَةِ عَلَيْهِ بِالصَّوَابِ
 فِيمَا يَسْتَشِيرُهُ فِيهِ وَيُورِدُهُ إِيرَادَ مُسْتَفِيدٍ لَا مُفِيدٍ ،
 وَمُتَعَلِّمٍ لَا مُعَلِّمٍ ، وَيَتَلَطَّفَ فِي أَنْ يُوقِعَهُ مِنْ نَفْسِهِ
 مَوْقِعًا يَدْعُوهُ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ ، فَإِنَّ مِنْ عَادَةِ الْمُلُوكِ
 وَالرُّؤَسَاءِ الْأَنْفَةِ مِنَ الْإِنْقِيَادِ إِلَى مَا يَنْتَحِلُهُ غَيْرُهُمْ
 مِنَ الْأَرَءِ ، وَلَوْ كَانَتْ صَائِبَةً ، وَإِنْ تَمَكَّنَ مِنْ

صِيَاغَةَ حَدِيثٍ يُودِعُهُ فِيهِ فَعَلٌ ، مُخَادَعَةً بِذَلِكَ
لِنَفْسِهِ الْأَيِّمَةِ وَعِزَّتِهِ الْمُتَتَاعِسَةِ .



الضرب الثاني : قَالَ عَلِيُّ بْنُ خَلْفٍ : وَلَا شَكَّ ^{عشرة} _{الإكفاء}
أَنَّ طَرِيقَةَ الْإِعْتِدَالِ فِي ذَلِكَ ، الْمُوَافَاةُ فِي الْإِخَاءِ ،
وَالْمَسَاوَاةُ فِي الصِّفَاءِ ، وَمُقَابَلَةُ كُلِّ حَالَةٍ بِمَا يُضَاهِيهَا .
أَمَّا الْمَسَاحَةُ بِالْحُقُوقِ ، وَالْإِغْضَاءُ عَمَّنْ قَصَرَ ، وَالْمُحَافَظَةُ
عَلَى وَدِّ مَنْ فَرَطَ ، فَلَا خِلَافَ فِي فَضْلِهِ وَالتَّمَدُّحِ
بِمِثْلِهِ ، لَا سِيَّمَا لِمِثْلِ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي يَرْتَفِعُ
حَقُّ الْإِعْتِزَاءِ إِلَيْهَا عَنْ حُقُوقِ الْقَرَابَاتِ الدَّانِيَةِ ،
وَالْأَنْسَابِ الرَّاسِخَةِ . وَلِذَلِكَ وَقَعَ فِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ
« الْكِتَابَةُ نَسَبٌ » قَالَ عَلِيُّ بْنُ خَلْفٍ : وَالْمَعْنَى

فِيهِ أَنَّ التَّنَاسُبَ الْحَاصِلَ بَيْنَ أَهْلِهَا تَنَاسُبٌ نَفْسَانِيٌّ
لَا جِسْمَانِيٌّ ، يَحْصُلُ عَنْ تَنَاسُبِ الصُّورِ الْقَائِمَةِ فِي
نُفُوسِهِمْ بِالْقُوَّةِ ، وَعَنْ تَنَاسُبِهَا بَعْدَ خُرُوجِهَا وَظُهُورِهَا
مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ ، بِدَلِيلِ مَا نَرَاهُ مِنْ اتِّفَاقِ
خَوَاطِرِهِمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي يَسْتَنْبِطُونَهَا ،
وَتَوَارِدِهِمْ فِيهَا . وَلَوْ لَا تَنَاسُبُ الْغَرَائِزِ وَتَشَابُهِهَا ،
لَمْ يُمْكِنَ أَنْ يَتَوَطَّئُوا فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ عَلَى مَعَانٍ
مُتَكَافِئَةٍ مُتَوَافِيَةٍ .

قَالَ : وَإِذَا كُنَّا نَحْفَظُ مَنْ مَتَّ إِلَيْنَا بِالْأَنْسَابِ
الْجِسْمِيَّةِ الَّتِي لَا تَعَارَفُ بَيْنَهَا ، فَأَوْلَى أَنْ نَحْفَظَ مَنْ
مَتَّ إِلَيْنَا بِالْأَنْسَابِ النَّفْسَانِيَّةِ ، الَّتِي يَصِحُّ مِنْهَا
التَّعَارُفُ . وَلِذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ : « الْكِتَابَةُ

نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تَجَزَّأَتْ فِي أَبْدَانٍ مُتَفَرِّقَةٍ . وَقَالَ :
 لَا عِبْرَةَ بِمَا يَقَعُ بَيْنَ بَعْضِهِمْ مِنَ التَّنَافُرِ وَالتَّبَايُنِ ،
 لِأَنَّ الْمُنَاسَبَةَ إِنَّمَا تَقَعُ عِنْدَ الْمُسَاوَاةِ . أَمَّا مَنْ وَقَعَ
 دُونَ رُتْبَةِ الْآخِرِ مِنَ الْفَضِيلَةِ ، فَلَيْسَ بِمُنَاسِبٍ لَهُ
 فَيَصِيرُ الْقَاصِرُ حَاسِدًا لِمَنْ فَوْقَهُ ، لِلتَّقْصِيرِ الَّذِي فِيهِ .
 وَبِكُلِّ حَالٍ ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ لَا كِفَايَةَ
 حَقَّهُمْ ، وَيَحْفَظَ مُنَاسَبَتَهُمْ ، وَيَتَوَخَّى مُسَاهَمَتَهُمْ ،
 وَيَتَلَقَّاهُمْ بِالْإِكْرَامِ وَالتَّمْيِيزِ ، وَيَجْعَلَهُمْ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ
 عِنْدَهُ ، وَيَزِيدَهُمْ عَلَى الْإِنْصَافِ ، وَلَا يُقْصِرَ بِهِمْ عَمَّا
 يَسْتَوْجِبُونَهُ وَيَسْتَحِقُّونَهُ ، وَيُخَوِّلُ مِثْلَ ذَلِكَ
 نَظْرَاءَهُ فِي الرِّيَاسَةِ مِنْ غَيْرِ الْكُتَّابِ ، وَإِنْ تَعَدَّرَ عَلَيْهِ

الْوُصُولُ إِلَى مُلْتَمَسِهِمْ ، أَطَابَ قُلُوبَهُمْ بِالْوَعْدِ الْجَمِيلِ
فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَاجْتَهَدَ فِي الْوَفَاءِ بِهِ .

الضرب الثالث : قَالَ عَلِيُّ بْنُ خَلْفٍ : وَهِيَ لَاحِقَةٌ
بِعِشْرَةِ الْأَكْفَاءِ : لِأَنَّ الَّذِينَ يَسْتَعِينُ بِهِمُ الْكَاتِبُ
يُدْعَوْنَ كِتَابًا ، وَلَا يُدْعَوْنَ أَعْوَانًا ؛ وَإِنَّمَا الْأَعْوَانُ
خُدَّامُ الشَّرْطَةِ وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمْ . قَالَ : « وَهُمْ وَإِنْ
كَانُوا أَصْحَابَ الْكَاتِبِ وَمَرْءُوسِيهِ وَاتَّبَاعَهُ ، فَاسْمُ
الْكِتَابَةِ يَجْمَعُ بَيْنَهُ وَيَبْنِيهِمْ ، وَمُعَاشَرَتُهُمْ دَاخِلَةٌ فِي
بَابِ التَّكْرَمِ وَالتَّفْضِيلِ . وَالِاسْتِثْنَاءُ بِمَحَاسِنِ
الْأَفْعَالِ ، وَمَكَارِمِ الشِّيمِ .

عشرة
الاتباع

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ : « وَيَنْبَغِي أَنْ يُخَصِّمَهُمُ
بِالنَّصِيبِ الْأَوْفَرَ ، مِنْ إِكْرَامِهِ ، وَالْقِسْمِ الْأَغْزَرَ ،
مِنْ مُلَاحَظَتِهِ وَاهْتِمَامِهِ ، وَيَفْرِضَ لَهُمْ مِنَ التَّقْدِيمِ
وَالِاخْتِصَاصِ وَتَفْقُدِ الْأَحْوَالِ وَالشُّؤُونِ ، وَالَّذِي
يُنْتَهَى إِلَيْهِ أَمَلُ الْمَرْءِ مِنْ الرَّئِيسِ : لِيَجْعَلَ
خِدْمَتَهُمْ لَهُ بِذَلِكَ خِدْمَةً مِقَّةً وَمَوَدَّةً ، لَا خِدْمَةً
خَوْفٍ وَرَهْبَةٍ ، وَأَنْ يُجِبَّ خِدْمَتَهُ إِلَيْهِمْ ، بِتَرْكِ
مُنَاقَشَتِهِمْ ، وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَالَتِهِمْ مِنَ التَّرْفِيهِ
فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ مَا يَجِدُونَ بِهِ السَّبِيلَ إِلَى الْأَخْذِ
بِنَصِيبٍ مِنْ لَذَاتِهِمْ وَأَوْطَارِهِمْ الَّتِي تَمِيلُ النُّفُوسُ
إِلَيْهَا ، وَتَهَافَتُ عَلَيْهَا ؛ فَإِنَّهُمْ مَتَى لِحَقِّهِمُ التَّعَبُ
وَالنَّصَبُ اعْتَرَضَهُمُ الضَّجْرُ وَالْمَلَالُ ، فَقَصَّرُوا فِي

الْأَعْمَالِ ، وَتَهَاوَنُوا بِالْأَشْغَالِ ، فَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ رَاحَةٍ
تَصْفُو بِهَا أَذْهَانَهُمْ وَيَزُولُ عَنْهَا الْكَلَالُ ، وَلَا يَفْسَحُ
لَهُمْ فِي مُوَاصَلَةِ الرَّاحَةِ وَالْإِخْلَالِ بِمَا يَلْزِمُهُمْ ، فَإِنَّ
ذَلِكَ يَحْمِلُ عَلَى سُوءِ الْعَادَةِ ، وَقُبْحِ الْمَذْهَبِ ،
وَعَلَيْهِ أَنْ يُحْفَظَ لَهُمْ حُقُوقُ الصَّحْبَةِ وَالْخِدْمَةِ
وَيُوجَدَ لَهُمْ مِنَ الْإِعَانَةِ مَا فِيهِ صَلَاحٌ حَالِهِمْ فَإِنَّهُ
يَسْتَعْبِدُهُمْ بِذَلِكَ وَيَسْتَخْلِصُ مَوَدَّتَهُمْ ، إِذِ الْقُلُوبُ
مُجْبُولَةٌ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا »

✱
✱ ✱

الضَّرْبُ الرَّابِعُ : قَالَ ابْنُ خَلْفٍ : « وَهُوَ

عشرة
الرعية

أَمْرٌ عَظِيمٌ النَّفْعِ ، جَسِيمٌ الْعَائِدَةِ ، قَاضٍ بِالسَّلَامَةِ .
إِذَا لَا يَطِيبُ لِأَحَدٍ عَيْشٌ ، مَعَ بَعْضِ الرَّعِيَةِ لَهُ ،

وَنَهَوْرِهِمْ عَنْهُ ، وَإِنْ عَلَتْ عِنْدَ السُّلْطَانِ رُبُوبَتُهُ ،
 وَارْتَفَعَتْ طَبَقَتُهُ ، وَظَنَّ بِنَفْسِهِ الْإِسْتِغْنَاءَ عَنْهُمْ «
 قَالَ : « فَيَنْبَغِي أَنْ يُوفَّرَ الْعِنَايَةَ عَلَى اسْتِصْلَاحِهِمْ
 لَهُ ، وَاسْتِمَالَةَ أَهْوَائِهِمْ إِلَيْهِ ، وَلِيَنِ الْجَانِبِ ،
 وَوَطْأَةَ الْكَنْفِ ^(١) ، وَخَفَضَ الْجَنَاحِ . وَالْبَسْطِ
 وَالْإِيْنَسِ وَتَأْلُفِهِمْ : كَمَا يُوفَّرُهَا عَلَى اسْتِصْلَاحِ
 السُّلْطَانِ وَسِيَّاسَتِهِ ، لِتَصِحَّ لَهُ رُبُوبَةُ التَّوَسُّطِ بَيْنَ
 الطَّبَقَتَيْنِ ، وَيَسْلَمَ مِنْ طَعْنِ الطَّاعِنِ ، وَلَوْمِ اللَّائِمِ ،
 وَيَبْرَأَ مِنَ الْبُغْضِ وَالشَّحْنَاءِ ، وَيَنْقُلَهُمْ عَمَّا تُسْرِعُ
 إِلَيْهِ الطَّبَاعُ الرَّدِيئَةُ : مِنْ الْحَسَدِ وَالْإِيْذَاءِ إِلَى
 التَّأْلِيفِ وَالْمُودَّةِ ، وَقَدْ أَدَّبَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى

(١) الكنف : الظل والرعاية

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا
غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ) .

الضَّرْبُ الْخَامِسُ : قَالَ ابْنُ خَلْفٍ : « وَيَذْبَغِي
أَنْ يُؤْفِيَهُمْ حُقُوقَهُمْ ، وَيَنْهَضَ بِمَا يَسْنَحُ مِنْ
أَوْطَارِهِمْ وَمَهْمَاتِهِمْ وَيُعِينَهُمْ عَلَى مَا يَحْدُثُ مِنْ
نَوَائِبِ زَمَانِهِمْ ، وَيُسْعِدَهُمْ فِي مُبْلُوغِ مَطَالِبِهِمْ ،
مِنْ سُلْطَانِهِمْ ، وَلَا يَضِنَّ عَلَيْهِمْ بِجَاهٍ وَلَا مَالٍ ،
وَلَا يُخَيِّبَ أَمَلَ آمِلِهِمْ ، وَلَا قَصْدَهُ ، وَيَفْرِضَ
لَهُمْ مِنْ إِذْعَانِهِ وَاعْتِنَائِهِ مَا يُعِزُّ جَانِبَهُمْ ، وَيُسَهِّلُ
مَآرِبَهُمْ ، وَيَكْفِي الضَّمَّ وَالظُّلْمَ عَنْهُمْ ، وَيَسْطُرُ
الْعَدْلَ وَالْإِنْصَافَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُ إِذَا التَزَمَ ذَلِكَ

عشرة
الاقارب

التَّزَمُوا لَهُ الْإِعْظَامَ وَالْإِجْلَالَ ، وَأَطْلَقُوا السِّنْتَهُمْ
بِالْتَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَالْإِعْتِدَادِ بِأَيْدِيهِ ، وَأَشَاعُوا ذَلِكَ
بَيْنَ أُمَّتِهِمْ فَاجْتَلَبُوا لَهُ مَوَدَّتَهُمْ ، وَتَعَصَّبُوا لَهُ .

تممة
آداب
الكاتب

قُلْتُ : وَمِنْ تَمَامِ آدَابِ الْكَاتِبِ وَكَمَالِهَا أَنْ
يَعْرِفَ حُقُوقَ مَشَائِخِ الصَّنَاعَةِ وَأُمَّتِهَا الَّذِينَ فَتَحُوا
أَبْوَابَهَا ، وَذَلَّلُوا سَبُلَهَا ، وَسَهَّلُوا طُرُقَهَا وَيُعَامِلَهُمْ
بِالْإِنْصَافِ فِيمَا أَعْمَلُوا فِيهِ خَوَاطِرَهُمْ ، وَتَعَبُوا فِيهِ
رَوِيَّاتِهِمْ ، فَيُنْزِلُهُمْ مَنَازِلَهُمْ ، وَلَا يَبْخَسُهُمْ حُقُوقَهُمْ ،
فَمِنْ آفَاتِ هَذِهِ الصَّنِيعَةِ عَلَى ذَوِي الْفَضْلِ مِنْ أَهْلِهَا
أَنَّ الْقَاصِرَ مِنْهُمْ لَا يَمْتَنِعُ عَنِ ادِّعَاءِ مَنْزِلَةِ الْمُبَرِّزِ
بَلْ لَا يُعْفِيهِ مِنْ ادِّعَاءِ التَّقَدُّمِ فِي الْفَضْلِ عَلَيْهِ .
وَالْمُبَرِّزَ فِي الْفَضْلِ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِثْبَاتِ نَقْصِ

الْمُتَخَلِّفِ (وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) ثُمَّ أَصْلُ
هَذِهِ الْأَدَابِ الَّذِي تَرْجِعُ إِلَيْهِ وَيَنْبُوعُهَا الَّذِي
تَفَجَّرَتْ مِنْهُ .

*
* *

رِسَالَةٌ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى الْكَاتِبِ ، الَّتِي كَتَبَهَا
إِلَى الْكُتَّابِ يُوصِيهِمْ فِيهَا وَهِيَ :

رسالة
عبد الحميد
الكتاب

أَمَّا بَعْدُ . خَفِظْكُمْ اللَّهُ يَا أَهْلَ صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ ،
وَحَاطْكُمْ وَوَقِّكُمْ وَأَرْشِدْكُمْ ! فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
جَعَلَ النَّاسَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ . صَلَوَاتُ اللَّهِ
عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَمِنْ بَعْدِ الْمُلُوكِ الْمُكْرَمِينَ أَصْنَافًا ،
وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ سَوَاءً ، وَصَرَفَهُمْ فِي صُنُوفِ
الصَّنَاعَاتِ ، وَضُرُوبِ الْمُحَاوَلَاتِ ، إِلَى أَسْبَابِ مَعَايِشِهِمْ ،

وَأَبْوَابِ أَرْزَاقِهِمْ ، فَجَعَلَكُمْ مَعَشَرَ الْكُتَابِ فِي
 أَشْرَفِ الْجِهَاتِ أَهْلَ الْأَدَبِ ، وَالْمُرُوءَةِ وَالْعِلْمِ
 وَالرَّأْيَةِ . بِكُمْ تَنْتَظِمُ لِلْخِلَافَةِ مَحَاسِنَهَا ، وَتَسْتَقِيمُ
 أُمُورُهَا ، وَبِنَصَائِحِكُمْ يُصْلِحُ اللَّهُ لِلخَلْقِ سُلْطَانَهُمْ ،
 وَتَعْمُرُ بِلَادَهُمْ . لَا يَسْتَعْنِي الْمَلِكُ عَنْكُمْ ، وَلَا
 يُوجَدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ ، فَمَوْقِعُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ
 مَوْقِعُ أَسْمَاعِهِمُ الَّتِي بِهَا يَسْمَعُونَ ، وَأَبْصَارِهِمُ الَّتِي
 بِهَا يُبْصِرُونَ ، وَأَأْسِنَتِهِمُ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُونَ ،
 وَأَيْدِيَهُمُ الَّتِي بِهَا يَبْطِشُونَ ، فَاْمْتَعِكُمْ اللَّهُ بِمَا
 خَصَّكُمْ مِنْ فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ ، وَلَا تَزَعَّ عَنْكُمْ
 مَا أَضْفَاهُ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ .

وَلَيْسَ أَحَدٌ أَخْوَجَ إِلَى اجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ

الْمَحْمُودَةِ ، وَخِصَالِ الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ الْمَعْدُودَةِ ،
 مِنْكُمْ أَيُّهَا الْكُتَّابُ . إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي
 فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ صِفَتِكُمْ ، فَإِنَّ الْكَاتِبَ
 يَحْتَاجُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي
 يَتَّقُ بِهِ فِي مُهِمَّاتِ أُمُورِهِ ، أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا
 فِي مَوْضِعِ الْحِلْمِ ، فَهِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ ،
 وَمَقْدَامًا فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ ، وَمُحْجِمًا فِي مَوْضِعِ
 الْإِحْجَامِ ؛ مُؤَثِّرًا لِلْعَفَافِ ، وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ،
 كَتُومًا لِلْأَسْرَارِ ، وَفِيًّا عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، عَالِمًا بِمَا
 يَأْتِي مِنَ النَّوَازِلِ ، وَيَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا ،
 وَالطَّوَارِقَ أَمَا كُنْهَا . قَدْ نَظَرَ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ
 فُنُونِ الْعِلْمِ فَأَحْكَمَهُ ، فَإِنْ لَمْ يُحْكَمْهُ أَخَذَ مِنْهُ

بِعِقْدَارِ مَا يَكْتَفِي بِهِ ، يَعْرِفُ بِنَعْرِيزَةِ عَقْلِهِ ، وَحُسْنِ
 آدَبِهِ ، وَفَضْلِ تَجْرِبَتِهِ ، مَا يَرِدُ عَلَيْهِ قَبْلَ وُرُودِهِ ،
 وَعَاقِبَةَ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ ، فَيَعِدُّ لِكُلِّ
 أَمْرٍ عُدَّتَهُ وَعَمَّادَهُ ، وَيَهَيِّئُ لِكُلِّ وَجْهِ هَيْئَتَهُ وَعَادَتَهُ ،
 فَتَنَافَسُوا يَا مَعْشَرَ الْكُتَّابِ فِي صُنُوفِ الْآدَابِ ،
 وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ، وَابْدِءُوا بِعِلْمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
 وَالْفَرَائِضِ ، ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ فَإِنَّهَا تِقَافُ السِّنْتِكُمْ .

ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ فَإِنَّهُ حَلِيَّةُ كُتُبِكُمْ ، وَارْوُوا
 الْأَشْعَارَ ، وَاعْرِفُوا غَرِيبَهَا وَمَعَانِيَهَا ؛ وَأَيَّامَ الْعَرَبِ
 وَالْعَجَمِ ، وَأَحَادِيثَهَا وَسِيرَتَهَا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ إِلَيْكُمْ
 عَلَى مَا تَسْمُو إِلَيْهِ هِمْمُكُمْ . وَلَا تُضَيِّعُوا النَّظَرَ فِي
 الْحِسَابِ ، فَإِنَّهُ قِوَامُ كِتَابِ الْخُرَاجِ ؛ وَارْغَبُوا

بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَطَامِعِ سَنِهَا وَدَنِيَّهَا ، وَسَفْسَافِ
الْأُمُورِ وَمَحَاقِرِهَا ، فَإِنَّهَا مَذَلَّةٌ لِلرِّقَابِ ، مَفْسُدَةٌ
لِلْكِتَابِ ، وَنَزْهُوا صِنَاعَتِكُمْ عَنِ الدَّنَائَاتِ ، وَارْبُتُوا
بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ
الْجَهَالَاتِ ؛ وَإِيَّاكُمْ وَالْكِبَرَ وَالصِّلَفَ وَالْعُظْمَةَ ،
فَإِنَّهَا عِدَاوَةٌ مُجْتَلِبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْنَةٍ ، وَتَحَابُّوا فِي
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُمْ ، وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي
هُوَ أَلْيَقُ بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالنُّبْلِ مِنْ سَلَفِكُمْ .
وَإِنْ نَبَأَ الزَّمَانُ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ فَأَعْظِفُوا عَلَيْهِ وَوَأَسُوهُ
حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَالُهُ ، وَيَثُوبَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ ؛ وَإِنْ
أَقْعَدَ أَحَدَكُمْ الْكِبَرَ عَنِ مَكْسَبِهِ وَلِقَاءِ إِخْوَانِهِ ،
فَزُورُوهُ وَعَظِّمُوهُ وَشَاوِرُوهُ ، وَاسْتَظْهِرُوا بِفَضْلِ

تَجَرَّبَتْهُ ، وَقَدِمَ مَعْرِفَتِهِ . وَلَيْكُنِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ
 عَلَى مَنْ اصْطَنَعَهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهِ لِيَوْمِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ ،
 أَحْفَظَ مِنْهُ عَلَى وَلَدِهِ وَأَخِيهِ ، فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشُّغْلِ
 مُحَمَّدَةٌ فَلَا يُضِفْهَا إِلَّا إِلَى صَاحِبِهِ ، وَإِنْ عَرَضَتْ
 مَذْمُومَةٌ فَلْيَحْمِلْهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ ، وَلْيَحْذَرِ السَّقْطَةَ
 وَالزَّلَّةَ وَالْمَلَلَ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْحَالِ ، فَإِنَّ الْعَيْبَ إِلَيْكُمْ
 مَعَشَرَ الْكُتَّابِ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى الْفِرَاءِ ؛ وَهُوَ لَكُمْ
 أَفْسَدُ مِنْهُ لَهَا .

فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا صَحِبَهُ الرَّجُلُ ،
 يَبْذُلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَجِبُ لَهُ مِنْ حَقِّهِ ؛ فَوَاجِبُهُ
 عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَقِدَ لَهُ مِنْ وِفَائِهِ ، وَشُكْرِهِ ، وَاحْتِمَالِهِ ،
 وَصَبْرِهِ ، وَنَصِيحَتِهِ ، وَكَيْفَانِ سِرِّهِ وَتَدْبِيرِ أَمْرِهِ ،

مَا هُوَ جَزَاءُ لِحَقِّهِ . وَيَصْدُقُ ذَلِكَ بِفِعَالِهِ عِنْدَ
الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَالِإِضْطِرَّارِ إِلَى مَا لَدَيْهِ .

فَاسْتَشْعِرُوا ذَلِكُمْ وَفَقِّكُمْ اللَّهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِي
حَالَةِ الرَّخَاءِ ، وَالشَّدَّةِ ، وَالْحِرْمَانِ ، وَالْمُوَاسَاةِ ،
وَالْإِحْسَانِ ، وَالسَّرَّاءِ ، وَالضَّرَّاءِ ، فَنِعِمَّتِ الشَّيْمَةُ هَذِهِ
لِمَنْ وُصِمَ بِهَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّرِيفَةِ ! . فَإِذَا
وَدَّى الرَّجُلُ مِنْكُمْ ، أَوْ صِيرَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ خَلَقِ اللَّهِ
وَعِيَالِهِ أَمْرًا ، فَلْيُرَاقِبِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلْيُوَثِّرْ طَاعَتَهُ ،
وَلْيَكُنْ عَلَى الضَّعِيفِ رَفِيقًا^(١) ، وَلِلْمَظْلُومِ مُنْصِفًا ،
فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَرْفَقُهُمْ بِعِيَالِهِ .
ثُمَّ لِيَكُنْ بِالْعَدْلِ حَاكِمًا ، وَلِلْأَشْرَافِ مُكْرِمًا ،

(١) الرفق : المعاملة باللطف واللين

وَاللَّفِيَّةُ^(١) مُؤَفَّرًا ، وَاللِّبْلَادِ عَامِرًا ، وَاللِّرْعِيَّةِ مُتَأَلِّفًا ،
وَعَنْ إِذَائِهِمْ مُتَخَلِّفًا . وَلِيَكُنْ فِي مَجْلِسِهِ مُتَوَاضِعًا
حَلِيًّا ، وَفِي سَجَلَاتِ خَرَاجِهِ ، وَاسْتِقْضَاءِ حُقُوقِهِ
رَفِيقًا . وَإِذَا صَحِبَ أَحَدُكُمْ رَجُلًا فَلْيَخْتَبِرْ خَلَاتِقَهُ ،
فَإِذَا عَرَفَ حَسَنًا وَقَبِيحَهَا أَعَانَهُ عَلَى مَا يُوَافِقُهُ مِنْ
الْحُسَنِ ، وَاحْتَالَ لِصْرِهِ عَمَّا يَهْوَاهُ مِنَ الْقَبِيحِ بِالطَّفِ
حِيلَةٍ ، وَأَجْمَلَ وَسِيلَةٍ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَائِسَ الْبَهِيمَةِ
إِذَا كَانَ بَصِيرًا بَسِيَّاسَتِهَا ، التَّمَسَّ مَعْرِفَةَ اخْتِلَاقِهَا ،
فَإِنْ كَانَتْ رَمُوحًا لَمْ يَهْجَمِهَا^(٢) إِذَا رَكِبَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ
سَبُوحًا^(٣) اتَّقَاهَا مِنْ قَبْلِ يَدَيْهَا ، وَإِنْ خَافَ مِنْهَا
شُرُودًا تَوَقَّاهَا مِنْ نَاحِيَةِ رَأْسِهَا ، وَإِنْ كَانَتْ حَرُونًا^(٤)

(١) اللفيَّة: الغنمة (٢) يهجمها: لم يفضبها ولم يحرك ثورتها

(٣) السبوح التي ترفع يديها في الجري من سبوح بمعنى عام

(٤) الحرون من الخيل: الذي لا يتقاد

قَمَعَ بَرَفَقٍ هَوَاهَا فِي طَرِيقِهَا ، فَإِنْ اسْتَمَرَّتْ عَطَفَهَا
 يَسِيرًا فَيَسْلَسَ لَهُ قِيَادُهَا . وَفِي هَذَا الْوَصْفِ مِنْ
 السِّيَاسَةِ دَلَائِلُ لِمَنْ سَاسَ النَّاسَ ، وَعَامَلَهُمْ وَخَدَمَهُمْ
 وَدَاخَلَهمْ .

وَالْكَاتِبُ بِفَضْلِ أَدَبِهِ ، وَشَرِيفِ صَنَعَتِهِ ، وَلَطِيفِ
 حِيلَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِمَنْ يُجَاوِرُهُ مِنَ النَّاسِ وَيُنَاطِرُهُ .
 وَيَفْهَمُ عَنْهُ أَوْ يَخَافُ سَطْوَتَهُ ، أَوْ لَى بِالرَّفْقِ بِصَاحِبِهِ
 وَمُدَارَاتِهِ ، وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِ ^(١) مِنْ سَائِسِ الْبَهِيمَةِ
 الَّتِي لَا تَحِيرُ جَوَابًا ، وَلَا تَعْرِفُ صَوَابًا ، وَلَا تَفْهَمُ
 خِطَابًا ، إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُصَيِّرُهَا إِلَيْهِ صَاحِبُهَا الرَّكِبُ
 عَلَيْهَا . أَلَا فَاْمَعِنُوا رَحْمَكُمُ اللَّهُ فِي النَّظَرِ ، وَاعْمَلُوا
 فِيهِ مَا أَمَكَّنَكُمُ مِنَ الرَّوِيَّةِ ^(٢) وَالْفِكْرِ ، تَأْمَنُوا

(١) أوده : اعوججه (٢) الروية : انعام النظر والتؤدة

بِإِذْنِ اللَّهِ مِمَّنْ صَحِبْتُمُوهُ النَّبُوَّةَ ، وَالِاسْتِثْقَالَ وَالْجَفْوَةَ^(١) ؛
وَيَصِيرُ مِنْكُمْ إِلَى الْمُوَافَقَةِ ، وَتَصِيرُوا مِنْهُ إِلَى
الْمُؤَاخَاةِ وَالشَّفَقَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَلَا يُجَاوِزَنَّ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي هَيْئَةِ مَجْلِسِهِ وَمَلْبَسِهِ ،
وَمَرْكَبِهِ وَهَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ ، وَبِنَائِهِ وَخَدْمِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِنْ فُنُونِ أَمْرِهِ ، قَدَرَ حَقُّهُ ، فَإِنَّكُمْ مَعَ مَا فَضَّلَكُمْ
اللَّهُ بِهِ مِنْ شَرَفِ صَنْعَتِكُمْ ، خَدَمَةً لَا تُحْمَلُونَ فِي
خِدْمَتِكُمْ عَلَى التَّقْصِيرِ ، وَحَفْظَةً لَا تُحْتَمَلُ مِنْكُمْ
أَفْعَالُ التَّضْيِيعِ وَالتَّبْدِيرِ . وَأَسْتَعِينُوا عَلَى عَفَافِكُمْ
بِالْقَصْدِ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتُهُ لَكُمْ ، وَقَصَصْتُهُ عَلَيْكُمْ ،
وَاحْذَرُوا مَتَالِفَ السَّرْفِ^(٢) وَسُوءَ عَاقِبَةِ التَّرَفِ^(٣) ،

(١) الجفوة : البعد والغلظ (٢) السرف : تجاوز الحد

(٣) الترف : التمتع وسعة العيش

فَإِنَّهُمَا يُعْقَبَانِ الْفَقْرَ وَيُذِلَّانِ الرَّقَابَ ؛ وَيَفْضَحَانِ
 أَهْلَهُمَا ، وَلَا سِيَّامَا الْكُتَّابَ وَأَرْبَابَ الْأَدَابِ . وَلِلْأُمُورِ
 أَشْبَاهُ ، وَبَعْضُهَا دَلِيلٌ عَلَى بَعْضٍ ، فَاسْتَدِلُّوا عَلَى
 مُؤْتَنَفِ أَعْمَالِكُمْ ، بِمَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ تَجْرِبَتُكُمْ ؛ ثُمَّ
 اسْأَلُوا مِنْ مَسَالِكِ التَّدْيِيرِ أَوْضَحَهَا مَحَجَّةً ، وَأَصْدَقَهَا
 حُجَّةً ، وَأَحْمَدَهَا عَاقِبَةً .

وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلتَّدْيِيرِ آفَةً مُتَلَفَةً — وَهِيَ الْوَصْفُ
 الشَّاعِلُ لِصَاحِبِهِ عَنِ انْفِذِ عَمَلِهِ وَرُؤْيَيْتِهِ ، فَلْيَقْصِدِ
 الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي مَجْلِسِهِ قَصْدَ الْكَافِي مِنْ مَنْطِقِهِ ،
 وَلْيُوجِزْ فِي ابْتِدَائِهِ وَجَوَابِهِ ؛ وَلْيَأْخُذْ بِمَجَامِعِ حُجَجِهِ ؛
 فَإِنَّ ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِفَعْلِهِ ، وَمَدْفَعَةٌ لِلتَّشَاغُلِ عَنْ
 إِكْثَارِهِ . وَلْيَضْرَعْ إِلَى اللَّهِ فِي صَلَاةِ تَوْفِيقِهِ ، وَإِمْدَادِهِ

بِتَسْدِيدِهِ ، مَخَافَةَ وَقُوعِهِ فِي الْغَلَطِ الْمُضِرِّ بِيَدِنِهِ ،
وَعَقْلِهِ وَأَدَبِهِ ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَنَّ مِنْكُمْ ظَانًّا ، أَوْ قَالَ
قَائِلًا ، إِنَّ الَّذِي بَرَزَ مِنْ جَمِيلِ صَنَعَتِهِ وَقُوَّةِ حَرَكَتِهِ ،
إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ حِيلَتِهِ ، وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ ، فَقَدْ تَعَرَّضَ
بِظَنِّهِ أَوْ مَقَالَتِهِ ، إِلَى أَنْ يَكِلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى
نَفْسِهِ ، فَيَصِيرَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِ كَافٍ ، وَذَلِكَ عَلَى مَنْ
تَأَمَّلَهُ غَيْرُ خَافٍ .

وَلَا يَقُلْ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنَّهُ أَبْصَرَ بِالْأُمُورِ ، وَأَهْمَلُ
لِعِبَاءِ التَّدْبِيرِ ، مِنْ مُرَاقِقِهِ فِي صِنَاعَتِهِ ، وَمُصَاحِبِهِ
فِي خِدْمَتِهِ ؛ فَإِنَّ أَعْقَلَ الرَّجُلَيْنِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ ،
مَنْ رَمَى بِالْعُجْبِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، وَرَأَى أَنَّ صَاحِبَهُ
أَعْقَلُ مِنْهُ وَأَحْمَدُ فِي طَرِيقَتِهِ .

وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ، أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعْمِ
 اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، مِنْ غَيْرِ اغْتِرَابٍ بِرَأْيِهِ ، وَلَا تَزَكِيَةٍ
 لِنَفْسِهِ ، وَلَا تَكَثُرٍ عَلَى أَخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ ، وَصَاحِبِهِ
 وَعَشِيرِهِ ، وَحَمْدُ اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ ، وَذَلِكَ بِالتَّوَاضُعِ
 لِعَظَمَتِهِ ، وَالتَّذَلُّلِ لِعِزَّتِهِ ، وَالتَّحَدُّثِ بِنِعْمَتِهِ .
 وَأَنَا أَقُولُ فِي كِتَابِي هَذَا ، مَا سَبَقَ بِهِ الْمَثَلُ (مَنْ
 يَلْزَمِ الصَّحَّةَ يَلْزَمُهُ الْعَمَلُ) وَهُوَ جَوْهَرُ هَذَا الْكِتَابِ
 وَغُرَّةُ كَلَامِهِ ، بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
 فَلِذَلِكَ جَعَلْتُهُ آخِرًا وَتَمَّمْتُهُ بِهِ . تَوَلَّانا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ
 يَا مَعْشَرَ الطَّلَبَةِ وَالْكَتَبَةِ ، بِمَا يَتَوَلَّى بِهِ مَنْ سَبَقَ
 عَلَيْهِ بِإِسْعَادِهِ وَإِرْشَادِهِ ! فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ .
 وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .



وَالآنَ : تَقِفُ بِكَ عِنْدَ هَذَا أَحَدًا مِنْ تَذَوُّقِ ^{كلمة} _{الخطام} تِلْكَ الطَّرْفِ الْأَدَبِيَّةِ الرَّائِعَةِ ، الَّتِي تَصْقُلُ لَكَ
 الْخَاطِرَ ، وَتُجَلِّي فِيكَ النَّفْسَ ، وَتُمْتِعُ لَدَيْكَ الرُّوحَ ،
 وَتُعْزِي مِنْكَ الْعُقْلَ ، وَتُفِيدُكَ أَدْبًا يَانِعًا ، وَذَوْقًا
 رَائِعًا ، وَمَادَّةً وَعِلْمًا ، وَمَنْطِقًا وَحِكْمًا ، وَنَأْمُلُ
 أَنْ نُحَدِّثَكَ فِي كِتَابِنَا الْقَادِمِ ، وَهُوَ التَّذْيِيلُ عَلَى
 الْمُقَدِّمَةِ عَنِ الرَّسَالَةِ الْعُذْرَاءِ لِابْرَاهِيمَ بْنِ الْمُذَبِّرِ
 وَعَمَّا اخْتَارَهُ لَنَا الشَّيْخُ مِنْ دُرُوسٍ فِي أَبْوَابِ الْبَيَانِ
 وَكُتُبِ الْأَمَانِ ، وَعُيُونِ الْأَدَبِ ، وَمُخْتَارَاتِ النَّقْدِ
 وَالْخُطَبِ ، وَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي الْقَرِيبِ
 الْعَاجِلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِعَنِّهِ وَحَوْلِهِ م

obeikandi.com

فهرست

الموضوع	الصحيفة		الموضوع	الصحيفة	
	من	إلى		من	إلى
أيام العرب	٢٧٦	٢٧٧	كلمة العماد الاصفهاني	٣	٥
النظر في التواريخ	٢٧٧	٢٧٨	المقدمة	٥	٦
حفظ أشعار العرب	٢٧٨	٢٨٢	دعاء لطالب العلم	٦	٨
الأمثال العربية	٢٨٢	٢٨٢	موضوع الكتاب	٨	٩
التمثيل بالشعر	٢٨٣	٢٨٣	رسالة المعري	٩	٥٦
الأحكام السلطانية	٢٨٣	٢٨٥	أدب الوزير	٥٦	١١٥
علوم البلاغة	٢٨٥	٢٨٨	كنه الوزارة	١١٦	١٤٦
المعاني والبيان والبديع	٢٨٨	٢٩٤	إقدام الوزير وأقسامه	١٤٦	١٨٨
الصفات العرفية	٢٩٤	٣٠٥	التقليد والغزل	١٨٨	١٩٨
آداب الكتاب نوعان	٣٠٥	٣٢٧	الغزل	١٩٨	٢١٠
عشرة الملوك والعطاء	٣٢٧	٣٣٠	المشورة والرأى	٢١٠	٢١٦
عشرة الأكفاء	٣٣٠	٣٣٢	عناية الوزير بالملك	٢١٦	٢٢٠
عشرة الأتباع	٣٣٢	٣٣٤	حرص الوزير على	٢٢٠	٢٧٣
عشرة الرعية	٣٣٤	٣٣٥	مصالح الملك	٢٧٣	٢٧٣
عشرة الأفارب	٣٣٥	٣٣٦	مقالة شهاب الدين الحلبي	٢٧٣	٢٧٣
تمة آداب الكتاب	٣٣٦	٣٤٨	كتب النحو	٢٧٣	٢٧٤
رسالة عبد الحميد الكاتب	٣٤٨	٣٤٩	كتب اللغة	٢٧٤	٢٧٥
كلمة الختام	٣٤٩		خطب البلغاء	٢٧٥	٢٧٥

obeikandi.com